الجمهـــوريـــة الجزائـــريـــة الديمقـــراطيـــة الشـــعبيـــة
وزارة التعليـــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
جامعـــة ابن خلدون-تيـــارت-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيـــة
قسم اللغات والآداب

الموضوع:

قراءة في التعليم القديم من خلال كتاب آداب المعلمين (لمحمد بن سحنون القرن الثالث هجري)

مذكرة مقدمة لنيل درجة ماجستير في اللغة العربية
في إطار مشروع التعليمية والدرس اللساني العربي

إعداد الطالبة: كنـــزة دومة
إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الجليل مرتاض

أعضاء لجنة المناقشة:

أد: بـــشيـــر بـــويجـــرة	(أستاذ التعليم العالـــي)	رئيســـا جامعة وهران
أد: عبد الجليل مرتاض	(أستاذ التعليم العالـــي)	مشرفا ومقررا جامعة تلمسان
د: مكـــــي درار	(أستاذ مكلف بالدروس)	مناقشـــا جامعة وهران
د: أحمـــد بـــوزيـــان	(أستاذ مكلف بالدروس)	مناقشـــا جامعة تيارت

الموسم الجامعي: 2006-2007م
1427هـــ-1428هـــ

كلمة شكر وتقدير

بعد فضل من الله، الشكر والتقدير كله لأستاذي و مؤطري الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض على نصائحه و إرشاداته التي لم يبخل بها عليّ، وللأستاذ بن جامعة الطيب على مساعدته لي.

و لا يفوتني شكر الأستاذ الدكتور مكي درار على يد العون التي مدها لي، لك مني فائق الشكر والامتنان سيدي الفاضل.

كما أتقدم بالشكر إلى طاقم إدارة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ابن خلدون،وإلى كل عمال المكتبات التي زرتها خلال هذا المشوار العلمي(مكتبة الحامة بالجزائر، مكتبة الباحث بجامعة وهران،مكتبة جاك بارك بفرندة،مكتبة المعهد التكنولوجي بتسمسيلت،مكتبة الكاتدرائية بوهران..) وإلى كل من ساندني من قريب أو بعيد، فجزاكم الله خير الجزاء، آمل أن أكون عند حسن ظنكم بي.

فالحمد لله الذي أوزعني شكر نعمه عليّ، صاحب الفضل والمنة ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ 19 من سورة النمل.

ولله الفضل والشكر من قبل ومن بعد

كنزة دومة

جـــدول الرمـــوز

الرمـــز	معنـــاه
(صلعم)	صلى الله عليه وسلم
(ع س)	عليه السلام
(ت ر)	ترجمة
(ط)	طبعة
(شر)	شرح
(ج)	جزء
(د ت ط)	دون تاريخ طبع
(ض)	ضبط
(ت)	تاريخ الوفاة
(د ت ن)	دون تاريخ نشر
(هج)	التأريخ الهجري
(ت ح)	تحقيق
(ت ق)	تقديم

المقدمة:

تعد اللغة ولحد الساعة المجال الذي يستقطب أكبر نسبة من الباحثين للبحث فيها، و فك رموزها، لا سيما وأنها الوسيلة الأولى بلا منازع ،لحفظ التواصل الذي يمثل التعليم والتعلم أهم مجالاته منذ البدء، وهذا ما يبرر اهتمام الدول والحكومات بالعملية التعليمية كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ وأين تحدث؟ وحرصها على تعديل أو تغيير المناهج التعليمية، كلما لاحظتْ تدهوراً في نسب النجاح، أو عدم ملاءمتها للعصر وتطوراته.

وفي الحقيقة ليست العملية التعليمية شغل الحكومات والدول وحدها، بل شغل كل فرد فينا ما دامت تمسنا وبشكل مباشر في حياتنا اليومية، ولعل هذا ما أثارني وحرك عزيمتي وقادني لخوض غمار هذا الميدان فأتخصص في "التعليمية" دون سواها،ضمن اختياري لمشروع: "التعليمية والدرس اللساني العربي"،الذي أجده مشروعاً طارحاً لقضايا اللغة العربية قديمها وحديثها، من جانب ولتعليمها وتعلمها من جانب آخر، مستقل بذاته، لأهمية الأمر، وخطورته.وتقديم تعلّمها وتعليمها في عنوان المشروع على تدارس قضاياها عامة دليل على جدية طرح الموضوع.

ولذلك لم يكن اختياري للموضوع محض الصدفة، و إنما رغبتي في استطلاع طرائق التعليم ومناهجه، عند العرب المسلمين في عصر من العصور ــ عصر النبوغ والعلماء ــ وما انتهى إليه هذا التعليم في عصرنا الحالي، مع بعض المقاربات، إن جاز لي ذلك بما يسمى بالتعليمية، التي تهتم بمشاكل التعليم والتعلم، والمتعلمين، والوسائل والمناهج، والمادة والطرائق، عسى أن أساهم ولو بنزر يسير في مسح الغبار عن التعليم العربي الإسلامي وإحيائه من جديد عن طريق منهجته، وتنظيمه بما يتناسب ومتطلبات التربية والتعليم الحديثين.

ولما كانت اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل، تنتقل من فرد إلى فرد بالتعلم والاكتساب، فيتلقاها اللاحق عن السابق، و الصغير عن الكبير، والمتعلم عن المعلم، استوجب على المهتمين بها مراعاة تعليمها وتعلّمها،خاصة الوسائل،والطرائق والوضعيات،وحتى المواد المساهمة في تعليم بعض المواد الأخرى، وهذا ما اهتم به بعض القدماء من العرب المسلمين اللذين كانوا يراعون قبل تعليمهم للنظام اللغوي العربي حفظ القرآن الكريم بإعرابه. وهي آلية من آليات اكتساب الفصاحة والبيان والتحكم في اللغة العربية.

ولقد لفت نظري مثل هذا التعليم العربي عند السلف الصالح، المبني على التمكن من حفظ القرآن أولا، للتحكم في علوم اللغة، ثم التدرج في العلوم الأخرى، حسب ميل كل متعلم وحبه للمادة التي اختارها، وذلك مـــا جعلني أمعن النظر في المكـــان ، والزمـــان، والطريقـــة والمنهج، والمادة، والوسيلة التي استخدمها العرب القدماء، للوصول بالتعليم إلى ذلك المستوى الرفيع الذي نّم عن بصيرة نافذة وحكمة بالغة لدرجة بروز ونبوغ علماء لا عد لهم ولا حصر.

ومع ما وصل إليه التعليم حاليا في البلاد العربية الإسلامية، رغم التقدم العلمي والتكنولوجي في كل المستويات، كان من الضروري أن أرقب ثغرات التعليم العربي الراهن،

ومحاولة طرح فكرة إصلاحه من خلال الاستفادة من نقاط قوة وتفوق التعليم القديم، والاستعانة به على حل مشاكل تعليمنا، فنأخذ من العلماء الذين تميزوا بعطائهم واهتمامهم بالتعليم والتعلم، كالإمام الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي،وآداب السامع، و ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله،وطراز الذهب في آداب الطلب، والإمام السمعاني في آداب الإملاء والاستملاء وغيرهم،لعلاج ما يمكن علاجه.

ولقد وقع اختياري لاستطلاع الفكر التعليمي التربوي في التعليم القديم على الإمام محمد بن سحنون القيرواني، لأن مؤلفه (كتاب آداب المعلمين) يعد من أقدم الكتب التي تحدثت عن التربية والتعليم والتي لم تستوف حظها من الدراسة بعد، ثم لأن الرقعة الجغرافية التي ألف فيها الكتاب بعيدة كل البعد عن المشرق العربي الذي اعتدنا بروز مثل هؤلاء العلماء فيه، الأمر الذي استدعى النظر في صلة المشرق العربي بالمغرب العربي في هذا المجال، وهل نمط التعليم والتعلم فيهما واحد ؟ وعليه دراستي لهذا الكتاب بعيدة كل البعد عن محاولة استنباط نظرية تعليمية عند محمد بن سحنون، وإنما أهدف من خلالها إلى قراءة الكتاب من جوانبه المختلفة (التاريخية، والحضارية، والعقدية).

وككل بحث ينطلق صاحبه من سؤال: ما الجديد الذي سأضيفه للبحث في هذا المجال؟ انطلقت بدوري من هذه النقطة بالذات، لأجد أن الدراسة في حد ذاتها تعتبر عملا جديدا ،لأنني لم أجد دراسة خاصة بهذا العلم من علماء التربية والتعليم في القديم، من قبل وإن أشار الباحثون إليه فباقتضاب، ودون كبير اهتمام،وفي حال وجود هذه الدراسات في أي بلد من البلدان العربية الأخرى ــ مع أني أستبعد هذا لكون المصادر التي أشارت إلى محمد بن سحنون لم تعتمد عليها أو تشر إليها ــ فهي غير متوافرة لدينا، ولم أطلع عليها بحال.

ومنه، كانت إشكاليتي المطروحة متنوعة الجوانب وهي:كيف كان التعليم في عصر محمد بن سحنون؟ وما هي مظاهره في كتاب آداب المعلمين؟ وما هو الهدف الذي يسعى المعلمون إلى تحقيقه من خلال هذا الكتاب؟ وما هي طرائقهم؟وما هي وسائلهم؟ وما هو منهجهم في التعليم ؟ وهل نمط التعليم المتبع عند محمد بن سحنون هو نفسه المتبع في المغرب العربي الكبير ؟ و إن كان كذلك، فهل يتفق مع ما هو موجود في المشرق العربي؟ ثم ما هي ميزات هذا التعليم ؟ وما هي إيجابياته وسلبياته؟ وهل يمكن الاستفادة من إيجابياته لسد ثغرات التعليـــم الراهن؟ وهل يمكن أن نقوم بعملية دمج بين التعليم الحديث و القديم ؟ وأخيرا هل تعتبر الأفكار التي أتى بها محمد بن سحنون إرهاصات لعملية تنظير التعليم القديم التي لم يستكملها أتباعه؟

هذه بعض الإشكاليات التي أحاول من أجلها قراءة التعليم القديم في فترة زمنية حددت بالقرن الثالث الهجري، وفي رقعة جغرافية حددت بالمغرب العربي الكبير، من خلال مدونة عرفت "بكتاب آداب المعلمين"، وللإشارة اتبعت في كامل بحثي مصطلح مدونة، وأقصد بها الكتاب الذي أريد قراءته وهو كتاب آداب المعلمين،ولا أقصد الكتاب المعنون بالمدونة للمؤلف نفسه(محمد بن سحنون) فالمغاربة شأنهم شأن المشارقة اهتموا بالتعليم و التعلم، ولذلك حاولت النظر إلى الموضوع برمته، من ثمانية أبعاد هي: الزمان، المكان، المعلم، المتعلم، المادة، الطريقة، الوسيلة، المنهج للوصول إلى صورة واضحة ونظرة صادقة عن التعليم القديم.

و منه كان عنوان بحثي ومفتاح مذكرتي و المفك لرموزها وألغازها و هو:

(قراءة في التعليم القديم من خلال "كتاب آداب المعلمين"
لمحمد بن سحنون القرن الثالث هجري).

وأردت بهذا العنوان أن أنظر إلى منهاج التعليم القديم ،من خلال علم من أعلام التربية والتعليم، وهذا لما شهدته من تقاعس النظم التعليمية الحديثة ونقص التحصيل، رغم التطور العلمي والتكنولوجي الذي استفادت منه،فتبادر إلى ذهني إمكانية إظهار جدوى وفعالية التعليم القديم ونشره إن أمكن، بمحاذاة ما أتت به التعليمية الحديثة من نقاط إيجابية، ومهمة، لزيادة التحصيل و نسب النجاح، و تطوير المؤسسات التعليمية.

ومن هذا المنطلق اعتمدت المنهج العلمي المناسب لهذه الدراسة، وهو يجمع بين عدة مناهج، لأن تعدد المناهج يستلزم تناسق الأبواب بالفصول، والمباحث بالعناصر و الفقرات. ومنه كان استعمالي للمنهج التاريخي، والوصفي، والتحليلي.

أما التاريخي فيتمثل في تتبع ظاهرة التعليم و التعلم، في فترة زمنية محددة، وفي رقعة جغرافية بارزة المعالم، مع الوقوف على جوانب هذه المرحلة تأثيرا و تأثراً.

والوصفي يتمثل في تقديم مكونات العملية التعليمية كما هي منجزة في حينها ثم تعميمها على المرحلة الزمنية، والرقعة الجغرافية.

أما التحليلي فيتمثل في تفكيك مكونات العملية التعليمية ومحاولة تحليلها، وهذا كله في إطار مجال الدراسة وزمانها و بيئتها. ثم تعليلها مع تقديم الحجج والبراهين عليها وتركيبها من جديد إن أمكن،ولعل اختياري لمثل هذا المنهج يعد طريقة موضوعية لسلوك هذا الموضوع بالذات، فعسى أن أحقق النتائج المرجوة منه،ولتحقيق ذلك وضعت خطة لبحثي تمثلت في:

المدخل: وتعرضت فيه إلى الحديث عن الكلمات المفتاحية للبحث بصفة عامة محاولة تفسيرها كمصطلحات، و كعمل ينجز في إطاره كل مفهوم من شأنه أن يحرك البحث من جانب معين، سواء من جانبه النظري أم التطبيقي.مع العلم أن هذه المفاهيم جزء لا يتجزأ من إشكالية البحث المطروحة.

الفصل الأول: المعلمون والمتعلمون في المدونة وهي دراسة ترتكز على حال المعلمين والمتعلمين في القرن الثالث الهجري، من خلال المدونة التي استنبطت منها وظائفهم و أهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها، ومالهم وما عليهم.

الفصل الثانـي: الزمان والمكان في المدونة وتحدثت فيه عن المكان الذي يتم فيه التعليم، وكذلك الزمان، و تأثر و تأثير كل منهما في المعلم والمتعلم سلبا أو إيجابا.

الفصل الثالث:المادة والطريقة في المدونة، وهما عنصران من عناصر العملية التعليمية، وحاولت فيه توضيح أهميتهما واهتمام معلمي القرن الثالث هجري بهما، لإنجاح عملية التعليم، وتحقيق الأهداف المنشودة.

الفصل الرابع: الوسيلة ومنهجية محمد بن سحنون في المدونة، وفيه تحدثت عن الوسائل التعليمية التي كانت مستعملة في ذلك العصر، ومساهمتها في إنجاح الفعل التعليمي، مع الإشارة إلى منهجية صاحب المدونة في المادة والطريقة مع محاولة عرض النقاط التي فاتته.

الخاتمـــة: وضمنتها نتائج بحثي مرفقة بمكتبته وفهارسه المتنوعة.

ولأني حاولت إخضاع بحثي لرؤيتي و شخصيتي فقد انصهرت فيه قدر الإمكان، بهدف تمييزه عن غيره تقنية، وطريقة ،وحتى فكرة محاولة قدر الإمكان تسليط الضوء على جانب خفي من التراث الإسلامي العربي وهو التراث التعليمي،وقد اصطدمت وكأي باحث مبتدئ

بجملة عثرات كان أهمها على الإطلاق العامل النفسي الذي أدى بي إلى الانتقال من موضوع إلى آخر، بحثاً عن ذاتي و بعد طول تفكير كانت نتيجته التخلي عن موضوع أنجزت بعض أجزائه استقرت نفسي وبفضل من الله ثم بفضل توجيه الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض ومساعده الأستاذ بن جامعة الطيب على موضوعي هذا، ومن بين العثرات أيضا الخوف الذي يسيطر على باحث مبتدئ من المساس بقداسة التراث أثناء البحث فيه،و لذلك كنت حريصة أشد الحرص على عدم الوقوع في إصدار أحكام أو فرض رأي، بقدر ما كنت أحاول الوصف والعرض فقط، مع تعليل في بعض الحالات.

وككل بحث تتنوع مصادره ومراجعه اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة لا بأس بها من مصادر ومراجع في مختلف المجالات، و إن كنت لا أشاء تدوين البعض منها هنا، فلكي لا أولي الأهمية لعنوان دون سواه، فكلها كانت على قدر واحد من الأهمية، مع الإشارة إلى مشقة التحصل عليها، وساهم بفضل من الله في تذليل هذه الصعوبة كل من الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض ومساعده الأستاذ بن جامعة الطيب وجماعة أصدقاء،كما أولي جزيل الشكر للأستاذ الدكتور مكي درار على المدونة التي أمدني بها مع أهم المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث،أثناء زياراته العلمية لجامعة ابن خلدون بتيارت.

وقبل كل ذلك و بعده. لم يكن هذا البحث ليتم في صورته هذه لولا هدى من الله وتوجيهات أساتذتي الأفاضل على رأسهم أستاذي المشرف ورئيس المشروع الأستاذ الدكتور

عبد الجليل مرتاض الذي تكبد عناء الصبر على صعوبة اختياري للموضوع فتحملني و تحمل انتقالي من فكرة إلى فكرة وفي كل مرة أجده الأب العطوف.

كما أثني بالشكر على أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بوقتهم لقراءة هذه المذكرة، و الذين لم يبخلوا بتوجيهاتهم عليْ، وإني أتعهدهم بإصلاح كل ما يمكن إصلاحه وتصحيحه مما سيقدمونه لي من توجيهات وتوصيات، وفي الختام أسأل الله عز وجل التوفيق والسداد فمنه إصابتي في الأمور ومن نفسي الخطأ إن أخطأت وما توفيقي إلا بالله أسأله العلم النافع والقلب الخاشع و الحمد لله حمدا كثيرا.

كنـــزة دومـــة

24 -01-2007 بالسوقر ــ تيارت ــ

المـدخـــل:

- المفاتيح الأولية للبحث
- القراءة مفهوم وتطبيق
- مفهوم التعليم
- مفهوم القدم
- مفهوم التربية
- مفهوم التأديب
- التعريف بالمدونة

يقاس رقي كل مجتمع وتقدمه،برقي مدارسه ومؤسساته التربوية وتقدمها، ومنه يمثـــل الاهتمام بالتعليم في أية ثقافة على وجه المعمورة الشغل الشاغل لهـــا، ولا ســـيما فـــي الـــبلاد الإسلامية لكونه مطلبا من مطالب الدين الحنيف لقوله تعالى:﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الـــذِي عَلَّـــمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾"[1]" بقدرته.

و لم يزل بشير الأمة ونذيرها يحث على طلب العلم والسعي إليه أينما كان، لقوله عليه السلام:« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»"[2]" وهذا حال الصـــحابة والتابعين وبقية خلق الله ممن أنعم عليهم بنعمة الإسلام، يقدرون العالم والعلم، ويأخـــذون فـــي مطلبه كل مأخذ.

ومن أجل هذا الفضل سعى العلماء المسلمون في مشارق البلاد الإسلامية ومغاربها إلى تعميم التعليم «الذي يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وقليل مـــن الدراســـات العلمية»"[3]"وهكذا انتشرت الكتاتيب والمدارس المتخصصة والزوايا إلى جانب التعليم بالمساجد، وألفت كتب عديدة في آداب المعلم والمتعلم، وفي طريقة نيل العلوم، وفي كل ما يتعلق بالعملية التعليمية عامة، ومن هذه الكتب :الجامع لأخلاق الـــراوي وآداب الســـامع، للإمـــام الخطيـــب البغدادي، وجامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر. وطراز الذهب في آداب الطلـــب، للإمـــام السمعاني"[4]"ومحمد بن سحنون في كتابه آداب المعلمين،وهو المدونة المعتمدة في هذا البحث.

القراءة مفهوم وتطبيق:

وقبل التطرق لهذه الدراسة التي تستهدف زمانا ومكانا معينين، أحـــاول وبشـــيء مـــن التركيز، أن أتعرض لبعض المفاهيم التي تعد الكلمات المفتاحية لهذا البحث، من مثل: القراءة، والتعليم، وقديم، وذلك من أجل توضيح الرؤية وتبيان أبعاد المنهج وخلفياته؛ ليكون عملي علميا عمليا تطبيقيا. و أول هذه الكلمات التي تشكل العنوان: القراءة، فما هي القراءة ؟ ومـــا مجـــال تطبيقها في هذا البحث ؟

القراءة منطوق صوتي، يوحي بالإحضار والتحويل، وذلك أن القارئ الناطق بالصوت هو بين أمرين إما أنه يستحضر شيئا من ذاكرته، قد كان خزنه فيها مما تلقـــاه مـــن إلقـــاءات وإملاءات، مشافهة و إما أنه يقوم بعملية تحويل، لما هو مرسوم، وقد كان منطوقا من قبل.

1- العلق، الآية:03- 05.

2- الترمذي،الصحيح، (شر): الإمام ابن العربي المالكي،دار الكتاب العربي،بيروت، ج10،(د ت ن) ،ص:115،114.

3- تركي رابح،الشيخ عبد الحميد ابن باديس،فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،1969، ص:12.

4- ينظر:محمد السمعاني، آداب الإملاء و الإستملاء، (ت ح)، أحمد محمد عبد الرحمن محمد محمود، مطبعة جـــدة ،ج1،ط1، 1993، ص: 4.

فالناطق المعبر عن أفكاره يسعى إلى حفظها والاحتفاظ بها، إما ليعود إليها، وإما لينقلها إلى غيره.و من ثم يسجلها، ليتحول المنطوق إلى مكتوب في كتاب، ومن يقـــوم بقـــراءة هـــذا المكتوب فهو يعيده إلى أصله النطقي؛ ولكن ليس على ما كان عليه،وقد أثبتت المخابر الصوتية العلمية أنه لا يمكن إعادة الصوت المنطوق على صورته الأصلية أبدا. ولا يمكـــن للنـــاطق أن يعيد صوته بالكميات نفسها عند تكرار منطوقه أبدا وهذا من حيث إيحاء المفردة و أبعادها.

أما في مجال الاستعمال، فللمفردة مكانة وقداسة، تتفاوت بتفاوت مـــواطن الاســـتعمال وخلفياته، وأقل ما يقال فيها إنها (مفتاح الثقافة). وكانت في تراثنا العربي الإســـلامي مفتاحـــا لمجالات الدين والدنيا. وكان أول اتصال بين الأرض والسماء، آمرا بالقراءة، (اقرأ)"[1]" ومصدر الأمر قراءة وقرآنا. ومن ثم، اقترن مفهوم القراءة (بالقرآن الكريم)"[2]"ومن ثمـــة أيضـــا كانـــت المفردة مفتاحا لآي الذكر الحكيم.

أما وأن القراءة استحضار وتحويل، فإن ذلك حق؛ لأن القرآن الكريم كان موجودا فـــي الأزل وقراءته هي استحضاره، وتحويل أحكامه إلى أعمال. ومن هذه النظرة للقـــرآن، تغيـــر مفهوم القراءة في مجال الاستعمال، وذلك نتيجة البحوث التربويـــة والتعليميـــة، وإن حافظـــت القراءة على عناصرها الثلاثة التي هي: (المعنى الذهني، واللفظ المؤدي له، والرمز المكتوب) فقد تغيرت مفاهيمها وتطورت، فبعد أن كان مفهومها «(...) محصورا فـــي دائـــرة ضـــيقة، حدودها الإدراك البصري، للرموز المكتوبة وتعرفها والنطق بها، صارت القراءة عملية فكرية عقلية، ترمي إلى الفهم وترجمة الرموز إلى مدلولاتها، ثم أضيف للقراءة عنصر التفاعل، بـــين القارئ والنص المقروء تفاعلا معبرا. وأخيرا انتقل مفهومها إلى استخدام ما يفهمه القارئ فـــي مجال الحياة.»"[3]"ومن هذه النظرة، سميت وظيفية.

ومن بعد هذا، تتنوع أشكال القراءة وتتعدد من صامتة، وجهرية، وسمعية، وبصـــرية. وفي جميع الحالات، هي مفتاح العلم و التعليم والثقافة. مع أن النظرة الوظيفية التعليمية للقراءة، كمفتاح للعلوم والثقافة، عليها تحفظات من بعض الوجهات. ويعود ذلك إلـــى تحديـــد قـــدرات القراءة على تأدية رسالة التعليم.و عن ذلك تساءل أناس قائلين: هل نحن نقرأ لنتعلم، أم نـــتعلم لنقرأ ؟ و هل نحن في قراءتنا العربية نقرأ لنفهم أم نفهم لنقرأ ؟

ولأن كتاب آداب المعلمين لمؤلفه محمد بن سحنون إنتاج واع، إرادي مقصود موجـــه لفئة محددة (المعلمون و المتعلمون) يمكن اعتباره خطابا يحتكم إلى العلاقة القامة بين الكاتـــب و القارئ ،و من خلال قراءة هذا الأخير يمكنني أن أطـــرح وجهـــة نظـــر أو رأي أو حكـــم نسبي.ومهما يكن نوع النص «(...) فإنه يدعو دائما قارئه إلى تبني موقف ما، و مع ذلك

1- ينظر العلق، الآية:01.

2- ينظر ابن منظور، لسان العرب، (ت ح)، المكتب الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1993 ص: 128.

3- عبد العليم عبد العظيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، مطبعة دار المعارف، مصر، ط6، 1962، ص:57 (باختصار وتصرف).

فللقارئ الحق بأن يأخذ بالحجج المطروحة، و يستطيع كذلك أن يرضي بالنقـــاش القـــائم أو أن يشيح عنه.»"[1]فيتجرد بذلك من قيمته الثقافية و التراثية الخاصة بعصره و بالتالي أفقدُ حلقة من المفروض وصلها بين الفكرين، الفكر التعليمي القديم و الفكر التعليمي الحديث، هذا لأن« كـــل قراءة تؤثر و تتأثر معا بالثقافة و بالبيئة السائدة في عصرها، و في بيئة ما.» "[2]

و بما أن القراءة الفردية جزء لا يتجزأ من الثقافة الجماعية أردت لقراءتي المتواضعة لكتاب آداب المعلمين أن ترتقي إلى الذهنية الجماعية للمجتمع الإسلامي العربي، كمـــا أعتبـــر قراءتي ضربا من النقد لأني عمدت إلى محاولة استنطاق ما في المدونة، انطلاقا مـــن ثقافـــة العصر المؤلفة فيه، محافظة في غالب الأحيان على تماسكها الداخلي الذي قد يُمس جراء تطبيق ما قرأته، و أولته على ما يسمى بالتعليمية في العصر الحديث.

ولعل مشروعية قراءتي لكتاب آداب المعلمين تتأتى مـــن عـــدم تنـــاقض أو مخالفـــة المعطيات المذكورة في النص، لظروف تأليفه لأن النص يقع بين يدي القـــارئ مبتـــورا عـــن وسطه المكاني و محيطه الزماني وهنا يكمن جهدي في قراءتي الرامية إلى إعادة هذا الـــنص بعد قراءته الأولية أو التقليدية إلى مرجعيته التراثية من جهة، وإلى محاولـــة دراســـة وتأويـــل معطيات التعليم والتعلم المذكورة في المدونة وتحليلها وتعليلها للوصـــول مـــن خلالهـــا إلـــى استمرارية التعليم القديم و أصالة التعليم الحديث من جهة أخرى، وهذا ما سيجعل قراءتي لهذه المدونة فعل مستمر لا يتوقف « يبدأ من الحاضر والراهن وينطلق إلى الماضي، والتراث، ثـــم يرتد إلى الحاضر مرة أخرى في حركة لا تهدأ ولا يقر لها قرار.»"[3]

وعليه، بدأتُ قراءتي للمدونة بطرح إشكالية التعليم في الوقت الـــراهن لأنطلـــق إلـــى التراث عساني أن أجد فيه حلولا لهذه الإشكالية، وبعد تحليل وتعليل يضع المدونة في إطارهـــا الزماني والمكاني والثقافي أرتد إلى الحاضر مرة أخرى لمحاولة رؤية ما كان، وقراءتـــه مـــن خلال ما هو كائن، والاستفادة من إيجابيات النموذجين (التعليم القديم والتعليم الحديث) لتصـــور بنية ما سوف يكون.

و منه، يمكن القول إني أريد أن أرتقي بقراءتي إلى مستوى القراءة الواعية للتراث في مجال التربية والتعليم لأصل إلى حدود اكتشاف دلالات المدونة و إلى« محاولة الوصول إلـــى المغزى المعاصر للنص التراثي في أي مجال معرفي.»"[4]" ومن هنا تطـــرح قراءتـــي لـــنص المدونة بعض الأسئلة لتصل بذلك إلى درجة التعقد غير المقصود فتأخذ طابع الجزء لتنتظـــر بدورها قراءة أخرى،ولكن ما سيأخذ لي العذر في ذلك إقرار الجميع بتعذر الفصل بين القراءة والتعليم، كما يتعذر الفصل في أيهما أسبق وأحق، هذا مجال تطبيق القراءة في هذا البحث الذي يرتكز أساسا حول محور التعليم والتعلم الذي سأتكلم عنه في ما هو آت.

1- حسن مصطفى سحلول،نظريات القراءة والتحليل الأدبي وقضاياها، إتحاد الكتاب العرب،دمشق،2002 ،ص:18 (بتصرف).

2- المرجع نفسه،ص:18.

3- نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 1996، ص:12.

4- المرجع نفسه ، ص:.06

مفهوم التعليم:

يقصد بالفعل التعليمي:التعليم أو« منظومة تنظيم طرائق إيصـــال التجربـــة التاريخيـــة الاجتماعية: المعارف، والمهارات، والقدرات وكذلك أنواع، وطرائق، وأساليب النشاط بمعايير طبيعية بالنسبة للظروف التاريخية»"[1]" وهذا التنظيم لهذه العملية لا يتم إلا بالتعاون والاشـــتراك بين المعلم والمتعلم من خلال نشاط تواصلي « يهدف إلى إثـــارة الـــتعلم وتحفيـــزه وتســـهيل حصوله.»"[2]"

ولعل التعليم ضرب من الصناعة والفن معا، حيث يأخذ الإبداع في هذا الفن طريقه نحو البحث، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك قبل تفطن الأنظمة التربوية الحديثة إليه يقول: «وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكـــة فـــي الإحاطـــة بمبادئـــه، وقواعده، والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا.»"[3]" عند المتعلم المستفيد.

ولأن التعليم من أكثر الظواهر الإنسانية تعقيدا أفرد له الباحثون أبحاثا ضخمة ومثيـــرة للاهتمام، بالاشتراك مع ميادين عدة أهمها: علم النفس، وعلم الاجتماع، واللســـانيات التطبيقيـــة وغيرها. وسأحاول هنا، النظر إلى الفعل التعليمي كعمل منجز في حيز جغرافي هو المغـــرب العربي الكبير؛ وفي القرن الثالث الهجري بالخصوص.

و من أجل ذلك، يعد الزمان والمكان عنصرين مهمين في العمل التعليمي، بمحاذاة كل من المتعلم، والمادة التعليمية، والوسائل، والطرائق التعليمية، وهي عناصـــر توليهـــا التربيـــة الحديثة اهتماما كبيرا.و هذا لا يعني أنها كانت مهملة في التعليم القديم، ولاسيما عنـــد العـــرب المسلمين، وهو جانب آخر من البحث، ومنه يمكن طرح التساؤل التالي وهو: كيف كان التعليم عند العرب المسلمين، كمفهوم أولا، ثم كعمل منجز؟ وقد يستوقفني قبل الخـــوض فـــي هـــذا الموضوع مفهوم القدم والقديم.

مفهوم القدم:

« القديم أو القِدَمُ معناه العتق والقدم نقيض الحدوث»"[4]" كما أنه من معانيـــه هـــو «أي شيء زمانه في الماضي أكثر من زمان شيء آخر»"[5]" والقديم بالنسبة للقرن الثالث الهجري في المغرب العربي، هو الحياة التي عاشها سكان هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي، والأوضاع التي تغيرت بعده في القرنين الأول والثاني، مع مراعاة ما للمشـــرق العربـــي مـــن خصوصـــيات وتأثيرات على البلدان المفتوحة. وما له من فضائل للوصول إلى هذه الحياة الجديدة.

1- فريدمان ويكولا غينا،دليل المعلم إلى التربية وعلم النفس ، (ت ر): أحمد خنسة، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2000،ص:.288

2- محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية،قصر الكتاب، البليدة، ط2،1991،ص: 13.

3- ابن خلدون،المقدمة،(ش ر، ت ح، ت ق):محمد الإسكندراني،دار الكتاب العربي،بيروت،2004، ص: 398.

4- ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص:.363

5- المصدر نفسه،ص:368.

أما القديم بالنسبة للزمن الحالي، فهو الفترة التي تشمل القرن الثالث هجري وتمتد إلى ما قبله وما بعده معا. ولعل الزمن يتقلص في هذه الدراسة ليصبح زمنا افتراضـــيا لمحاولـــة إعطاء لمحة عن ظاهرة استمرت ومازالت تستمر عبر العصور وليس لدراستها فـــي زمنهـــا الطبيعي، هذا فيما يتعلق بما قبل وما بعد القرن الثالث هجري، أما في هذه الفترة بالتحديد فأقوم بوصف الظاهرة التعليمية وتحليلها من خلال إنجازها الفعلي في زمنها الطبيعي.

وانطلاقا من هذا، يمكن القول إن المسلمين استجابوا لربهم في نشـــر رســـالته حيـــث امتدت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس، والشام، ومصر؛ وبعدها امتد ســـلطان المســـلمين «إلى بلاد المغرب، وقد هيأ تأسيس القيروان في إفريقية على يد عقبة ابن نافع سنة 50 هـــج للعرب مركزا حصينا اتخذوه قاعدة لنشر الإسلام في شمال القارة الإفريقية وغربها.»"[1]"

وقد تفاوت العنصر السكاني الأصليون في المغرب العربي وهم شعوب البربـــر، فـــي تقبل هذا الدين الجديد بين مرحب ومؤيد،جراء فهمهم الخاطئ للفاتحين الذي أيـــدَه الرومـــان. ومن أجل ذلك « كان نجاح عقبة بن نافع في نشر الإسلام بين البربر بطيئا لانشغاله بحـــرب الروم.»"[2]"وكذلك زهير بن قيس وحسان بن نعمان من بعده.

ولما فتح المغرب بأسره « بدأت شخصية المغرب الإســـلامي تـــدخل فـــي دورهـــا الفعال»"[3]" للمشاركة في فتح المناطق التي لم يصلها الإسلام بعد، فانصهر المغاربة بالفـــاتحين تناسبا، وتصاهرا، وأخذ كل طرف نصيبه الأوفر من ثقافة الآخر، فالبربر علـــى عكـــس مـــا يصورهم بعض المؤرخين ، فهم أهل حضارة، إذ يعدون من بين «الأمم التـــي ســـبقت إلـــى الحضارة، وتثقفت وتعلمت،ونبغ منهم رجال في مختلف الميادين. »"[4]"

فبرز في السياسة والحروب رجال مثل: ماسينيسا، ويوغرطة، "[5]" كما برز في العلوم عباقرة، مثل: يوبا الثاني، ومرقس،"[6]" أما في الدين فقد برز كل مـــن: القـــديس أوغســـطين، و ديونيسوس"[7]" مما خول لهم الجلوس كأباطرة على عرش روما قبل الميلاد ومن بعده بـــزمن قليل"[8]"وهذا لا يعني أن البربر كانوا سواء في نيل العلم والتفوق فيه؛ إذ اتسم أغلـــبهم بطـــابع البداوة، ما جعل المسلمون بعد الفتح يتولون الأمور السياسية والإدارية عنهم «ذلـــك لبـــداوتهم وتخلفهم السياسي.»"[9]"

1- حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط12، 1964، ص: 14، 15.
2- المرجع نفسه ،ص:15.
3- المرجع نفسه،ص:16.
4- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير ، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ج1،1964، ص: 92.
5- المرجع نفسه،ص:93.
6- ينظر المرجع نفسه،ص:92.
7- ينظر المرجع نفسه،ص:93.
8- ينظر المرجع نفسه،ص:93.
9- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط، 2، 1981، ص: 28.

ولما كان حرص الحكام في المشرق على انتشار الدين الإسلامي انتشارا صحيحا في المغرب عمدوا إلى إرسال من يعلم أهله اللغة العربية وشعائر الدين الجديد، الأمر الذي يبرر حرص الخلفاء «على اختيار طائفة من الفقهاء ليعلّموا البربر فرائض الإسلام ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم.»"[1]" وبذلك انتشر التعليم والتعلم بالمغرب، وبرزت حواضر اختصت بذلك كالقيروان بتونس، ومراكش بالمغرب، وتلمسان بالجزائر؛ وأصبح لهذه الأمصار علماء يضاهون علماء المشرق منزلة وعلما.

وبات التبادل الثقافي بينهم أكيدا إثر ارتحال المغاربة إلى المشرق للحج، والرغبة في طلب العلم، وارتحال المشارقة للمغرب للتجارة، وتعليم أبنائه في الفترة التي انقطع فيها سند تعليم العلم لاختلال عمران المغرب وتناقص الدول فيه، "[2]"وانتشار الفتن والقلاقل،"[3]" هذا من جهة. ومن جهة أخرى، كان «أهلُ المشرق على الجملة، أرسخ في صناعة تعليم العلم وفي سائر الصنائع.»"[4]"من أهل المغرب، حيث بقيت أمصاره«خلوا من حسن التعليم.»"[5]" بعد انقراض تعليم قرطبة والقيروان دهرا من الزمن.

ومع ذلك، فقد اجتهد المعلمون القادمون من المشرق، في تعليم المغاربة فانتشرت مراكز التعليم والتعلم بالمغرب «وأنشئت بها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعليم الدين ومبادئ العلوم.»"[6]"وظهرت الزوايا وأنشأت المدارس والكليات على يد ملوك بني مرين، وبلغت درجة من التطور في القرن الحادي عشر هجري إلى أن فاق عددها عدد المساجد."[7]"

ومراعاة للحفاظ على مستوى عال للتربية والتعليم في البلاد الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب، ألفت كتب في هذا المجال، أهمها وأقدمها المدونة التي بين يدي: (كتاب آداب المعلمين) ولعله كتاب خاص بالتأديب والتربية أولا وقبل كل شيء أكثر من العلوم والتعليم.

ومن خلال إقامة مقاربة بين مفاهيم التربية، والتأديب، والتعليم؛ يتحدد مجال الكتاب وتخصصه، إما بالآداب وإما بالعلوم أو يتوسط في الأخذ بين هذا وذاك.فما هو مفهوم كل من التربية والأدب؟وما الفرق بين التربية والتعليم؟وكيف تحدد علاقة هذه العناصر التربية، التعليم، التأديب بعضها ببعض من خلال المدونة؟ وقبل ذلك أريد الإشارة بأني التزمت بمصطلح: (من خلال) وابتعدت عن قول: (قراءة في التعليم القديم كتاب آداب المعلمين أنموذجا) لأن ذلك يعني التزامي بالشرح لمحتوى المدونة أما مصطلح: (من خلال) فيمكّنني من أخذ صورة من محتوى الكتاب وتعميمها على محيط جغرافي يعرف بالمغرب العربي حاليا.

1- حسن إبراهيم حسن،انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ص:16.
2 – ينظر ابن خلدون، المقدمة، ص: 399.
3- ينظر حسن إبراهيم حسن،انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ص:16.
4- ابن خلدون، المقدمة، ص:401.
5 - المصدر نفسه،ص:400.
6- حسن إبراهيم حسن،انتشار الإسلام في القارة الإفريقية،ص:67.
7- ينظر المرجع نفسه،ص:68.

مفهوم التربية:

لقد شاع استعمال كلمة تربية لدرجة تضرر منها هذا المصطلح، حيث عنى لدى الكثير من الناس رعاية الجانب الأخلاقي، بقولهم فلان حسن التربية أو قليل التربية ممـــا أدى إلـــى قصور في فهم مدلول المصطلح والتوقف عند المعنى السطحي دون مراعاة المدلول العلمي له أو حتى مجالات استعماله.

فمن الجانب اللغوي، تعني التربية المشتقة من كلمة رَبَى يُرَبي تربية النماء والزيـــادة، ومنه قول الرجل: «ربوت في بني فلان أربو نشأت فيهم، وربيته تربية أي غذوته، هذا لكل ما ينمى كالولد، والزرع، ونحوه.»"[1] وفيما عدا الأصل الثلاثي لكلمة التربية فللفظة معاني كثيرة.

أما اصطلاحا فقد اختلف المربون في تحديد مفهوم جامع لها، نظرا لاخـــتلافهم حـــول غرضها وأهدافها، وليس ذلك من عصر إلى عصر فحسب، بل حتى في العصر الواحد، ومن مفكر إلى آخر، ومرد هذا الاختلاف، هو فلسفة كل مفكر في الحياة، وموقفه من التربية، فهـــي كما يراها القدماء، كأفلاطون مثلا: « إعطاء الجسم والفرد في كل ما يمكن من الجمال، وكـــل ما يمكن من الكمال.»"[2]ومن هنا فهي بدنية مثالية، كنظرة صاحبها المثالي ترمي إلى إصـــلاح المجتمع والفرد من خلال قيام هذا الأخير بكل ما هو مفيد ونبيل للوصـــول إلـــى حالـــة مـــن السعادة.

أما في العصر الحديث، ومع تعقد أنظمة الحياة، زادت حدة الاختلاف بين المربين في رؤية كل واحد منهم للتربية، فدوركايم، يرى في النص الذي اقتبسه أحمد معروف أن التربية، «هي العمل الذي تحدثه الأجيال الراشدة في الأجيال التي لم تنضج بعد النضج الكامل الـــلازم للحياة فالتربية إذن هي التنمية والاعتناء بالنواحي المختلفة في الفرد سواء فكرية، أو روحيـــة، أو غيرها.»"[3]من بقية القدرات.

ولعل دوركايم يعرف التربية من وجهة علاقة الفرد بمجموعه الكلي، ومحيطه الخاص به. في حين، يعرفها وليام جيمس، من خلال نظرته الرسمية لها؛ أي من خلال نظرته للمحيط المدرسي، فيعتقد «بأنها فن يكتسب في الصف المدرسي عن طريق التـــدريب، ضـــرب مـــن الحدس، عن طريق الملاحظة التعاطفية للواقع ومعطياته.»"[4] وهو تعريف يلم بجانـــب واحـــد دون الجوانب الأخرى؛ ولعل التعريف الاصطلاحي الذي يجمع بين مختلف الرؤى والتوجهات هو: «أما التربية فإنها تفيد معنى التنمية وهي تتعلق بكل كائن حي(...)، وتربية الإنسان تبـــدأ في الحقيقة قبل ولادته ولا تنتهي إلا بموته وهي تعني باختصار: أن نهيأ الظروف المســـاعدة لنمو الشخص نموا متكاملا من جميع النواحي.(...)»"[5]

1- ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 464.
2- تركي رابح،أصول التربية والتعليم،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982 ، ص: 35.
3 - أحمد معروف، محاضرات في علوم التربية،دار الغرب،الجزائر،2003 ، ص: 17.
4- المرجع نفسه،ص:16.
5- تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ص:35.(باختصار)

إن كل مربي، وفي كل عصر، ينظر إلى التربية بمقتضى ثقافته، ومما هو موجود في عصره، والمفاهيم تختلف بين الأفراد والمجتمعات والعصور والديانات. ويعتر المسلمون أكثر اهتماما بها، لكونها تمثل عملية مستمرة، لا مرحلة آنية عابرة كما هي في بعض الثقافات.

فالتربية عند العرب المسلمين تفيد: « السياسة والقيادة والتنمية.»"[1]"ومفهوم السياسة كما هو متعارف عليه اليوم، متعلق بالتربية أيما تعلق؛ بحيث لا تنفصل السياسة عن التربية في أي ثقافة من الثقافات الراهنة، «كل تربية من جهة تتعلق باختيار سياسي، أكان المقصود الاعتماد الموافق عليه أم الطرق، أو البرامج، أو الاختبار؛ وفي النهاية، كل ما ينتظره المجتمع من التربية؛ وإن هذا الانتظار، يكون مختلفا تبعا للأنظمة»"[2]" و التنظيمات.

ومن هنا، أصبحت مشكلة التربية تتعدى المربين والمعلمين، إذا بلغ الاهتمام بها نطاق السياسة ومختلف شرائح المجتمع بمختلف توجهاتهم، ومنهم انشغال فلاسفة ومفكرين كثيرين، من أمثال ابن سينا في كتابه: «سياسة الرجل أهله وولده.»"[3]"

ولا تختلف تعاريف القدماء من العرب المسلمين للتربية كثيرا عن المحدثين، فقد شبه الغزالي فعل التربية بفعل الفلاح في قوله: «فمعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه.»"[4]" وهذا معناه صقل وتهذيب سلوك الإنسان واكتشاف الأشياء الجيدة والجديدة فيه، وتقويم وإزالة كل ما هو سيئ وقبيح في شخصه، والملاحظ على تعار يف المسلمين، سواء القدامى منهم أم المحدثون، أنها تركز على الوازع الديني، لأن كل هذه الأفكار من صلب الدين الإسلامي. ولما كان هذا الدين دين الحق فإن أهداف ومنهج التربية المتفرع عنه أكثر اقترانا بالواقع لتحقيق نتائج قد تعجز أي تربية حديثة عن تحقيقها.

وإذا كان الهدف من التربية في أية ثقافة هو الحصول إما على الرزق، أو العلم، أو التشبث بالأخلاق"[5]" ففي الثقافة الإسلامية تتجاوز التربية هذه الأغراض المذكورة إلى غرض أكثر أهمية وهو الوصول إلى التوازن ومعرفة الله، وهذا ما يضمن لها الاستمرارية والتواصل؛ ولعل هذه النقطة بالذات ــ الاستمرارية ــ الهدف الذي مازالت تسعى إليه التربية الحديثة والتي « تتميز بالانتقال من فكرة التعليم القصير المدة إلى فكرة التربية المستمرة.»"[6]"وهو صلب الدراسات التربوية الحديثة في الغرب اليوم. و السؤال الذي يطرح في هذا الحين، هو:هل ثمة فرق بين التربية والتعليم والتأديب ؟وما هو هذا الفرق؟

1- تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ص: 34.
2- أولفير ريبول،فلسفة التربية،(ت ر):جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1982 ، ص: 98.
3- تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ص:34.
4 - الغزالي،إحياء علوم الدين ،عيسى البابلي الحلبي،القاهرة ج3 ،1957 ،ص:54.
5- ينظر أحمد معروف، محاضرات في علوم التربية، ص:21، 22.
6- محمد الناصف،تأملات في التربية والتعليم،الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1984،ص:41.

الفرق بين التربية والتعليم :

يمكن تمثيل كل من التربية والتعليم بوجهين لعملة واحدة، إلا أن لكـــل واحـــد منهمـــا خصوصية تميزه عن الآخر، فإذا كان التعليم هو: «إلقاء الدروس داخل الأقسام لتحقيق غايات التربية وأهدافها.»"[1]" عن طريق إيصال المعارف للمتعلم الذي يتطلب منه استيعاب وفهم مـــا يقدم إليه بنشاط ووعي. فالتربية أشمل من هذا، وذلك أن التعليم مظهر من مظاهرها وناحيـــة من نواحيها، "[2]"ولاعتمادها التكوين الشامل للفرد، "[3]"ذلك أن تربيته تتطلب حضـــور نشـــاط، وعقل، وفن وموهبة المربي. « فكل فرد يربي هو شخصية فريدة لا تتكـــرر.»"[4]"وهـــذا مـــن فوارق التربية والتعليم، في كون الثانية تهدف إلى تكوين وتشكيل الوعي لدى الفرد، أما الأولى فهي موجهة بشكل رئيسي إلى «الوعي الباطني، فالتربية ليست نقط معرفة معايير السلوك. بل و استحالة مخالفة الأنظمة التي أصبحت منظمات داخلية للأفعال والتصرفات.»"[5]" قوة داخلية.

وهذا هدف السياسة التعليمة الإسلامية، وهو أن يرتقي المعلم بالمتعلم إلـــى التكـــوين الكامل الذي يجمع بين التعليم العلمي والتربية الإسلامية من أجل مواطن مسلم مثالي تحركـــه قوى العقل إلى ما يرضاه الله ويرتضيه، وليس الخوف من العقاب وإنما التأديب.

مفهوم التأديب:

التأديب هنا من أدب بمعنـــى «هذبـــه وراض أخلاقـــه علمـــه الأدب، عاقبـــه علـــى إساءة.»"[6]"أي التأديب في هذه الحالة مقترن بتوقيع العقوبة لكون العقاب وســـيلة مـــن وســـائل التأديب وبغض النظر عن كيفيته، وفي أي مرحلة يتم، ولكن المتفق عليـــه، أن العقـــاب لـــيس وسيلة أصلية في التربية الإسلامية"[7]"إذ تسبقه مراحل وأحوال يجب مراعاتهـــا والأخـــذ بهـــا، «فالعقاب نوع من الدعم الســـلبي بتقـــديم منبـــه منفـــر يصـــدر عـــن القـــائم علـــى عمليـــة التعليم.»"[8]"وأشكاله شتى، فمثلا يحق للزوج في الشريعة الإسلامية أن يؤدب زوجته لقولـــه تعالى: ﴿(...)وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾"[9]"

وفي الآية الكريمة جاء التأديب متدرجا وعبر مراحل، فالوعظ أولا، ثم الهجر ثانيا، ثم الضرب أخيرا. و إيقاعه يتم في حال تكرار المعصية"[10]"كما أنه مقيد بشروط فلا يكون مبرحا، ولا يحدث عاهة، ولا يترك أثرا، ولا يكون في منطقة حساسة فالتأديب في الشريعة الإسلامية

1- رشيد أورسلان، التسيير البيداغوجي في مؤسسات التعليم، قصر الكتاب، ط 2،2002،ص:17.

2- ينظر عزاز حسنيه، الشواهد النحوية للكتب المقررة للتعليم الثانوي (دراسة لسانية) ،رسـالة ماجسـتير إشـراف الأسـتاذ الدكتور: درار مكي،جامعة وهران،موسم 2004،2003، (مخطوط) ، ص: 195.

3- ينظر رشيد أورسلان، التسيير البيداغوجي في مؤسسات التعليم،ص:17.

4 - فريدمان ويكولا غينا، دليل المعلم إلى التربية وعلم النفس،ص:271.

5- المرجع نفسه،ص:271.

6- فؤاد إفرام البستاني،منجد الطلاب ،دار المشرق،بيروت ،ط1971،1،ص:05.

7- ينظر أبو عبد الله الجزائري، أساليب التربية الجزائرية،جريدة البصائر،الجزائر،العدد:49، 14ماي2001،ص:11.

8- أحمد محمد عبد الخالق، مبادئ التعلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2001 ، ص.90 .

9- النساء، الآية: .34

10- ينظر سعيد حوى، الإسلام، دار السلام، مصر، ط2، 1993، ص: 577.

مقيد بشرط السلامة كي يتحقق الهدف منه."[1]و قياسا على ذلك، أباحـــت الشـــريعة الإســـلامية ضرب الأولاد لتأديبهم وتعليمهم وهذه الرخصة يمتلكها ولي أمره، والوصي عليـــه، ومعلمـــه، سواء في المدرسة أم معلم حرفته.

وما يُشترط في تأديب الزوجة يشترط في تأديب الولد والمتعلم بالتدرج فـــي العقوبـــة واستحقاقه لها خاصة أثناء العملية التعليمية حيث يعتبـــر «التأديـــب والعقوبـــة آخـــر طـــرق التعليم.»"[2] فللمربي طرق شتى في تأديب المتعلم قبل اللجوء إلى الضرب «فالـــذم والتـــوبيخ عقوبة، وكذلك الحرمان من الجوائز عقوبة، والتهديد عقوبة ومنها الهجر وعدم تكليمـــه وقـــد تكون العقوبة المناسبة الأمر بتصحيح الخطأ، وبعـــد كـــل هـــذا يـــأتي الضـــرب بشـــروطه وضوابطه.»"[3] وقد يأتي العقاب بنتيجة عكسية على الرغم من كونه أثرا دافعا فـــي مواقـــف التعليم لأن «الاستجابة للعقاب تختلف من فرد إلى آخر.»"[4]حسب التركيبة النفسية لكل متعلم.

إن المدونة التي هي موضع البحث، مختصة بأدب المعلم والمتعلم، أكثر مـــن التعلـــيم والتعلم، ومن ثمة فهي إنسانية اجتماعية أكثر مما هي وظيفية عملية في كثير من مواضـــعها.إذ فيها التفسير المفصل للتأديب وتوقيع العقاب على المتعلم بحسب الشرع، وما يجوز للمعلم فـــي عقاب المتعلم وما لا يجوز له، وما هي عقوبته إن أفرط في ذلك.

والتأديب والعقاب الذي اتبعه السلف، هو ما أخذوه عن المعلم القدوة، رسول الله (صلعم) وهو غير الذي شاع بين معلمي القرآن في العصور المتأخرة، من أخذ الأطفال بالقسوة والعنف لدرجة تعالي أصوات الذين يميلون إلى تقديس المجتمعات الغربية ومناهجها بالإقلاع عن هـــذه الطريقة العنيفة وعدوها إرهابا، تحت شعار الحفاظ على الأطفال وحقوقهم لدرجة أنكروا فيهـــا الضرب على الآباء والأمهات."[5]

التعريف بالمدونة:

تعتبر المدونة الأنموذج التي اخترت العمل عليها كتابا محققا، لأني لـــم أتمكـــن مـــن الحصول على المدونة الأصل من جهة، ولأن العمل على المدونة المحققة أيسر للبحث وأقرب للحقيقة لما توصل إليه محققها من إزالات وإضافات وتعديلات موضوعية؛ أما الكتاب فعنوانه: "كتاب آداب المعلمين".

ومؤلف الكتاب هو: محمد بن سحنون، وقد تولى بتحقيقه وتقديمه محمود عبد المولى، متوسط الحجم في مائة وخمسين (150) صفحة، طبعته ونشرته الشركة الوطنية للنشر

1- ينظر سعيد حوى، الإسلام، ص: 577.
2- أبو عبد الله الجزائري، أساليب التربية الجزائرية، ص: 11.
3- المرجع نفسه،ص:11.
4- أحمد محمد عبد الخالق، مبادئ التعلم، ص: 90.
5- أبو عبد الله الجزائري، أساليب التربية الجزائرية، ص:11.

والتوزيع بالجزائر، وظهر في طبعته الثانية سنة 1981.هذا عن الشكل العام للكتاب، وفيما يخص المحتوى والمضمون، فيمكن أن أجمله في النقاط التالية:

1ــ يضم الكتاب مقدمة بقلم المحقق، تحدث فيها عن حاضر ومستقبل التربية الإسلامية، وهي مقدمة تحمل همومه في مواجهة مشاكل التعليم الراهنة بطرق سليمة على غرار ما كان في التعليم الإسلامي العربي، في العهود الأولى الذي يعتبر التربية والتعليم جزءاً لا يتجزأ من النظام الاجتماعي، ويعبر عن فلسفة خاصة بأرقى الديانات، وبفضله اكتملت الحضارة الإسلامية في زمن مضى،وبلغت درجة الازدهار، والتفوق على الحضارات الأوربية التي اعتمدت في وثبتها على علوم المسلمين فيما بعد."[1]"

2 ـــ وبعد المقدمة مباشرة أفرد المحقق عنصرا ضمنه الجانب المنهجي لعمله فأعطى تفسيرا لكل الرموز والإشارات التي استعملها إلى جانب ذكره لأسباب إعادة تحقيقه، ونشره للمخطوط وقد أجملها في نقص التحقيق الأول المنسوب لحسن حسني عبد الوهاب من وجوه كثيرة أهمها التساهل."[2]"

3 ــ انتقل المحقق بعد هذا إلى عرض الأبواب وعددها ثلاثة:

أ ــ ***الباب الأول:*** وعرض فيه المحقق بيئة المؤلف ، فلخص الوضع العام لبيئة القرن الثالث الهجري من نواحي شتى،وبيّن كيف فتحت إفريقية والمغرب،وكيف حل الحكم الإسلامي محل حكم البيزنطيين والفارسيين، وكيف انتشر الإسلام، وكيف اعتنقه أهل المنطقة وكيف قام الفاتحون بتعليمهم تعاليم الدين الجديد، واللغة العربية."[3]" ثم تكلم المحقق في جزئية جديدة عن القيروان،و عن معنى هذه الفظة ،وكيف نشأت هذه المدينة التي اتخذها الفاتحون نقطة انطلاق لفتح المغرب بأسره، وكيف جاهدوا للحفاظ عليها حتى الاستشهاد."[4]"

ليختم هذا الباب بعنصر الحياة الدينية والفكرية بها؛ منذ الفتح، حتى أواخر القرن الثالث هجري، وفيه أبرز المعالم الثقافية والدينية في ذلك العصر الذي مكنت القيروان أن تصبح حاضرة الثقافة، كما كشف عن أهم مذهب ديني معتنق بها وهو المذهب المالكي."[5]"

ب ــ ***الباب الثاني:*** عنوانه: (حياة محمد بن سحنون)، تعرض فيه المحقق لكل ما يمس حياته العلمية وغير العلمية، إذ بحث في اسمه ولقبه ومولده ونشأته"[6]"ورحلته إلى الشام في طلب

1- ينظر محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، (ت ق، ت ح): محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط2، 1981، ص: 05-08.

2- ينظر المصدر نفسه،ص:01-18.

3 - ينظر المصدر نفسه ، ص: 21-27.

4 - ينظر المصدر نفسه ، ص: 27-30.

5- ينظر المصدر نفسه، ص:30-36

6- المصدر نفسه، ص: 39-40.

العلم، "[1]كما تعرض أيضا لصفاته ولعلمه"[2] ثم مؤلفاته وشهرته العلمية."[3] وبذلك يكون قد قدم صورة واضحة وصادقة عن رجل من رجال التربية والتعليم في القرن الثالث الهجري.

ج ــ ***الباب الثالث:*** وعنوانه: (التربية الإسلامية وكتاب آداب المعلمين لمحمد بـــن ســـحنون.) وفيه تحدث المحقق عن شهرة الكتاب، ومن تعرض إليه واهتم به من الدارسين والمـــؤرخين. وفي الجـــزئية الأولـــى من الكتاب عنوان: (من أثار الدارسين والمؤرخين)"[4] ليتبعها بجزئية الكتاتيب وتعليم الصبيان في القرن الثالث هجري، وفيها بين أن هذا الكتاب الأساس المعتمد في تعليم الصبيان، وهو مرآة عصره، كما عرض ما جاء فيه من المسائل الأساسية التي تناولهـــا المؤلف."[5]وآخر جزئية عالجها المحقق في هذا الكتاب هي، ذكره لقدماء المعلمين تحت عنوان: (قدماء المعلمين في القرن الثالث الهجري). "[6]

4 ــ بعد عرض الأبواب وما جاء فيها انتقل المحقق إلى تحقيق الكتاب المتضـــمن العناصـــر التالية:

ــ ما جاء في العدل بين الصبيان.
ــ ما يكره محوه من ذكر الله تعالى.
ــ ما جاء في الأدب.
ــ ما جاء في الختم.
ــ ما جاء في الختمة بعطية العيد.
ــ ما ينبغي للمعلم أن يخلي الصبيان فيه.
ــ ما جاء في إجارة المعلم وفيما تجب.
ــ ما جاء في إجارة المصحف "[7]

5 ــ بعد تحقيق الكتاب، ألحق المحقق دراسته بصورة فوتوغرافية للمخطوطة الأصلية، لكتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون المحفوظة تحت رقم:8/787 بدار الكتب الوطنية بتونس."[8]

6 ــ ثم أتبع المحقق الصورة الفوتوغرافية للمخطوطة الأصلية بالفهارس العامة وضمنها:

أ ــ فهرس الأعلام."[9]
ب ــ فهرس الجماعات والقبائل"[10]
ج ــ فهرس الأماكن والبلدان"[11]

1- ينظر محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين،ص:41-44.
2- ينظر المصدر نفسه،ص:44-48.
3- المصدر نفسه،ص:49-54.
4- المصدر نفسه ،ص:57-60.
5- ينظر المصدر نفسه، ص: 61-65.
6- المصدر نفسه،ص:65،66.
7- المصدر نفسه، ص: 69-97.
8- ينظر المصدر نفسه، ص:101-103.
9- لمصدر نفسه، ص: 115-128.
10-المصدر نفسه،ص:129-131.
11- المصدر نفسه،ص:132-137.

د ــ فهرس المراجع العامة والخاصة، واحتوت على تسعة عشر مرجعا في التراجم، وتسعة مراجع في الفقه والحديث، وستة مراجع في القرآن وعلومه، وتسعة مراجع في تاريخ الحضارة الإسلامية، وخمسة مراجع في التاريخ والفتوحات، وعشر مراجع في التربية والتعليم، وأربعة عشر مرجعا أجنبيا ليصل عددها الإجمالي إلى اثنين وسبعين مرجعا "[1]"وفـــي الأخيـــر يخـــتم المحقق الكتاب بفهرس المحتويات"[2]"هذه تقريبا الصورة العامة لمدونة آداب المعلمين لمحمد بن سحنون المحققة، شكلا ومضمونا.

أهمية الكتاب:

يعتبر مؤلف (كتاب آداب المعلمين) لصاحبه محمد بن سحنون من الكتب المهمة فـــي مجال التربية والتعليم،وتظهر هذه الأهمية في نقاط عدة أحاول إجمالها فيما يلي:

1. أقدم كتاب متخصص في الآداب والتربية على مستوى المغرب العربي الكبير إن لم يكن على مستوى البلاد العربية الإسلامية قاطبة."[3]"

2. مُؤلفُ الكتاب علامة بارز من الأعلام الذين قضوا حياتهم في سبيل العلـــم وتحصـــليه يمتاز بالفطنة، كثير الوضع للكتب غزير التأليف"[4]" حيث ألف في جميع الفنون، ومن هنا اكتسب الكتاب هذه الأهمية، لأن عنايته بالكم لم تأت البتة على الكيف، فهو«رجل سبح في العلم سبحا.»"[5]"

3. يعتبر الكتاب همزة وصل بين العصور التي سبقت عصر المؤلف، إذ ليس من الصعب استنطاق الأوضاع التي كان يعيشها السلف الصالح قبل القرن الثالث هجري، من خلال رواية الأخبار والأحاديث ؛ وهذا دليل على التواصل الذي كان في قمته بين جيل وآخر، بل بين عصر وآخر.

4. احتواء الكتاب على مجموعة أحاديث تقدر بحـــوالي أربعـــة عشـــر حـــديثا مرفوعـــا بالأسانيد."[6]"

التعريف بصاحب المدونة:

يعد محمد بن سحنون من أشهر علماء المغرب العربي الكبيـــر فـــي القـــرن الثالـــث هجري،ولم تقف حدود شهرته عند هذه الرقعة الجغرافية، بل امتدت إلى المشرق العربي، حيث أبدى علماؤه الإعجاب به وعدوه من العلماء الواجب الأخذ عنهم ،ويعرف بأبي عبد الله محمد

1- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين ،ص:141-147.
2- المصدر نفسه، ص: 149،150.
3- ينظر المصدر نفسه ، ص: 05.
4- أبو عرب محمد بن أحمد بن تميم، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د ط د ت ن)، ص:129.
5 - المصدر نفسه،ص:129.
6 - ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين ،ص:69-88.

ابن سحنون"[1]" أما اسمه فهو عبد السلام بن سعيد ابن حبيب التنوخي"[2]"ولد سنة مائتين واثنين هجرية(202هج) بالقيروان (تونس).

لقد عهدنا في العلماء صفات، تجتمع فيهم؛ قلما نجدها في غيرهم من البشر العاديين وقد اجتمع في محمد بن سحنون إلى جانب العلم: الكرم، والجود، وبعد النظر، وسعة الحيلة، فقد كان «(...)كريما في نفسه ،سمحا بما في يده، جوادا بماله وجاهه، كان يصل من قصده بالعشرات من الدنانير، وكان وجيها في العامة مقدما عند الملوك، واسع الحيلة جيد النظر عند الحوادث والملمات.»"[3]"

نشأ محمد بن سحنون في بيت علم، ولا يختلف في فضل أبيه عليه وتنشئته السليمة له وتوليه تعليمه بنفسه، فوالده هو الآخر من أهل العلم، وقد تفرس فيه الإمامة كما تفرس فيه قصر العمر،حفظ القرآن وكل العلوم الضرورية، إذ يعتبر حجة لنبوغه المبكر في كل علوم عصره وبرز أيضا في المناظرة، والجدل، وسحر البيان."[4]"ولم تكن حياته هنيئة كلها مقتصرة على العلم والتعلم بل عانى من الويلات ما جعله يحتجب ويختفي حفاظا على حياته من الأذى الذي ألحقه به القاضي المعتزلي سليمان بن عمران وبأصحابه"[5]"إلى أن شكاه للأمير الأعلى الذي عاد إلى الرضى عنه بعد خصومته له، فرفع عنه الأذى ونصره على خصومه بعد أن قرأ له البيت الذي بعثه له وكان لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه وهو:

*فإن كنت مأكولا فأنت آكلي * * * وإلا تداركني ولما أمزق*"[6]"

كان المغاربة، وبخاصة أهل العلم، يقصدون المشرق، لأداء فريضة الحج، وطلب العلم معا. وكان هذا حال محمد بن سحنون أيضا، ففي سنة (235هج) رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج وطلب العلم"[7]" فسمع وأخذ عن كبار العلماء هناك، إلى أن صار «إماما ثقة عالما بمذاهب أهل المدينة وعالما بالآثار.»"[8]" فأخذ عن أبي الفضل بن حميد الفقه، وعلم الكلام،"[9]"وأخذ أثناء إقامته بمصر عن عبد الرحمن بن القاسم، وابن وهب ،و أشهب، وابن عبد الحكيم وشعيب ابن الليث، ويوسف بن عمر"[10]"كما أخذ العلم أثناء فترة إقامته بالمدينة المنورة عن أبي المصعب، وسلمه بن شجيب"[11]" ويعقوب ابن حميد بن كاسب وعن عبد الله بن نافع،

---

1 - أبو عرب محمد بن أحمد بن تميم،كتاب طبقات علماء إفريقية، ص:129.
2- ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:39.
3- أبو عرب محمد بن أحمد بن تميم، كتاب طبقات علماء إفريقية، ص:129(باختصار.)
4 – رابح بو نار ،المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص:80.
5 – أبو عرب محمد بن أحمد بن تميم، كتاب طبقات علماء إفريقية، ص:130.
6 – المصدر نفسه،ص:131.
7- ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:41.
8- رابح بو نار ،المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص:79.
9 – ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:41.
10 – ينظر المصدر نفسه ، ص:43.
11- ينظر أبو عرب محمد بن أحمد بن تميم،كتاب طبقات علماء إفريقية، ص:129.

وعن أنس بن عياض، وعن ابن الماجشون"[1]"وغيرهم فاكتسب منهم تجارب غنية وعلما غزيرا غزيرا حمله إلى القيروان فيما بعد فأنارها وأنار المغرب بأسره بل إفريقية بأكملها. و يعـــرف عنه أنه كان«في مذهب مالك من الحفاظ المتقدمين وفي غير ذلك من المذاهب من النـــاظرين المتصرفين.»"[2]"

إن محمد بن سحنون، من أكثر علماء زمانه تأليفا؛ حيث ألف في جميع الفنـــون إلا أن هناك من المؤرخين من يبالغ في عدها على حسب رأي رابح بونار فهو يعترض على صاحب الرياض الذي أبلغ عدد مؤلفاته إلى مائتي كتاب فيقول: «هو عدد مبالغ فيه بلا ريب.»"[3]"

أما محمود عبد المولى، فيميل إلى رأي المرحوم حسن حسني عبد الوهاب الذي يـــرى أنه اختلط على هؤلاء المـــؤرخين عـــدد الأجـــزاء، ضـــمن عـــدد الكتـــب، فبلغـــت بـــذلك المائتين"[4]"«وأغلب هذه التآليف مفقودة أو مجهول محل وجودها.»"[5]"ويمكن حصر هذه الكتـــب بالرجوع إلى مؤلفات مختلفة جاءت على ذكر ما كتبه محمد بن سحنون، ككتب الفقه، والسيرة، وغيرها.ومن بين مؤلفات هذا العالم ما يلي:

- الرسالة السحنونية في فقه مالك وأجوبته."[6]"
- الإباحة."[7]"
- الرد على أهل البدع.
- كتاب التاريخ في ستة أجزاء.
- كتاب الأشربة وغريب الحديث في ثلاثة أجزاء.
- الحجة على القدرية.
- الورع.
- شرح أربعة كتب في مدونة سحنون.
- آداب القاضي.
- تحريم المسكر.
- كتاب في السير في عشرين جزءا.
- المسند في الحديث.
- تفسير الموطأ في أربعة أجزاء.
- الإمامة.
- رسالة في من سب النبي (صلعم).
- كتاب الإيمان والرد على أهل الشرك.
- الحجة على النصارى.
- الرد على الفكرية

1- ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:44.
2- أبو عرب محمد بن أحمد بن تميم، كتاب طبقات علماء إفريقية، ص:129.
3- رابح بو نار، المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص:79.
4- ينظر محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين،ص:51.
5- المصدر نفسه،ص:51.
6- ينظر رابح بو نار،المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص:80.
7- ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:50،51.

- طبقات العلماء في سبعة أجزاء.
- رسالة في معنى السنة.
- مسائل الجهاد في عشرين جزاءً.
- كتاب آداب المعلمين (المدونة التي بين يدي).
- رسالة في معنى السنة.

وتتميز هذه الكتب« بإعمال الرأي وجودة العرض، بخلاف كتب بعض معاصريه كابن عبدون، وقد شهد له بذلك علماء مصر.»"[1]" ولو لم يتوف في ذلك السن المبكر لألف المزيد في علوم عصره.

لا يختلف أحد من المؤرخين في أن وفاة محمد بن سحنون كانت سنة 256هج ودفـــن بالقيروان"[2]"فأصاب الناس ذعرا وهلعا لدرجة الاحتشاد حول قبره، وملازمته مدة من الزمن،"[3]" الزمن،"[3]" بل جعلوه مزارا لهم فيما بعد"[4]" كما رثاه شعراء كثر من مثل أبو الحسن الكانسي في في قوله:

*ألا فابك للإسلام إن كنت باكيـــــا * * * محل من الإسلام أصبح واهيـــــا*
*تثلم حصن الدين فانهد ر كنـــــــه * * * عشية أمسى في المقابر ثـــاويـــــا*
*إمام حبـــاه الله فضلا وحكمـــــــة * * * وفقهه في الدين كهلا و فانيـــــا "[5]"*

كما رثاه أيضا أحمد بن سليمان والقاضي عياض"[6]"ومثله يستحق أن يرثى .

1- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص:80.
2 - ينظر محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين،ص:52.
3- ينظر رابح بونار،المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص:80.
4- ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:52.
5- رابح بونار،المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص:81.
6- ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:52،53.

الفصل الأول :

- المعلمون والمتعلمون في المدونة
  - ✓ المعلمون
  - ✓ المتعلمون

المعلمون:

يعتبر المعلم على اختلاف الأزمنة والأمكنة، عنصرا لا يمكـــن تغييبـــه فـــي الموقـــف التعليمي، على الرغم من انخفاض نسبة هيمنته على مناخ الفصل الدراسي وما يحدث فيه فـــي العصر الحديث، إذ أصبح دوره مقتصرا على تنظيم وتوجيه العملية التعليمية، فيخرج بذلك من الدور الكلاسيكي، المتمثل في التلقين إلى دور واضع المشكلة والمُلاحظ لكيفية حلها، والمنشـــط لأدوار المتعلمين، فهو«إذن ليس إلا مصدرا واحدا من مصادر المعرفة المختلفة.»"[1]"

و المعلم بالمفهوم الحديث هو: «الشخص الذي تلقى تكوينا خاصا لمرحلة تعليمية معينة وهي مفصلة في النصوص التطبيقية لوزارة التعليم، ووزارة التكوين المهني، ووزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي، زيادة على الرغبة في مهنة التدريس وحبها.»"[2]" و هذا يعني أن المعلـــم يجب أن يكون حاملا لشهادة علمية تمكنه من تدريس مادة معينة حسب تخصصه فـــي طـــور تعليمي معين حسب شهادته.

أما محمد بن سحنون فيعتبر شهادة التعليم التي يحملها المعلم والتي تؤهله لهذا العمل أو عدمه مقدار حفظه للقرآن وعلومه «وتعني الجودة عند هؤلاء حفظ القرآن عن ظهر قلب فالمعلم يحمل المصحف الشريف في صدره بشكله وطريقة نطقه.»"[3]" و هذا حال المعلم فـــي مشـــارق البلاد الإسلامية ومغاربها، «إذ كان المعيار الأول للعلم مقدار ما حفظ منـــه، وكـــان العلمـــاء يتباهون بمقدار ما حفظوا، ويمتدحون إذا أملـــوا من حوافظهم.»"[4]" والمعيار نفسه سواء قبـــل القرن الثالث هجري،« فهذا حماد بن سلمة (ت 167هج) يملي الحديث.»"[5]" أو بعده وحتى زمن متأخر جدا يمتد إلى القرن التاسع عشر فهذا محمد البشير الإبراهيمي يذكر أنـــه تعلـــم بـــنفس النمط، يقول: « وكان الذي يعلمنا الكتابة ويلقننا حفظ القرآن جماعة من أقاربنـــا مـــن حفـــاظ القرآن.»"[6]"ولعل هذا يدل على نجاح السياسة التعليمية التي اتبعها السلف الصالح دهـــرا مـــن الزمن.

فضل المعلم:

لا أعتقد أن هناك ثقافة ولا ديانة تعطي المعلم حقه، وتنصره وتمجده، كما هو الحال في الثقافة والدين الإسلاميين، وقد أتى هذا التمجيد في أكثر من نص في القـــرآن الكـــريم يقـــول الرحمن: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وأُولـُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لاَ إِلـَهَ إِلاَّ هُـوَ العَزِيـزُ الحَكِيمُ﴾"[7]" فأي شرف، وفضل كهذا حين يجعل الله أهل العلم ثالث ثلاثة.

1- محمد شارف السرير ونور الدين الخالدي،الفعل التعليمي التعلمي، الاتحادية الوطنيـــة لعمـــال التربيـــة، معســـكر، 1998، ص:19.

2- أحمد معروف،محاضرات في علوم التربية، ص:90.

3- عزاز حسنيه،الشواهد النحوية في الكتب المقررة للتعليم الثانوي (دراسة لسانية)،مذكرة ماجستير،ص:.12

4- محمد إبراهيم عبادة، النحو التعليمي في التراث العربي، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1987، ص: 213.

5- المرجع نفسه،ص: 211.

6- محمد طه الحجازي، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر،معهد البحوث والدراســـات الأدبيـــة،(د م ن)، 1968 ص:.105

7- آل عمران، الآية: 18 ،وينظر أيضا المجادلة، الآية:11 ،و الزمر، الآية:10.

هذا عن النص القرآني، أما ما ورد في السنة فشرح وزيادة توضيح له، ومما ورد فيها ما ذكره السلف الصالح عن رسول الله (صلعم)، قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه.»"[1]" بل ذهب شفيع الأمة إلى أبعد من ذلك إلى منح الأسرى ممن يعرفون الكتابة والقـراءة حـريتهم مقابل تعليم أولاد المسلمين الكتابة والقراءة. «وقد كان النبي يفادي الرجل يعلّم الخط.» "[2]" وهذا الصنيع من مثل نصرة حملة العلم والاعتراف بفضلهم، والحفاظ على كرامتهم، لم يحدث قبـل الإسلام في أي ثقافة أخرى،ولا يزال السلف الصالح على خطى الحبيب في انتهـاج سياسـته التعليمية ابتداء بتقدير العلم وأهله، إلى التفصيل في المناهج التعليمية، حيـث قسـموا التعلـيم حسب مراحل العمر.

وقد أيقن القدماء ممن تخصصوا في تعليم أولاد المسلمين أنه يجب إعداد من يقوم بهذه المهمة إعدادا سليما، فالمعلم المسلم لا يجب أن يكون معلما عاديا البتة، ولأن «الرجل لا يولـد عالما وإنما العلم بالتعلم.»"[3]"كما روى ابن عبد البر عن أبي الأحوص في القول الذي أورده ابن باديس في كتابه، نظر المعلمون في القديم إلى كل ما يربط المعلم بالمتعلم وفصلوا فـي هـذا المجال، بل أفردوا له كتبا خاصة ففصلوا في صفات المعلم وماذا يعلم؟ولماذا يعلم ؟ وما هـي النتيجة التي يجب أن يصل إليها؟ وما أهدافه ؟

ولعل هذا يذكرني بما جاء في الخطاطة التي وضعها فرانك سنة 1970م ليساير بـذلك الثورة الإلكترونية التي شهدها العالم المعاصر، والتي أثرت في مجال التربية والتعلـيم بشـكل مباشر، وهي تنطبق إلى حد بعيد مع السياسة التعليمية الإسلامية التي وضعها القدماء، وهـذا نموذج منها كما أدرجها محمد الدريج في كتابه:

الخطاطة التعليمية لفرانك"[4]"

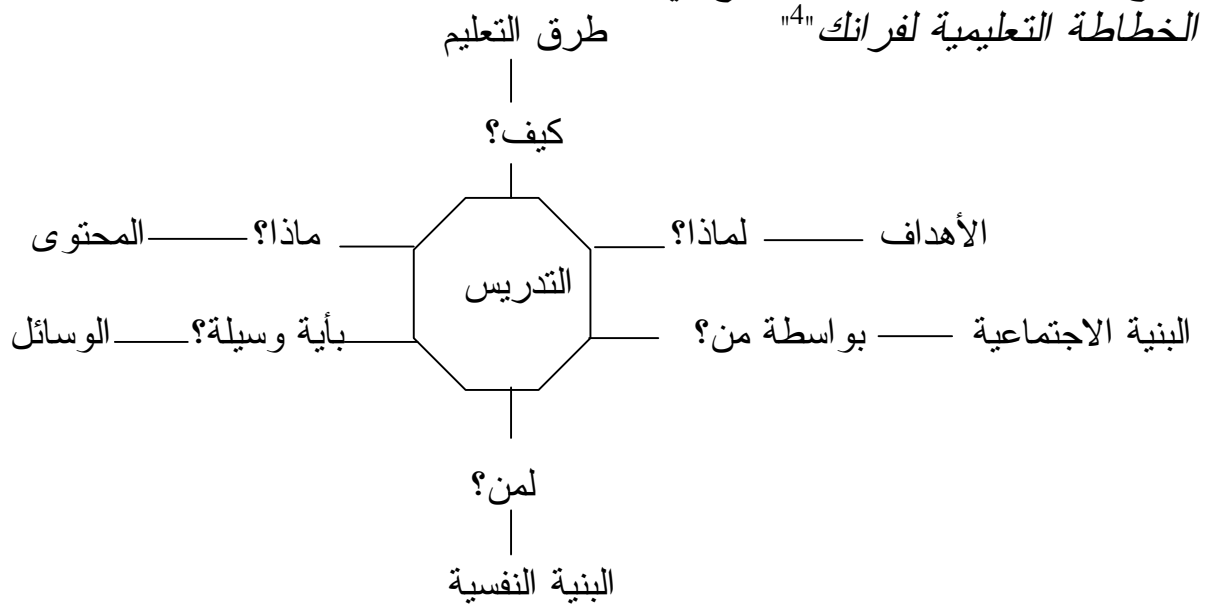

1- البخاري ، صحيح البخاري ، (ت ح): مصطفى ديب البغا، دار الهدى،الجزائر ،ج4، (د ت ن) ،ص:1919.
2- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين ،ص: 95.
3- ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية،ط 1983،1، ص: 191.
4- محمد الدريج ، تحليل العملية التعليمية ، ص: 30.

و لأني أتكلم في هذا الفصل عن المعلم فسأبدأ بطرح سؤال من يعلم؟ وهو سؤال يوافق في الخطاطة السابقة البنية الاجتماعية، أو بواسطة من؟هذا الفرد الذي يدعى المعلم والذي يعد طرفا في العملية التعليمية،يتميز بالضرورة بجملة خصائص وصفات تحددت في كل مجتمـــع حسب ثقافته وعقيدته،وقبل هذا كله هل يقصد محمد بن سحنون في مدونته المعلم أو المؤدب ؟ أو كان يقصد كلا من المؤدب والمعلم معا ؟

ولمعرفة ما كان يقصده من هذا المصطلح الذي أراده في مدونته حاولت القيام بعمليـــة إحصائية لكل من لفظة معلم، وما يتعلق بها كمتعلم، و لفظة مؤدب، وما يتعلق بها كأدِّب، وأدّب ووضعت النتائج التي تحصلت عليها في هذا الرسم التوضيحي التالي:

خطاطة إحصاء لفظتي معلم ومؤدب في المدونة:

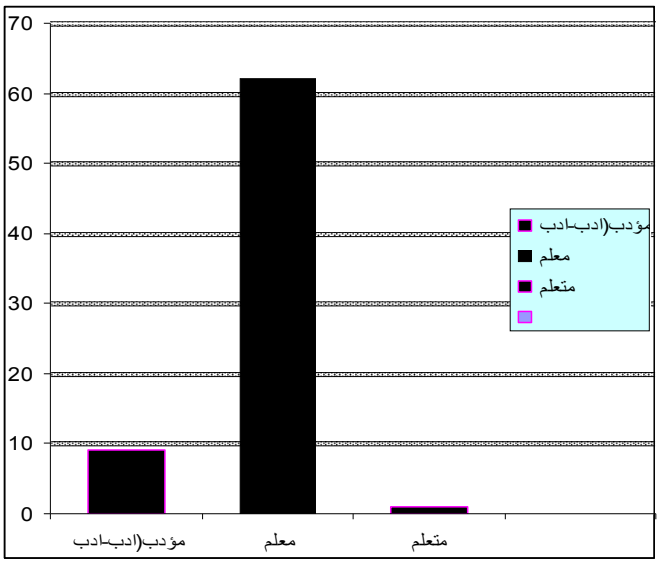

إن الملاحِظ للرسم التوضيحي لنسب استعمال محمد بن سحنون للفظتي معلم ومـــؤدب واشتقاقاتهما المتعلقة بهما، يدرك من أول نظرة ميل صاحب المدونة لاستعمال لفظـــة معلـــم بنسبة 62% مقابل استعماله للفظة مؤدب بنسبة 09% فقط رغم شيوع استعمال لفظة مؤدب في عصره لأن المتعارف عليه في القديم هو التأديب قبل التعليم، لذلك كان يسمى المعلـــم مؤدبـــا، والكتب التي تتكلم عن أولاد الخلفاء والأمراء تشير إلى أنهم كانوا يتخذون لأولادهم مؤدبين ولم تشر إلى المعلمين،فهل كان يقوم المؤدب بوظيفة المعلم ؟ولماذا تجاوز محمد بن سحنون عصره واستعمل لفظة معلم دون لفظة مؤدب ؟ وهل المدونة متخصصة بالتعليم أو بالتأديب ؟

أميل إلى أن محمد بن سحنون لا تنقصه الحيلة ولا الذكاء لجعل هـــذه المدونـــة كتابـــا تعليميا،إذ لعله أراد التعليم وليس التأديب،إلا أن ما هو موجود في عصـــره حـــال دون ذلـــك، فمؤلفه أول ما ظهر في مجال التعليم والتعلم ،وإخال أنه لو وُجدت مادة استسقى منهـــا أفكـــارا تعينه على بناء نظريته الخاصة في التعليم والتعلم ،لقدّم الكثير.

و مع هذا لا يمكن الجزم بتصنيف المدونة في خانة التعليم و التعلّم لأن فحواها التأديب أكثر من التعليم، رغم إرادة صاحبها الواضحة في جعلها مدونة مختصة بالتعليم و التعلّم و لعل العنوان الذي اختاره لها خير دليل على ذلك. فلو أراد بها التأديب دون التعليم لجاء العنوان على الشكل التالي: "كتاب آداب المؤدبين" بدلا من "كتاب آداب المعلمين" إلا إذا كان يقصد التأديب و التعليم معا، كما يطرح هذا إشكالا آخر،و هو تركيزه على المعلمين في العنوان دون المتعلمين، مع العلم أنه كان من السهل عليه قول:" كتاب آداب المعلمين و المتعلمين."

و تغييبه للمتعلمين في العنوان لم يأتي عرضا و إنما قصد بذلك التخصيص (المعلمون فقط) لذا جاءت المدونة مقتضبة جدا لا تصف وضع المتعلمين و المواد و الطرائق و الوسائل بأي حال من الأحوال بالشكل الذي يشفي نهم الباحث، و يعطيه صورة واضحة عن طبيعة العملية التعليمية في ذلك العصر بإيجابياتها و سلبياتها و هذا ما يجعل المدونة شبيهة بالدليل التشريعي للمعلمين.

و منه فدراستي لهذا الجزء بالذات (المعلمون) جاء على غرار ما ذكر في المدونة أي من وجهة التأديب، أكثر من التعليم رغم أني عنونت هذا الجزء من الفصل بالمعلمين إلا أني قصدت من وراء ذلك الصفات و الآداب التي يتحلي بها كل من المعلمين و المؤدبين،و لذا قد تركز دراستي على هدف التعليم أكثر من هدف التأديب، لأن الأول لا يتم إلا بوجود الثاني لا محالة.

واجبات المعلم:

ذكر محمد بن سحنون في كتابه صفات واجب توفرها في المعلم ليكون أهلا لهذه الصنعة النبيلة، إلا أنه لم يفصل فيها بل ذكرها بإيجاز كبقية العناصر ولعل هذا راجع إلى اعتقاده أن هذا الكتاب بمثابة الدليل المختصر للمعلم والمتعلم ،الأطفال دون المتعلمين الكبار وهذه الصفات هي:

العدل:

وهو مطلب من مطالب الشريعة في كل الأمور يقول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾"[1]" ومن هنا بات العدل في السياسة التعليمية التي وضعها الرسول (صلعم) مطلبا واجب التحقق، كما أشار إليه محمد بن سحنون في المدونة يقول: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم، وغنيهُم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين»"[2]"فإذا كان التعلم من حق كل مسلم بل واجبا على كل مسلم، فلا يجوز لأي معلم أن يمنعه أحد المتعلمين مهما كان الأمر كأن يعطيه لأحد المتعلمين كاملا وللآخر منقوصا، أو يحسن إلى من يهاديه ويخلي البقية.

1- النساء، الآية: 58.

2- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين ،ص: 74.

ومن أجل ذلك، جعل محمد بن سحنون ثاني نقطة في المدونة العدل بعد إشارته لفضـــل تعلم القرآن وتعليمه وأهميته، فهو يري وجوب حصول العدل بين المتعلمين؛ وبخاصة الصغار، لأنهم أكثر حساسية. ولتتم العملية التعليمية بنجاح ويحقق المعلم الهدف المرجو، وهذا ما أشـــار إليه علم النفس التربوي حديثا بعد الدراسات التي أجريت على المتعلمين، ونسب تحصيلهم، ومن بينها دراسة أجريت على تلاميذ الثاويات بأمريكا للبحث في صفات المعلم الناجح أو المـــدرس الجيد فكانت نتائج الدراسة كالآتي:

من الصفات المطلوبة في المعلم الناجح عدم التحيز والعدالة في التصحيح"[1]"إضافة إلـــى صفات أخرى سأذكرها في حينها، هذا من جهة المتعلم وقد انطبق المعيار المطلوب ذاته مـــن وجهة نظر المعلمين الذين يركزون في الندوات والاجتماعات على: «حاسة العدل.»"[2]"

ولعل العدل بين المتعلمين أهم سبب أدى إلى نبوغ وبروز علماء ذلك العصر فكما كان أبناء الرجل الواحد كان تلاميذ الرجل الواحد على حد قول الغزالي الذي أورده حمانة البخاري، فهو يرى أن من أهم واجبات المعلم: «المساواة بينهم في التكوين والمعاملة دون تمييـــز بيـــنهم على أساس الجنس، أو المادة، أو العلاقات الخاصة.» "[3]"

ولما كانت الثقافات الأخرى غارقة في جهلها، إذ قامت أساسا على مناقضة الفطرة فـــي عدم المساواة والعدل، كرست جهدها بعد وثبتها في البحث عن نظريات وأنظمة تسد بـــه هـــذا الفراغ، فأوجدت ما تسميه الآن بعلم النفس التربوي، وعلم نفس الطفل، وبعض الدراسات التي استوردتها الدول العربية المسلمة ، ورفعت شعارات تكافؤ الفرص في التعليم بين أفراد الأمـــة، في حين مبدأ التكافؤ نابع من مبدأ المساواة في الإسلام."[4]"

وهكذا يتضح لماذا جعل محمد بن سحنون العدل في التعليم النقطة الثانية في المدونـــة، والصفة الأولى التي يجب على المتعلم أن يتحلى بها، حتى لو لم يدفع له المتعلم أجرته، فواجب عليه أن يعدل بينه وبين أقرانه في العلم الذي يقدمه، وفي المعاملة؛ لأن أمر الأجرة خارج عـــن نطاق المتعلم، فأمرها بيد ولي أمره، لذلك على المعلم ألا يخلط هذا بذاك، ويبـــين محمـــد بـــن سحنون هذا في قوله: «إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم ــ أي الصبيان ــ كتب من الظلمة.»"[5]" والجزاء في هذا القول واضح لا يحتاج إلى تفصيل، وفي قوله أيضا: «ولـــيجعلهم سواء في التعليم الشريف والوضيع وإلا كان خائنا.» "[6] "

ولعل من أعظم المضار التي تنجم عن عدم عدل المعلم بـــين المتعلمـــين فـــي العلـــم أو المعاملة، ما يلي:

1- ينظر عبد القادر ميسوم، تحسين الأداء التربوي والفعالية لدى المدرسين، الديوان الوطني للمطبوعات جامعية، الجزائر،(د ت ن)، ص: 11.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 12.

3 - ينظر حمانة البخاري، التعلم عند الغزالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 ، 1991، ص: 161.

4 - ينظر إسحاق أحمد فرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الشهاب، الجزائر، 1983، ص: 80.

5- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص:.74

6- المصدر نفسه، ص:.87

ـــ خلق الغيرة بين المتعلمين.
ـــ انتشار الكره والعدوان بين المتعلمين.
ـــ بروز فئة على حساب فئة.
ـــ إهمال القدرات الفكرية والإبداعية، وعدم استغلالها والاستفادة منها جراء التهميش.

ومن المشاكل النفسية التي يتخبط فيها المتعلمـــون: الســـرقة، والكـــذب، والانطـــواء، والخجل، وأكثرها خطورة التسرب المدرسي، وهو ظاهرة تناقش في أغلب المؤتمرات التي تعقد من أجل حل مشاكل التعليم والتعلم في البلاد العربية الإسلامية، ومثار اهتمام كل من يكتب في هذا المجال."[1]"

ومن هنا بات العدل بين المتعلمين، يكسبهم ثقة وعزة نفس. وفرصة لإظهـــار قـــدراتهم العقلية دون خوف أو خجل، كما يكسب المعلم محبة في قلب المـــتعلم، وبـــذلك تُـــدفع العمليـــة التعليمية إلى الأمام، دون أن تعطل مسارها واحدة من المشاكل التي يثيرها التسلط وعدم العدل بين المتعلمين.

ومن أمثلة العدل بين المتعلمين في القديم، قصة أحد أولاد الخليفة المهدي حين حضـــر عند الإمام (شريك) فسأله ابن الخليفة عن حديث وهو مستند إلى الحائط فلم يعره هذا المعلـــم انتباها، ثم أعاد الكرة وعاد (شريك) مثلها، فقال ابن الخليفة: «تستخف بـــأولاد الخلفـــاء هـــذا الاستخفاف؟ فقال:لا ولكن العلم أجلّ من أن أضيعه.»"[2]"وهذا لكونه مستندا غير متـــأدب فـــي جلسته، وهو في حلقة العلم، فلا فرق بين أولاد الخلفاء وأولاد العامة فمن مال أو أخطأ يـــؤدب، حتى لو كان ابن الخليفة نفسه، وبهذا الخلق استطاع المربي في القديم أن يكتسب هيبة في نفوس المتعلمين، إذ يعد رمزا للعدل والمساواة ونقاء السريرة لما شُوهد منه من إنصاف بين المتعلمين في التعليم والتأديب معا. ومن صفات وأحوال المعلمين والمؤدبين التي أتى محمد بن ســـحنون على ذكرها في المدونة:

الاجتهاد:

ويقصد بالاجتهاد المثابرة والعمل من أجل تحســـين الأداء ورفـــع مســـتوى تحصـــيل المتعلمين يقول محمد بن سحنون: «وليلزم المعلم الاجتهاد.»"[3]" وهو مطلوب في كـــل الأمـــور التي تمس العملية التعليمية من قريب أو بعيد، سواء تعلق الأمر بمراقبة المتعلمين والإشـــراف على مكان تعلمهم، ومراعاة اختلافاتهم الفردية في سرعة الفهم وبطئه، أم في التوجيه العـــام. وإذا التزم المعلم الاجتهاد في كل عناصر العملية التعليمية خاصة فيمـــا يتعلـــق بعلاقتـــه مـــع المتعلمين لكسبهم والتأثير فيهم بسرعة، «يبلغ بنوع من الانتظام الأهداف التي تخص مباشـــرة أو بصفة غير مباشرة، إكساب التلاميذ للمعارف.»"[4]"

1- تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ص: 410.
2- عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ، دار الشهاب، باتنة ، ج1، 1987،ص: 408
3- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص: 81.
4- عبد القادر ميسوم، تحسين الأداء التربوي والفعالية لدى المدرسين، ص: 16.

ومن هنا يبرز فكر صاحب المدونة، الذي يتمحـــور حـــول الحركيـــة والاســـتمرارية، فالاجتهاد مقرون بالنشاط ومحاولة التغير نحو الأفضل، وهي سمة من سمات المسلم بلا شك،فلا غرابة أن تنطبع و تتجذر في كل مجالات حياته دون الحاجة منه إلى مـــؤتمرات أو منظمـــات عالمية تذكرة وتسن له القوانين للالتزام بفعاليته ونشاطه واجتهاده الذي تناســـاه فـــي القـــرون الأخيرة جراء الحروب، وهجرة الأدمغة، والتحول نحو التيار الغربي.

التفرغ:

بما أن المعلم قد اتخذ قراره بتقلد مهنة التعليم وهي مهنة خطيرة لأنهـــا عمليـــة إنتـــاج العقول البشرية النيرة، فلا بد له أن يتفرع لها كل التفرغ، ولا ينشغل عنها بأمور أخرى مهمـــا كانت هذه الأمور بالغة الأهمية، ويوضح صاحب المدونة هذا بقوله: «ولا يحل للمعلم أن ينشغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه، فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلـــك ينظـــر إليهم، ويتفقدهم وليتفرع لهم، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز إلا فيما لابد له منه يلزمه النظر في أمره، لأنه أجير لا يدع عمله ولا يتبع الجنائز، ولا عيادة المرضى.»"[1]"

وما دام قد « تقلد أمرا عظيما، وخطيرا جسيما.»"[2]" على حد قول الإمام الغزالي الـــذي أورده حمانة بخاري في كتابه، فرض عليه احترام واجبه، وهو بنـــد يحـــرص علـــى تطبيقـــه التشريع المدرسي في كافة دول العالم، فالوقت المحدد لتعليم المتعلمين لا يجوز التصرف فيـــه والانتقاص منه، لأنه من حقهم حتى ولو كان هذا الوقت المنتقص لفائدة كتأليف الكتب « قلـــت: فهل ترى للمعلم أن يكتب لنفسه كتب الفقه أو لغيره؟ قال: أما في وقت فراغه من الصبيان فـــلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس، مثل أن يأذن لهم في الانقلاب، وأما مـــادامو حولـــه فـــلا،أي لا يجوز له ذلك، وكيف يجوز له أن يخرج مما يلزمه النظر فيه إلى مالا يلزمه؟ ألا ترى أنـــه لا يجوز له أن يوكل تعليم بعضهم إلى بعض، فكيف يشتغل بغيرهم.»"[3]"

فلا يجعل المعلم مطالب الدنيا ومشاغلها تلهيه وتشغله عن المتعلمين، وقد بين محمد بن سحنون أنه حتى وهو مع صبيانه ملازم لتعليمهم، لا يحق له أن يوكل عليهم أحـــدا، فينشـــغل عنهم، كأن يغادر مكان التعليم، أو ينصرف لقضاء مصلحة خاصة كتعليم أطفال آخرين، وهـــم بين يديه. والواجب أن ينتظر انصرافهم من حوله فيتصرف في وقت فراغه كما يشاء.

ولقد أدرك محمد بن سحنون ببصيرته النافذة مخاطر انشغال المعلم عن المتعلمين، وما ينجم عن ذلك من تحول الحلقة العلمية إلى حلقة لهو للصبيان، ومن تســـرب مـــن الكتـــاب أو المسجد، أو مكان التعليم عامة، ومن كره للمعلم والمتعلم على حد سواء نتيجـــة جعـــل المعلـــم عريفاً (حارسا) عليهم يحرسهم أثناء انشغاله عنهم، وغيرها من المضار التي يولدها عدم التفرغ لأداء هذا الواجب، ويجوز للآباء إذا علموا تفريطا من المعلم في تعليم أولادهـــم أن يُخرجـــوا أولادهم من عنده، ويعفوه من تعليمهم، أو يمنعوه أجرته، لقول محمد بن سحنون: «إذا كان

1- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين، ص: 81.
2- حمانة البخاري، التعلم عند الغزالي ، ص: 160.
3- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص:82.

أولياء الصبيان يَعلمون تضيعه، فإن شاءوا أعطوه على ذلك، وإن شاءوا لم يعطـــوه.»"[1]" كمـــا يجوز لأولياء الأمور شكا يته لأولي الأمر،فإما أن ينَّحى عن التعليم ،وإما تسقط شهادته وهـــو الغالب لقول محمد بن سحنون: « ومن هاهنا سقطت شهادة أكثر المعلمين لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم إلا من عصم الله.»"[2]"

ولذلك نرى اليوم اعتماد وزارات التعليم والتربية في كل بلدان العالم، ونقابات المعلمين فيها على: حماية حقوق المدرسين، وحماية مكاسبهم، ورفع مستواهم الفني، والمهني، والعلمي، والاقتصادي، والاجتماعي و«تحسين مستوى العملية التعليمية ككل، ومساهمة النقابة في رفـــع مستوى المدارس ومستوى التعليم يأتي عن طريق ما تعقده من مؤتمرات، وندوات تربوية، وما تساهم به في دورات التدريب التي تعقد لرفع مستوى المدرسين.»"[3]"

و إلى جانب ذلك، هذه الوزارات والنقابات جد صارمة إذا تعلق الأمر بتهاون المعلم في أداء واجبه، فهي لن تتهاون في فصله أو إحالته للتحقيق، وعقابه أو إنذاره. و هذه السلطة غالبا ما تكون بيد المدير، وذلك في البلدان التي تتمتع بحكم ديمقراطي، الذي يتميز بسلطات واســـعة تمتد إلى: «المراقبات التعليمية في إدارة شؤون التعليم، وإصدار اللـــوائح المنظمـــة لشـــؤونه، وتعديل مناهجه، وتوجيه مدرسيه، وتقويم نموهم ونجاحهم.»"[4]"

وهذا كله يحيل على فكرة تقويم المعلمين التي هي بالأساس فكرة قديمـــة كمـــا ســـبق ملاحظته في تراثنا التعليمي عند محمد بن سحنون، وليست وليدة التعليمية، ولعل الجديـــد فـــي الأمر، نوعية التقويم، وطرائقه ووجهته،ليس إلا."[5]"و منه فتراثنا التعليمي لم يهمل أبـــدا إعـــداد المعلم إعدادا سليما وتقييمه ثم تقويمه كلما احتاج الأمر ذلك.

الرحمة والعطف:

وهي صفة أخرى من الصفات التي يجب على المتعلم أن يتصف بها. فالمتعلم يميل إلى المعلم الذي يظهر له المودة، والتعاطف، وخاصة المتعلم الصغير، ولما كانـــت هـــذه المدونـــة تختص بتعليم الصغار دون الكبار، فقد ركز صاحبها على كيفية تأديب المتعلم، وأظـــن أن مـــا ذكره في هذا الباب يرتقي إلى التشريع المدرسي المثالي، لأن تطبيق حكم الشرع فيه واضـــح، وسآتي على ذكر ذلك بعد هذه النقطة مباشرة.

وكما سبق أن ذكرت، فإن السياسة التعليمية الإسلامية مستمدة مـــن القـــرآن والســـنة، فالرحمة والعطف سمة يجب أن يتصف بها كل الناس، والمعلمون بشكل خاص، وفي ذلك قال

1- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين ، ص:79.

2- المصدر نفسه ، ص: 79.

3- عمر محمد التومي الشيباني، دراسات في الإدارة التعليمية والتخطيط التربوي، دار الكتب الوطنية، بنغـــازي، ط1، 1992، ص: 143.

4- المرجع نفسه، ص:82.

5- ينظر رابح قدوري، مقياس تقويم المعلم، المجلة الجزائرية للتربية، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، العـــدد الأول، الســـنة الأولى، نوفمبر، 1994، ص:87.

عليه الصلاة والسلام:« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا. »"[1]"

وقد اكتفى محمد بن سحنون بتوظيف الحديث الذي ينص على رحمـــة المتعلمـــين دون التفصيل في ذلك يقول:« حدثنا عن ابن عبد الرحمن ابن إسحاق عن سيف بن محمد قال:كنـــت جالسا عند سعد الخفاف فجاءه ابنه يبكي فقال: يا بني ما يبكيك ؟ قال ضربني المعلم قال: أمـــا والله أحدثكم اليوم: حدثني عكرمة عن بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم: «شرار أمتي معلمو صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين.»"[2]"

وغالبا ما يكون العطف وإظهار الحب للمتعلمين سببا في تفـــوقهم وزيـــادة تحصـــيلهم فالطفل في هذه السن، سن التعلم في الكتاب، يميل إلى «المديح والثناء والعطف، ولهـــذا فهـــو يقتنص حب والديه وإعجابهما وتقديرهما المعنوي وكذلك الأمر بالنسبة لمعلميه.»"[3]" لذلك مـــن الأفضل في هذه المرحلة أن يبتعد المعلم عن التعاطف السلبي مع المعلم كأن ينتقـــد ويـــتهكم، ويهدد، وينذر، ويرفض التدخلات العفوية"[4]" أو الأسئلة المحرجة، بل يتعاطف تعاطفـــا إيجابيـــا معه فلا « يعنفُ السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله، ولا يزجره فيضع من قدره ولكن يبسطه فـــي المسألة ليجره فيها قد علم بغيته مما يعنيه.»"[5]"

وإذا كان لابد للمعلم من عقاب المتعلم وتأديبه، كأن يقل أدبه في مجلس العلم أو يتعـــدى على زملائه، أو يقصر في واجباته، فعل ذلك دون إيذاءه، ودون مجاوزة الحد المطلوب، وقـــد فصل محمد بن سحنون في هذه النقطة فذكر متى يجب ضرب المتعلم؟ وكيف يتم؟ وبماذا يـــتم؟ وما هي حدوده؟ في باب أفرده له بعنوان ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجـــوز. وهو ما سيأتي حديثه.

العقاب والتأديب:

إن فكرة العقاب، ليست وليدة المدرسة أو الفعل التعليمي، وليست وليدة النظام الإسلامي في المجتمع العربي، بل تعتبر فكرة مُتجذرة في كـــل مجتمـــع يســـعى للحفـــاظ علـــى كيانـــه واستمراره."[6]" وكذلك في المجتمع الإسلامي، الجزاء من صنف العمل وقياسا علـــى المجتمـــع الكبير فمكان التعلم سواء كان مدرسة أم مسجدا أم كتابا، يسعى المشرف عليه إلى حفظ نظـــام خاص به، والخارج عليه يعاقب طبعا.

ومن هنا، يمكن تعريف العقاب على أنه: «إجراء يُتخذ ضد الفرد، بسبب سلوك معين صدر منه، أو لمنعه من ما قد يصدر عنه من سلوك، للمحافظة على نظام المجتمع وكيانه،

1- الترميذي،صحيح الترميذي،ج8،ص:108 (وجاء أنه حديث غريب).
2- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين،ص:76.
3- محي الدين يوسف الجردي ، مسائل تربوية،ص:170.
4- محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية ، ص: 150.
5- الإمام أبو بكر الآجري،أخلاق العلماء،دار الشهاب،الجزائر،1987 ،ص:.57
6- ينظر محمد إبراهيم كاظم، العقوبات المدرسية بحث ميداني، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د ت ن) ، ص:01.

وباختصار فالعقاب هو الوسيلة التي تتخذ ضد من يخالف نظام الجماعة للمحافظة على كيان المجتمع. والمدرسة كمجتمع صغير، له نظامه، وتقاليده أيضا، يجب أن تأخذ بمبدأ توقيع العقاب.»"[1]"

ولقد أقر أفضل المعلمين وأشرفهم بمبدأ العقـــاب، أورد محمـــد بـــن ســـحنون قولـــه (صلعم):«أدب الصبي ثلاث درر.[2]»"[3]" وقد تبعه السلف الصالح في طريقة تأديبـــه للمتعلمـــين الصغار ومنهم صاحب المدونة التي بين يدي. وقد أجاز صاحب المدونة الضرب عند الضرورة كالخوف على مصالحهم كقوله: «ولا بأس أن يضربهم على منافعهم.»"[4]"

أما إذا كان لغير ذلك فلا يجوز له ضربهم لقوله: «وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضـــب وليس على منافعهم.»"[5]"كما بين صاحب المدونة مقدار توقيع الضرب فقال: «ولا يجاوز بالأدب ثلاث، إلى أن يأذن الأب في أكثر من ذلك.»"[6]" ولعل الشطر الأخير من القـــول يبـــين أهميـــة مشاركة أولياء الأمور في توقيع العقاب بتحديدهم للمقدار. وهذا ينم عن مدى تواصل المحـــيط الأسري بالمعلمين والمربين في القرن الثالث هجري.

كما أو ضح محمد بن سحنون، مسببات توقيع العقاب. وأجملها في الأذية، والانشـــغال عن الدرس، والإهمال، بقوله: «إذا آذى أحدا، ويؤدبهم على اللعب والبطالـــة.»"[7]"ولقـــد جعـــل صاحب المدونة الأذى السبب الأول، لوجوب توقيع العقاب على المـــتعلم، لأن مـــن مطالـــب الشريعة الإسلامية التي يستمد منها هذا التشريع، كف الأذى ورفعه، حيث يجيب سائله في هذا الأمر بقوله: «و سأل سحنون عن المعلم: أيأخذ الصبيان بقول بعضهم على بعض فـــي الأذى؟ قال: ما أرى هذا من ناحية الحكم، وإنما على المؤدب أن يؤدبهم إذا أذى بعضهم بعضا، وذلـــك عندي إذا استفاض علم الأذى من الجماعة منهم أو كان الاعتراف إلا أن يكون مبينا قد عـــرفهم بصدق فيقبل قولهم ويعاقب على ذلك. ويأمرهم بالكف عن الأذى.»"[8]"

ويجمع المعلمون ونظار المدارس في العصور الحديثة، على أن أكبر نسبة توقيع العقاب بالمتعلمين تكون حول الجانب السلوكي، كأن يسب زمـــلاءه ، يصـــدر ألفاظـــا نابيـــة أثنـــاء الدرس،يتلف الأثاث المدرسي، لا يحترم والديه، يتأخر في الصباح عن الموعد المحدد للدخول، لا ينتظر في الطابور. لا يؤدي واجباته المدرسية، الهروب من المدرسة. اللعب أثناء الـــدرس، السلوك الجنسي، "[9]"

1 - محمد إبراهيم كاظم، العقوبات المدرسية بحث ميداني، ص:02.
2- درر جمع درة وهي العصا الصغيرة.
3- محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين،ص:77.
4- المصدر نفسه،ص: 76.
5 - المصدر نفسه ، ص: 76.
6- المصدر نفسه،ص: 76.
7- المصدر نفسه، ص: 76.
8 - المصدر نفسه ، ص: 76.
9- محمد إبراهيم كاظم،العقوبات المدرسية بحث ميداني،ص:43-47.

السرقة، والكذب، وعدم المحافظة على نظافة الهندام، والإهمال"[1]و يعاقب عن كل سلوك سلبي يصدر منه لأجل الاعتبار.

ورغم أن محمد بن سحنون أجاز الضرب إلا أنه قام بتحديد حده، وكيفيتـــه، ووســـيلته، لكي لا يتحول إلى تعذيب أو إقامة حد، وبخاصة إذا كان العقاب حول قراءة القرآن يقول: «(..) ولا يجاوز بالأدب عشرة، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثة، قلت: لما وقَّت عشـــرة في أكثر الأدب في غير القرآن وفي القرآن ثلاثة؟ قال: لأن عشرة غاية الأدب»"[2]

وهنا تظهر قيمة العقاب في السياسة التعليمية الإسلامية، فالعقاب على إهمال الحفظ، أو التعلم بصفة عامة يختلف تماما عن العقاب حول السلوك والأخلاق، وكأن هذا يقود إلى فكـــرة تكوين الفرد سلوكيا،وخلقيا، قبل تكوينه علميا وثقافيا،هذا من جانب، ومن جانب آخر، حـــرص المعلم على عدم تنفير المتعلم من المادة التعليمية بالضرب، خاصة إذا كانت هذه المادة القـــرآن الكريم، فيضيع بذلك هدف المعلم والأمة بأكملهـــا.ولأن التـــوازن هـــدف التربيـــة الإســـلامية فهي«تضع لكل شيء حده، وتحسب لكل أمر قدرا حتى لا تختل الموازين وتضـــطرب أمـــور الحياة.»"[3] وبالتالي فالضرب أو التأديب هو الآخر بميزان.

وحتى إن تعلق الأمر بتسوية السلوك فلا يجاوز العقاب الحد الذي حدده الرسول عليـــه السلام «لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله»"[4] وما زاد عن ذلك اقـــتص منه يوم القيامة، إلا إذا تكاثرت الذنوب ولم يعف عنها، وأذن الرسول عليـــه الســـلام. بتأديـــب النساء والإماء والعبيد، وفي ذلك قال محمد بن سحنون: «وأدب الرجل زوجته ستُ درر فمـــا زاد يضرب به يوم القيامة، وأدب الإماء في غير الحدود عشرة إلى خمسة عشر، فما زاد إلـــى العشرين يضرب به يوم القيامة. وكذلك أرى ألا يضرب أحد عبده أكثر من عشرة فما زاد على ذلك فوقص به يوم القيامة إلا في حد.»"[5]

إن ما يهمني هنا هو أدب الصبي المتعلم وقد اشترط محمد بن ســـحنون فـــي تأديبـــه السلامة، فلا يضرب المعلم الصبي في الأماكن الحساسة كالوجه، والصدر، والـــرأس «(فـــلا) يجوز له أن يضرب رأس الصبي، ولا وجهه، ولا يجوز له أن يمنعه من طعامه وشـــرابه إذا أرسل وراءه.»"[6]

وربما يكون الحرمان من الأكل، والشرب أشد وقعا في نفس الطفل وهـــذه عقوبـــة لا يجب للعلم أن يوقعها على المتعلم لما تجلبه له من مضار صحية، ثم إن منعه من الطعام وهـــو لا يقوى على تحمل ذلك ينشئه على«الشره في مستقبل حياته، وقد تمتد يده إلى السرقة لإشباع

1- محمد إبراهيم كاظم،العقوبات المدرسية بحث ميداني ، ص:67.
2- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص: 76.
3- إسحاق أحمد فرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة،ص:42.
4- مسلم، الصحيح،(ت ح)،مصطفى ديب البغا،دار الهدى،الجزائر،ج1،ص:308.
5- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين،ص:78.
6- أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،دار المعارف،مصر،ط1، 1968،ص:146.

حاجة نفسه مما يحرمه منه أهله والقائمون بأمر تعليمه من ألوان الطعام.»"[1]وهي عقوبة طبقت في المدارس الإسلامية، مع العلم أن بعض النظار والمدرسين لا يوافقون على توقيعها مثلها مثل: «مواجهة التلميذ للحائط. أو الحرمان من النشاط الاجتماعي والثقافي.»"[2]"

واتفق الفقهاء على العضو الواجب على المعلم ضرب المتعلم عليه إذا اضطر لذلك وهو أسفل القدمين لأنه «آمن وأحمل للألم في سلامة.»"[3]" وهو أبعد عن التأثير المشنع."[4]" وقد ذهب الفقهاء إلى أبعد من ذلك، إلى تحديد آلة الضرب، وهذا ما أتى محمد بن سحنون على ذكره في قوله: « وعلى المعلم أن يكسب الدرة والفلقة.»"[5]"

وفي اختيار آلة الضرب شروط هي الأخرى فلا ينبغي استعمال العصي الخشبية لأنها حتما تترك الأثر وتسبب الجرح والكسر، وفي استعمال السوط أمان من كل ذلك."[6]" أما الدرة التي ذكرها محمد بن سحنون فينبغي أن يكون عودها رطبا مأمونا"[7]"كأن يتم الضرب بأغصان الزيتون، والبرقوق، والتفاح، وبعض أشجار الغابة «ويتحاشى المعلمون الضرب بقضبان أشجار الرمان لأنها سامة، والضرب بها قد يحدث مضاعفات في الجسم تؤلم كثيرا و ربما تؤدي بالمضروب إلى المرض الطويل.»"[8]"وما زالت هذه الشروط الخاصة بآلة الضرب معمولا بها في كتاتيب المغرب العربي الكبير ومنها كتاتيب ندرومة بالجزائر.

واختلف السلف الصالح من المعلمين، في عدد الضربات عن كل ذنب حسب السن، إذ أبيح الضرب «للصبيان الذين تتجاوز أعمارهم السنة العاشرة ولم يبلغوا مبلغ الشباب، فلا يجوز ضرب الأطفال قبل العاشرة.»"[9]" وأغلبهم يعفون الصبي الذي يرتكب الذنب لأول مرة من العقاب"[10]" لتطبيق مبدأ التسامح، أما الذنب الثاني فيعاقب عليه عقابا غير مباشر كالعبوس في وجهه، ومقاطعته، أما الذنب الثالث فيعاقب عليه عقابا مباشرا، كأن يجزره، أو ينهره، أو يرهبه، أو يتوعده بالعقاب أمام أقرانه، وبمعزل عنهم أيضا، فإن عاد إلى ما ارتكبه المرة الأولى«ضرب ضربا خفيفا.»"[11]" وهذا التدرج في العقاب يجعل الضرب آخر وسيلة يفكر فيها المعلم لتأديب المتعلم، وليس منهجا يداوم عليه فيفسده به.

وهذا هو المطب الذي وقع فيه جل المعلمين في العصور المتأخرة، حيث جعلوا الضرب منهجا لهم، لدرجة إلغاء الضرب نهائيا من المنظومة التعليمية الراهنة إلى جانب العقاب النفسي

1- محمد إبراهيم كاظم،العقوبات المدرسية بحث ميداني،ص:98.
2- أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،ص:156.
3 - ينظر أبو عبد الله الجزائري، أساليب التربية الإسلامية، جريدة البصائر، العدد:49، ص:11.
4 - ينظر المرجع نفسه، ص:11.
5 – محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين،ص:83.
6- ينظر أحمد فؤاد الأهواني:التربية في الإسلام،ص:156.
7- الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص:27.
8- المرجع نفسه ، ص:27.
9- المرجع نفسه،ص:28.
10- ينظر المرجع نفسه،ص:28.
11- المرجع نفسه ،ص:28.

الذي يُعتبر الخطر الأعظم لتأثيره على الصحة النفسية للطفل«كحلق نصف الـــرأس، وتعليـــق صورة حمار على ظهر التلميذ، وفضحه أمام تلاميذ المدرسة من غير أهل قسمه.»"[1]"وهذا كله لعدم احترام ومراعاة المعلم للضوابط الشرعية لتوقيع العقاب، وإنصات أولياء الأمور للأصوات الغربية، للثورة على مبدأ العقاب في حد ذاته.

أما في عصر محمد بن سحنون فقد كان التواصل بين المعلم وأولياء أمور المتعلمين في قمته، حيث كان الآباء يحددون طبيعة العقاب الذي يجب على المتعلم أن يوقعه بأولادهم حســـب نفسيتهم،وطباعهم التي اعتادوها منهم في البيت، وهذا يشير إلى نقطة هامة وهي: تفطن أوليـــاء الأمور والمعلمين إلى الجانب النفسي للطفل فهم يفرقون بين الطفل الـــذي يتـــأثر بالمـــدح،من الطفل، الذي يتأثر بالذم، من الطفل الذي لا يؤثر فيه إلا العقاب البدني أو الضرب.

فهذا والد محمد بن سحنون يوصي معلم ولده بالطريقة التي يؤدبه بها لدرايتـــه التامـــة بنفسية المرهفة بقوله:« لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، وليس هو ممن يـــؤدب بالضـــرب والتعنيف.»"[2]" والتدرج في العقاب من التسامح إلى المقاطعة إلى الذم والتوبيخ إلـــى الضـــرب الخفيف دليل على معرفة المربين من السلف الصالح لما يعرف اليوم بعلم نفس الطفل"[3]"مع أخذ التطور الزمني والفكري في الاعتبار وقد لا أوافق ما ذهب إليه أحمد فؤاد الأهواني فـــي نفيـــه لمعرفة العرب المسلمين للحياة النفسية للطفل وتقديرها، ودراستها، سواء في القديم أو الحديث، في المغرب أو المشرق."[4]"

في حين، أولت الشريعة الإسلامية أهمية بالغة لتربية الأطفال ورعايتهم مـــن النـــواحي الجسمية، والعقلية، والوجدانية، والاجتماعية، انطلاقا من قوله صلى الله عليه وســـلم:«ألا كلكـــم راع وكلكم مسؤول عن رعيته(...)»"[5]" فالمعلم في هذه الحالة راعٍ مثله مثل الوالد، بل ينـــوب عنه أثناء وجود المتعلم بين يديه، ولذلك استوجب عليه «أن لا يدخر شـــيئا مـــن جهـــده فـــي حفظه،وتفقد أحواله،و إعطائه ما يحتاج إليه، وصرفه عما يؤذيه. وأن يستصفي له مـــن الآراء والأعمال، والأقوال ما يقدر عليه.»"[6]"

وذهبت الشريعة الإسلامية إلى أبعد من ذلك، ذهبت إلى حفظ أمـــوال اليتـــيم، وحـــق المسكين و حفظ صحة الأطفال الجنسية، إذ فُرق بين الذكر والأنثى ابتداء من سن التمييز كمـــا حفظت ورعت نصيب الطفل من العاطفة والحب عند والديه إذ يعاقبا على تفريطهما في ذلـــك، كما يعاقبا على عدم تربيته تربية حسنة ولا أجلٌ من تقديم رعاية الأطفال وحسن تنشئتهم على

1- أبو عبد الله الجزائري، أساليب التربية الإسلامية، جريدة البصائر، العدد:49، ص:11.

2- أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام،ط1،ص: 151.

3-علم يهتم بدراسة نمو الطفل والمراحل المختلفة التي تمرّ بها عملية النمو والعوامل التي تؤثر فيها والخصائص العامة التـــي تميز مراحل النمو المختلفة،وتمدنا هذه الدراسات بكثير من المعلومات التي تجعلنا أكثر قدرة على فهم {شخصية} الطفل وسلوكه ودوافعه واتجاهاته في مراحل حياته المختلفة وتجعلنا أقدر على توجيهه وتربيته ومن هنا تبدأ علاقة علم النفس بالتربية.مجمـــد شطوطي،علم النفس وصلته بالتربية في بناء شخصية الطفل،دار شرشار،الجزائر،ط2002،1،ص:35.

4- أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام،ط1، ص:179.

5- مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص:367.

6- الأخضر مقدم ، الراعي الغاش لرعيته، جريدة العصر، عدد 11جوان1981، ص:07.

التصدق، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق.»"[1]" وبعد هذا تظهر العناية النفسية بالطفل جلية واضحة.ليست مغيبة ولا مطموسة في التربية الإسلامية.

وأظن أن حق الطفل يُهضم إذا تجاوز معلمه الحد المعقول في تأديبه، ولم يغفل صاحب المدونة عن هذه المسألة إذ بين ما على المعلم إذا جاوز ذلك بحسب الشرع طبعا.فإن ضربه ومات بسبب الضربة يُنظر في حال الضرب، ووسيلته، وموضعه، فإن كان مما يجوز للمعلم لم يكن عليه شيء سوى أن يكفر هذا. وهو ما يعرف في زماننا بأخطار المهنة وحماية العامل.أما إذا جاوز ما هو معهود ومات الصبي، وقع عليه العقاب من دفع الدية، والكفارة، وقد يقع عليه القصاص في حالِ ضربه للمتعلم بآلة أخرى غير الدرة والفلقة وسقط ميتا على إثرها.

والنص التشريعي لمحمد بن سحنون فيما يجب على المعلم إن أخطأ الأدب هو:« إذا ضَرب المعلم الصبي بما يجوز له أن يضربه إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فمات أو أصابه منه بلاء لم يكن على المعلم شيء غير الكفارة إن مات،وإن جاوز الأدب ضمن الدية في ماله مع الأدب، وقد قيل على العاقلة"[2]"مع الكفارة، فإن جاوز الأدب فمرض الصبي من ذلك فمات، فإن كان جاوز ما يعلم أنه أراد به القتل أقسموا،وقتله به الأولياء وإن كان لم يجاوز ما يرى أنه أراد به القتل إلاَّ على وجه الأدب إلاَّ أنه جهل الأدب، أقسم الأولياء واستحقوا الدية قبل العاقلة، وعليه هو الكفارة. وسُئِل مالك عن معلم ضرب صبيا ففقأ عينه، أو كسر يده فقال: إنْ بالدرة على الأدب وأصابه بعودها فكسر يده أو فقأ عينه فالدية على العاقلة إذا عمل ما يجوز، فإن مات الصبي فالدية على العاقلة بقسامة وإن ضربه بلوح أو بعصا فقتله فعليه القصاص لأنه لا يؤذن له أن يضربه بعصا ولا بلوح.»"[3]"

ولعل هذا يتناسب إلى حد كبير، مع التشريع المدرسي الحديث، فالمعلم الذي يتجاوز الحدود في توقيع العقاب على التلميذ، مهما كان نوعه نفسي، أو بدني يعاقب هو بدوره، إما بالإنذار الشفوي، أو الكتابي، أو التوبيخ، أو الإيقاف عن العمل من يوم إلى ثلاثة أيام أو الإيقاف عن العمل من أربعة أيام إلى ثمانية أيام، أو الشطب من جدول الترقية، أو النقل الإجباري،أو التسريح مع الإشعار المسبق والتعويضات،أو التسريح بدون إشعار مسبق ودون تعويضات."[4]"

وذلك حسب خطورة الموقف ووضعية المتعلم والمعلم في الحادثة، ومنه توقيع العقاب بالضوابط الشرعية يغني المعلم عن الكثير من المشاكل أهمها الحفاظ على صورته التي ما فتئت تتزعزع يوماً بعد يوم، في الوسط الاجتماعي جراء الصيحات المتعالية بإلغاء مبدأ العقوبة ككل.

1- الترميذي، الصحيح،ج8،ص:131. (وجاء أنه حديث غريب)

2- العاقلة:جمع عاقل وهو دافع الدية،وعقل القتيل أدى ديته، فؤاد إفرام البستاني،منجد الطلاب،ص:

3- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين،ص: 96،97.

4- ينظر ب، دمرجي ، الدليل في التشريع المدرسي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، (د ت ن) ، ص: 169.

المتعلمون:

يعد المتعلم الركن الثاني للعملية التعليمية، والمتعلمون على أحوال مختلفة، سواء مـــن ناحية الجنس، أم السن، أم المستوى الاجتماعي، على الرغم من أن صاحب المدونة لم يفصـــل في أحوال المتعلمين بالقدر الذي يعطينا صورة جلية عن التعليم الابتدائي فـــي عصـــره، فإنـــه يمكننا من خلال قراءة المدونة استنتاج بعض مظاهره؛ ومنها،ما نوعية المتعلمين الذين تحدث عنهم محمد بن سحنون في كتابه؟

تعليم البنات:

منذ صدور الأمر بضرورة التعليم راح المســـلمون يطبقونـــه علـــى الـــذكور مـــنهم والإناث،وهذه السياسة التي تدعو إلى تعليم البنت، هي الأولى من نوعها على وجه المعمـــورة بعدما كانت «وضيعة المكانة مهدورة الحقوق.»"[1]فهي لا تتعدى منزلة الخادمة فـــي الشـــريعة اليهودية، وتمثل عند الهنود رمزا للعار والتشاؤم، والأمر أسوء عند العرب في جاهليتهم إذ تؤد حية."[2]

أما الشريعة الإسلامية فتولي المرأة مكانتها المستحقة، ويكفيها فخرًا أنها أخرجت مـــن زمرة الحيوان إلى زمرة الإنسان، على يد بشير الأمة الذي «لا يستحي بالأنثى فحث ابتداء على محبتها، ومداعبتها مضاحكة وحملا،و تقبيلا كالذكر سواء بسواء،كما أوجب ضـــرورة تأديبهـــا الأدب الحسن وتعليمها العلم النافع.»"[3]

ومن هنا، كان للصاحبة في رسول الله (صلعم) أسوة في تعليم النساء، بـــل كـــان ذلـــك عليهم واجبا. وفرض التعليم على الذكور والإناث، الصغار والكبار، لا يعني انتشـــاره الواســـع بالشكل المنظم الذي نتصوره، بل أمْرُ إلزامية التعليم خاضع لضمائر الناس، لأن الإلزام هاهنـــا ديني عقدي لا إلزام قانوني.

وعليه، يمكن القول، إنه كان بين أبناء المسلمين في القرون الثلاثة الأولى نسبة محدودة ممن لم يحضوا بفرصة التعليم لعدم تكفل أولياء الأمور من الملوك والأمراء،كسلطة عليا بإنشاء كتاتيب تابعة لهم يراعونها ويتكلفون بأمورها وأمور معلميها إلا بعد زمن القابسي(ت 304 هج) أي بعد القرن الرابع هجري، وهذا ما أثبته تمني القابسي لإلزامية التعليم بدافع قـــانوني كـــأن يعاقب الوالد على ترك تعليم ولده ولا يُترك لضميره، والوازع الديني، فيوجب تعليم الصبي من ماله أو مال أحد أقاربه، أو الوصي عليه، أو مال المحسنين."[4]وهذا مـــا قامـــت بـــه الـــدول والحكومات في العصور المتأخرة حيث تعاقب الآباء الذين يتهـــاونون فـــي إلحـــاق أولادهـــم بالمدارس، بل تذهب بعض الحكومات إلى انتزاع الأطفال منهم لتتكفـــل بهـــم وتســـهر علـــى رعايتهم.

1- حسن علي مصطفى حمدان،مكانة المرأة في الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، 1990،ص:15.

2- ينظر المرجع، نفسه، ص:15.

3-ا لمرجع، نفسه، ص:35.

4- ينظر أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،ط1،ص:160.

ولعل البلدان الإسلامية العربية لم تخط خطوات صارمة، بإصدار قرارات كحكومـــات مسئولة للضغط على الآباء، ومعاقبتهم على إهمال تعليم أطفالهم إلا مؤخرا، بعد انقشاع غمامـــة الجهل التي خيمت لمدة قرون حرفت فيها بعض المبادئ الأساسية لقيام الأمة الإسلامية، كحـــق تعليم المرأة الذي تعسف فيه بعض المسلمين وتقاعسوا لأدائه، بل ظلموا المرأة في أكثـــر مـــن موضع، سواء قي القديم، أم في العصور المتأخرة. كأن تحدد سنوات تعليمها بخمـــس ســـنوات فقط؛ وهي سنوات لا تهيئ البنت حتى لقراءة مجلة، وحرمانها من نيل شهادة تثبت أنها اجتازت هذه السنوات الخمس القلائل."[1]"

ولعل هذا الظلم والتعسف في حق تعليم المرأة قديما مرده إلى الحرص الشديد والخوف الكبير على عفتها، والتشدد في الفصل بينها وبين الرجل في التعليم، دليل على ذلك. ممـــا أدى إلى إبقائها في البيت وتعلمها فيه الفرائض، والحقوق، والواجبات، وحفظ القرآن حيث بدأ هـــذا التقليد يتآكل بمرور الزمن، وسيطر الخوف، والجهل الذي استولى على نفوس المسلمين إلى أن صار تعليمها في أغلب المناطق خاصة النائية منها غير مباح ظنا منهم بأنها ليست بحاجة إليـــه مادامت ماكثة في البيت."[2]"

أما مرد هذا التعسف حديثا فهو راجع إلى الحركة الاستعمارية التي لعبت دورا خطيرا في تحطيم التعليم العربي الإسلامي المتبقي من القرون الأولى لوعيهم التام بخطـــورة التعلـــيم الديني في توعية الناس، كضرورة الجهاد والمقاومة.

ولما كانت المرأة بهذا الضعف وهذا الجهل رضيت بمصيرها، واكتفت بتربيـــة جيـــل يوازيها جهلا أو يفوق، هذا الذي رفضته نساء المسلمين سابقا منذ إدراكهن هذا الحق، فزاحمن الرجال مزاحمة لنيله، رغبة في العلم مثلهم، فقد « قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن.»"[3]" ومـــن هنا، أخذ السلف الصالح حكم الفصل بين الذكور والإناث في التعليم تحقيقا لمبدأ عـــدم جـــواز الاختلاط.

الفصل بين الذكور والإناث:

لقد صرح محمد بن سحنون بضرورة فصل الذكور عن الإناث حتـــى فـــي المرحلـــة الابتدائية يقول:«وأكره للمعلم أن يعلم الجـــواري ويخلطهـــن مـــع الغلمـــان لأن ذلـــك فســـاد لهم.»"[4]"ولعل هذه النقطة بالذات تنم عن بصيرة نافذة وحذق مميز عند صاحب الكتاب، إذ أدرك ما قد يقع فيه الصغار بطبيعتهم البشرية من مطبات الاختلاط ،خاصة في سن التمييـــز، وهـــذا دليل آخر على دراية المعلمين القدماء بعلم نفس الطفل على عكس المناهج التربويـــة الحديثـــة، المستوردة من الغرب التي تبيح اختلاط المتعلمين ذكورا وإناثا؛ بل تجعله ضرورة لسلامتهم

1- وداد، ط،بنت متعلمة،زوجة صالحة،جيل صالح،جريدة البصائر،العدد :45، 16 أفريل 2001، ص: 11.
2- ينظر المرجع نفسه، ص:11.
3- البخاري،صحيح البخاري،ج1،ص:36.
4- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:89.

النفسية بحجة براءتهم وهذا انحراف عن النظام التربوي للمرأة المسلمة التي من المفروض أن يحقق في تعليمها هدفين رئيسين هما: العلم والعبادة."[1]"

ثم إن من أهم المضار التي يجلبها هذا النظام المستورد اعتياد كل من الجنسين على حياة الاختلاط في سن التمييز، وعدم قدرتهم على تخطي هذا في سن المسؤولية والمراهقة، ومنه تحطيم كل حجب الحياء، وضياع أهداف الأمة المسلمة من وراء التعليم.

وقد أشار القابسي(ت 403 هج) في القرن الرابع هجري إلى الرذائل الجنسية التي يقع فيها الأطفال عند اختلاطهم للتعلم، إشارة خاطفة دون تعمق وتفصيل"[2]"وهذا لا يفوت محمد بن سحنون المشهود له بالفطنة والذكاء، فوعي ما يجلبه اختلاط الصغار قبل زمن القابسي من مضار، ولذلك منعه في كتابه وطبقه أيضا في عمله، إذ كان يعلم ابنته خديجة لوحدها بعد تفرغه من تعليم الصبيان ويقوم بذلك في بيته."[3]"وكذلك القاضي عيسى بن مسكين(ت275هـج) في القرن الثالث هجري «كان يجلس للطلبة إلى العصر يعلمهم فإذا كان بعد العصر دعا بنتيه، وبنات أخيه، وحفيداته ليعلمهن القرآن والعلم.»"[4]" وتلك سنة القدماء في توزيع التعليم وتنويعه.

ولا يزال هذا التقليد متبعا في المملكة العربية السعودية وبعض الحكومات التي ينتشر بها التعليم الخاص، حيث تنتشر المدارس الابتدائية والمتوسطات والثاويات الخاصة بالبنات فقط، ومع نجاح هذه الحكومات في الفصل بين المتعلمين في الأطوار الأولى من التعليم إلا أنها لم تفصل بينهم في الجامعات والمعاهد والكليات. ثم لا يوجد برنامج متميز لتعليم البنات وهم في مدارس خاصة، إذ تدرس لهم البرامج ذاتها التي تدرس للذكور بدون مراعاة تميزها خلقا ووظيفة عن الرجل، ومن هنا فإن «حاجتنا إلى تصور جديد لنظام تربوي متميز للمرأة المسلمة منبثق في الأصل من اختلاف رسالتها عن الرجل.»"[5]"

ملامح السياسة التعليمية للبنات:

فهم قول محمد بن سحنون، في ضرورة فصل المتعلمين ذكورا وإناثا عن بعضهم البعض، على أنه حفاظ لهم من الفساد فقط،يعد تقصيرا في فهم الفكر التعليمي التربوي للرجل، إذ يمكن أن نلاحظ من قوله أيضا:إن له سياسة تعليمية تربوية خاصة بالبنات، فالوقت الذي يخصصه لتعليمهن، بعد صلاة العصر. يسمح لهن بتعليم و تربية مزدوجة، بتخصيص زمن ما قبل العصر لتعلم سياسة المنزل، والأهل، وحرفة تشغل بها وقت فراغها، وتعلم أمور دينها، وما لها وما عليها، بعد ذلك.و بالتالي تكون قد جمعت في تعليمها بين النظري والتطبيقي.

1- منير محمد نجيب غضبان،حكم تعليم النساء،دار شهاب،باتنة،1987،ص:26.
2-أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام،ط1،ص:186.
3- ينظر الطالب عبد الرحمن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900إلى1977،ص:23.
4- المرجع نفسه،ص:23.
5- منير محمد نجيب غضبان،حكم تعليم النساء،ص:31.

ومن هنا، يمكن استشفاف النظام التعليمي التربوي، للبنت المسلمة الـــذي يهـــدف إليـــه صاحب المدونة، المتمثل في تعليم البنت «دينها،مسؤولياتها في بيتها، فن خدمة بيتها وزوجهـــا، فن تربية أولادها، اطلاعها على مجتمعها بحيث تكون عارفة بتطوراته خبيـــرة باتجاهاتـــه.»"[1] وهكذا لن تعدم البلدان الإسلامية انتشار مؤسسات تعليم البنات، ومناهج خاصة بهن، خاصة إذا راعى واضع البرامج التعليمية، التوقيت الملائم لها، فلا يقحمها في تخصصات تتطلب دهرا من الزمن لتحصيلها، لتجد نفسها عند تخرجها غير قادرة على القيام بـــأهم وظيفـــة خلقـــت مـــن أجلها(الزواج والإنجاب).و إذا تم ذلك فلا يُستبعد بروز نمطين مختلفين في تعليمهن معا وهما:

النمط الأول:

لعل محمد بن سحنون ينطلق من قوله تعال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾"[2] وهو تعليم إسلامي خاص بالإناث، تتعلم فيه البنت كل مـــا يخص المرأة ويمكن تمثيلها بالدراسة الابتدائية التي تتعلم فيها المبادئ العامة للتكاليف المكلفـــة بها، كشؤون البيت والطفل، والشؤون الزوجية استنادا إلى الكتاب والسنة."[3]

النمط الثاني:

ويبنى هذا النوع من التعليم على القاعدة التي أخذتها البنت في النمط الأول، إذ يعد بمثابة التعليم المتخصص في الجامعات والكليات، ولا يتم إلا بشروط تحددها حاجات الأمة كـــالحرف، والصناعات التي لا تليق إلا بالنساء مثل: تطبيب النساء وتمريضهن، والخياطة النسوية، وتعليم البنات، والرياضة النسوية، والإنتاج البيتي، وكل هذا تحت ضوابط الشرع من حجاب، وستر، وعدم إخلالها بمسؤولياتها الأخرى."[4]وهو أمر آمل أن يتحقق في سياستنا التربوية والتعليميـــة في كل البلدان الإسلامية.

بما أن المدونة متعلقة بتعليم الصغار فهذا يعني أن السياسة التعليمية التربوية المعتمـــدة فيها خاصة بمرحلة ما قبل البلوغ (المرحلة الابتدائية) ويراعى في هذا الطور من خلال مـــا لمحته فيها:« إعداد الطفل لتحمل مسؤولية ما بعد البلوغ، فيحفظ من كتاب الله، ويعرف العقيـــدة والأخلاق،والفقه، ويحفظ السنة، هذا عدا تربية جسمه.»"[5] إذن فالطور الابتـــدائي مخصـــص لصياغة الشخصية الإنسانية الإسلامية التي تتكون وتتطور بين البيت، والمســـجد، والكتـــاب. وإخال أن لهذا الأخير العامل الأكبر في صقلها وتهذيبها لقضاء الطفل مدة أطول فيه. ففـــي أي سن يدفع الآباء بأطفالهم إلى الكتاب ؟

1- منير محمد نجيب غضبان،حكم تعليم النساء ، ص:34.
2 -الأحزاب، الآية:34.
3- ينظر سعيد حوى، الإسلام، ص:528.
4- المرجع نفسه، ص:529.
5- المرجع نفسه، ص:527.

سن الدخول إلى الكتاب:

لا توجد إشارة في المدونة إلى السن التي يتم فيها دفع الصبيان إلى الكتاب، وكذلك في الكتب التي تناولت هذا الموضوع من بعده، إلا أن المُلاحِظ لبعض النصوص سواء من السنة أم الإشارات الواردة في كتب بعض العلماء المسلمين يستنتج أقرب تقدير للسن الإلزاميـــة للـــتعلم ودخول الكتاب، وأغلب الظن أنها في سن ما قبل سبع سنوات. أي ابتداء من سن الرابعة.

ويكون التعليم في هذه الفترة بمثابة رياض الأطفال وأدرجت هذا الشبه لكون ريـــاض الأطفال والكتاب يشتركان في شيء واحد هو دخول الطفل في سن مبكرة إليهما لتعويده علـــى كل ما يتعلق بمحيط التعليم.

أما السن الفعلي للتعلم، فيكون في السنة السابعة؛ وذلك لاكتمال وعي الطفـــل، وقدرتـــه على الفهم والإدراك. هذا ما يفسر تكليفه بالصلاة،«إنما كانوا يقرؤون أولادهم في سبع ســـنين لأنه في تلك السن يأمروا الصبي بالصلاة، وبالآداب الشرعية، فإذا كان الصبي في تلك الســـن فهو إذن غير محتاج إلى من يأتي به إلى المكتب.»"[1]

وهذا ما أيدته البحوث التربوية الحديثة بعد كل هذه القرون، إذ استبعدت تعليم الأطفـــال في السنة الثالثة والرابعة وأحيانا الخامسة لأن مداركهم أقل، عكس الأطفال في ســـن السادســـة والسابعة حيث نجد نموهم العقلي في أشده، فهم أكثر حصافة ونشاطهم وقدرتهم علـــى الـــتعلم مكتملتان."[2]

وهكذا عدٌ علماء التربية في العصر الحديث دخول الأطفال في سن مبكرة جـــدا إلـــى المدرسة مباشرة مضرا بهم، ويسبب لهم التأخر الدراسي فيمـــا بعـــد،أما إذا مـــروا بريـــاض الأطفال، فلا بأس عليهم؛ لأنهم لا يكلفون بما يكلف به التلاميذ وإنما يتدربون فقط على الحفـــظ وتشغيل الذاكرة ،والتعرف على صور بعض الحروف، ومحاولة كتابتها وتعلم الصبر واحترام مكان التعلم."[3]

ولعل الكتاب في عهد محمد بن سحنون يضم فئات متعددة من أعمار مختلفة، وأن كـــل فئة تحوي أطفالا من أعمار متقاربة إذ يمكن لأطفال الرابعة، والخامسة، والسادسة التعلم مـــع أطفال السابعة، لأن المعلم يكتفي بتحفيظهم السور القرآنية القصيرة سماعا وببطء «مع النظـــر في اللوحة التي كتبت عليها حروف الهجاء.»"[4]

وبما أنه لم يكن يوجد قانون تفرضه السلطة العليا لتحتم على الآباء إدخـــال أولادهـــم للكتاب في سن محددة، تسرب نوع من الفوضى في نظام التعليم القديم، إذ متى لاحـــظ الآبـــاء استعداد أولادهم للتعلم دفعوا بهم إلى الكتاب، ولازال هذا التقليد قائما إلى يومنا هذا بكتاتيب

1- الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني،الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900إلى1977،ص:21.
2- ينظر محي الدين يوسف الجردي،مسائل تربوية،دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2003،ص:25.
3- ينظر الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني،الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900إلى1977،ص:22.
4- المرجع نفسه، ص:22.

بعض جهات الوطن الجزائري،كمنطقة ندرومة بغرب البلاد، حيث يُلحِـق الآبـاء والأمهـات «أولادهم للكتاب بعد الختان والختان يقع في سن الإثغار، أعني عندما يبدأ الولد في تبديل أسنانه الرواضع، وهو ما يعادل السنة الخامسة تقريبا.»"[1]"

وأستخلص من هذا، أن المعلمين في زمن المؤلف وحتى بعده، لم يشترطوا سنا معينـا لدخول الصبي إلى الكتاب، إذ يمكنه مجالسة المتعلمين ابتداء من سن الرابعـة أو الثالثـة فـي بعض الأحيان كما هو الحال مع الشيخ الإبراهيمي الذي قام أهله بتحفيظه القرآن ابتداء من سن الثالثة."[2]و هذا غير واسع الانتشار لما فيه من ضرر للصبي وإرهاق لـه، ولكـن الشـائع والمتفق عليه تكليفـه بتحصيل العلم ووعيه ابتداء من سن السابعة استنادا إلى حـديث النبـي صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع. »"[3]وتعتبر السنة السابعة من عمر الصـبيان سـنة اكتمـال نموهم النفسي، والعقلي الذي يؤهلهم إلى القيام ببعض الواجبات وتحمل بعض المسؤوليات «إذ يفهمون التناقض بين الأقوال والأفعال.»"[4]"

وما يثير الانتباه هنا، أن السياسة التعليمية عند القدماء فريدة من نوعها، إذ اسـتطاعت وبمعزل عن الدراسات النفسية والاجتماعية الوصول إلى تحديد السن الأمثل للتعلم، وهذه نقطة أخرى حازت للتعليم القديم شرفا، ولعل ما وصلت إليه التربية الحديثة من نتائج تعزز ما ذهب إليه معلم البشرية من ضرورة التكليف والفصل بين الجنسين في هذه السن ما يلـي: اكتمـال القدرة على إدراك الأمور الجنسية."[5]" «اختلاف اهتمامـات البنـين عـن اهتمامـات البنـات وانفصالهما في اللعب، نشاط كبير وتعب سريع وقلق،اكتساب القليل مـن التفكيـر التجريـدي وتعلمه أفضل بالمحسوسات، اشتراكه النشيط مع الغير،حذره ونقده لذاته فهو شـغوف بإتقـان عمله يحب استخدام يديه ويكثر من الكلام، القدرة على تحمل بعـض المسـؤوليات والاهتمـام بالصواب والخطأ،بدء الفهم بقيمة الوقت والنقود.»"[6]"

ولا أعتقد أنه يوجد بلد إسلامي، يؤخر تحصيل العلم لسن ما بعد السبع سنوات. فمـثلا ينص التشريع المدرسي الجزائري على قبول الأطفال في المدارس في سن الست سنوات كاملـة وهو السن الإلزامي للتمدرس في هذا البلد."[7]"

1- الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني،الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900إلى1977، ص:22.
2- ينظر محمود طه الحجازي،جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر،ص:105.
3 - عز الدين بليق،منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين،دار الفتح بيروت، ط1، 1978،ص:358.
4- يوسف مصطفى القارضي ومقداد بالجن،علم النفس التربوي في الإسلام، دار المريخ، السعودية، 1981، ص:110.
5- ينظر المرجع، ص:11.
6- محي الدين يوسف الجردي،مسائل تربوية،ص:26.
7- ب دمرجي،الدليل في التشريع المدرسي،ص:233.

سن التخرج من الكتاب:

لم يفصل المعلمون القدماء في هذه النقطة أيضا. إذ قد يدخل المتعلم صبياً إلى الكتاب، ولا يخرج منه إلا وهو شاب. أو يلتحق المتعلم على تفاوت السن إلى الكتاب ثم سـرعان مـا ينفصل عنه، وقد يكون ذلك لغير داع محق، أو ضرورة ملحة. وكل ما في الأمر سوء التنظيم لمتطلبات الحياة وعدم مراعاة مراحلها.أو قد يتخرج منه سريعا في حالات نادرة، وذلك عندما ينهي تعلمه في مدة أقصر من العادية، وهذا بحسب سرعة تعلمه وفهمه.

ويقاس اكتمال المرحلة الابتدائية في التعلم بختم القرآن حفظا وكتابة، فمن استوفى ذلك في سنوات قلائل توجه مباشرة إلى نمط آخر من التعليم، إن كانت له رغبة فـي الاسـتمرار، فيتعلم علوم القرآن في سنوات قد تطول وقد تقصر هي الأخرى فالشيخ عبد الحميد بن باديس ختم القرآن وسنه ثلاثة عشرة عاما"[1]والأستاذ محمد البشير الإبراهيمي ختم القرآن وهـو ابـن تسع سنين."[2]"

وإذا ختم الصبي القرآن يجوز للمعلم أن يتخذه مساعدا له على الصبية الذين لم يختموا بعد؛ يقول ابن سحنون:«ولا يجعل لهم عريفاً منهم إلا أن يكون الصبيُّ قد ختم وعـرف القـرآن وهو مستغن عن التعليم، فلا بأس بذلك، وأن يعينه فإن ذلك منفعة للصبي.(ولا يحـل أن يـأمر أحدا أن يعلّم أحدا منهم إلاّ أن يكون في ذلك منفعة للصبي)»"[3]" وطبعا لا يتم هـذا إلا بعـد إذن أولياء الأمور، ثم إن اتخاذ الصبي الذي يختم القرآن مساعدا للمعلم يكونه ويؤهله لصنعة التعليم، ويشعره بقيمته، ويشجع البقية على ختم القرآن.

وكما لم يشر محمد بن سحنون إلى السن التي يدخل فيها الصبي إلى الكتاب،لم يشر أيضا إلى السن الواجب عليه مغادرته فيها وهذا ما جعلني أظن أن العملية التعليمية في ذلـك الـزمن وكذلك في الأزمنة والأمكنة التي تلتها تسير ببطء شديد، إذ يخضع الزمن لقدرات المتعلم علـى سرعة الفهم والحفظ، عكس التعليم الحديث، حيث يخضع المتعلم للزمن سواء تعلق الأمر باستيفاء البرنامج، أو بمدة عرض الدرس.

واجبات المتعلم:

دفع أجرة المعلم:

من واجبات المتعلم والتي تعد حقا من حقوق المعلم عليه، دفع أجرته مقابل ما يقدمه من خدمات جليلة سواء اشترط ذلك أم لم يشترط «لأن المعلمين وحتى القرن الثالث هجـري لـم يكونوا يتقاضون مرتبات من الجهات الرسمية.»"[4]" وقد اختلف الفقهاء فـي تقاضـي المعلـم الأجرة، إلا أن الرأي الغالب هو الجواز، استنادا إلى روايات عدة من السنة يقول سيد

1- تركي رابح،عبد الحميد بن باديس،ص:159.

2- محمود طه الحجازي،جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر،ص:106.

3-محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:80.

4- عزاز حسنيه،الشواهد النحوية للكتب المقررة للتعليم الثانوي(دراسة لسانية)،مذكرة ماجستير ، ص:12(مخطوط بمكتبة مكي درار).

الخلق(صلعم):« إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله»"[1]ولعل هذا الاختلاف في شأن تقاضـــي الأجرة مرده إلى سعي السلف لنشر التعلم بين الناس انتشارا واسعا دون كلفة أو حرج هذا من جانب،ومن جانب آخر جاء النهي عن ذلك في أول الأمر لأن «(...) القرآن قليل في صـــدور الناس، وأما بعد أن فشا وانتشرت المصاحف فلا.»"[2]" ولذلك فالمعلمون في تعليمهم على ثلاثـــة أوجه:«أحدها للحسبة ولا يأخذ به عوضا. والثاني، أن يعلم بالأجرة. والثالث، أن يعلـــم بغيـــر شرط. فإن أهدي إليه قبل، فالأول مأجور عليه عمل الأنبياء، والثاني مختلف فيـــه والأرجـــح الجواز، والثالث يجوز إجماعا لأن النبي كان معلما للخلق وكان يقبل الهدية.»"[3]"

ولم يُعب صاحب المدونة أخذ الأجر أو الاشتراط، بل على العكس مادامت هذه صـــنعته التي يحترفها ومتفرغ لها. ولا يجيد غيرها ليلبي حاجاته الضرورية؛ من مأكل ومشرب وملبس، فلا بأس. ثم إن تُرك بلا أجر ومسه العوز ترك تعليم الناس لقضاء حاجاته، وترك الجهل ليتمكن منهم، ومن أجل ذلك «لابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجرا. ولولا ذلك لكـــان الناس أميين.»"[4]" وكذلك الاشتراط للتعليم جائز(الاشتراط الذي لا يهلك المتعلم وليس الاستفزاز) «فعن ابن وهب عن عمر بن قيس عن عطاء أنه كان يعلم الكتب على عهد معاوية ويشترط.» "[5]

وبما أن محمد بن سحنون مالكي المذهب. فهو يرى أن الأجرة جائزة ومن حق المعلم أن يأخذها، لأن مالكا أجازها"[6]"فقال: «لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن وإن اشـــترط شـــيئا كان له حلالا جائزا.»"[7]"

ولم يحدد صاحب المدونة مقدار هذه الأجرة، إلا أنه وضح عدم جواز اشـــتراط شـــيء فوقها،(لأن الأجرة تعوض الاشتراط وتلغيه حسب ظني فإما أن يعلم بـــأجر معلـــوم، وإمـــا أن يشترط شيئا مقابل هذه الخدمة) أو تكليف المتعلمين بتقديم الهدايا له إلا عن رضى منهم، وبعلـــم أولياء أمورهم.« (...)فإن أهدوا إليه على ذلك فهو حرام. إلا أن يهدوا إليه من غير مســـألة، إلا أن تكون المسألة منه على وجه المعروف فإن لم يفعلوا فلا يضربهم لذلك؛ أو يخليهم، إذا أهـــدوا له فلا يحل له ذلك لأن التخلية داعية إلى الهدية وهو مكروه.»"[8]"

وقد فصل محمد بن سحنون في كيفية الاستئجار، انطلاقا من ضوابط الشرع دوما، إذ يتم الاتفاق حول الأجرة بين المعلم وولي أمره (والده أو الوصي عليه) فيحددانه، على حسب قـــدرة ولي الأمر وطاقته، ومدة الإجارة (شهر، سنة، أو أكثر من ذلك).

---

1 - البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص:2166.

2- أحدبن أبي جمعة المغراوي،جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصـــبيان(ت ح):أحمـــد جلـــولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1975،ص:29.

3- أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،ط1،ص:221.

4- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:73.

5- المصدر نفسه، ص:73.

6-الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني،الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900إلى1977،ص:35.

7- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:73،74.

8-المصدر نفسه ، ص:79.

وقد تطرق صاحب المدونة إلى مسألة فسخ الإجارة في حال موت المعلم أو المتعلم أوفي حال عدم رضا أولياء الأمور عما يقدم لأولادهم في الكتاب فيقول:« إذا مات انفسخت الإجـــارة بقدر ما بقي من إجارة مثل الصبي، وقد قيل إن الإجارة لا تنفسخ وإن على المعلم فيما له مقاصة في التعليم، وعلى أبي الصبي أن يأتي بمن يعلمه المعلم تمام الســـنة، وإلا كانـــت لـــه الإجـــارة كاملة.»"[1]" هذا وقد ألزم الفقهاء أولياء الأمور دفع الأجرة إن استأجروا المعلم لمـــدة معينـــة ثـــم سافروا أو لم يلتزم أولادهم بالذهاب إلى الكتاب."[2]"

ويتوقف دفع الأجرة أيضا على سرعة وبطء الصبي في التعلم، فالصـــبي الثقيـــل الفهـــم والحفظ، يستغرق زمنا أطول، وجهدا أكبر، لتعليمه؛ وبالتالي لا يستوي مع الصبي السريع الفهم، في مدة الإجارة. والفارق في المدة، يأخذ عليه المعلم أجرا لملازمته له، واجتهاده معه، ليصٌـــيره مع البقية.

أما وقد تغيرت أحوال التعليم بعد القرن الرابع هجري و«انتظمت الكتاتيب نوعا ما لعناية أولى الأمر بها ورصد الخيرات من مال الأوقاف للصرف عليه.»"[3]" أصبح المعلم يأخذ أجرتـــه من بيت مال المسلمين،وسقط عن أولياء الأمور دفع الأجرة من مالهم الخـــاص، إلا إذا تكرمـــوا بدفع الهدايا تقديرا له.

ولا يزال الاهتمام بنفقات التربية والتعليم من اختصاص ذوى السلطان ، حتى في العصر الحديث، حيث تخصص ميزانية ضخمة تتزايد تكاليفها سنة بعد أخرى، لتزايـــد التســـجيل فـــي المدارس من جهة، ولرغبة هذه الدول بالنهوض بمستوى تعليمها،فقد كان تزايد النفقات المعتمـــدة في التربية والتعليم من1960 إلى1965 بنسبة تتراوح مابين14، 5% و16، 4% فـــي إفريقيـــا لوحدها، "[4]" وتشير الدراسات الحديثة إلى وجود تلميذ واحد من بين خمسة وأربعين تلميـــذا فـــي الدول العربية «ممن هم في سن القبول في التعليم العالي، و يحرم نصف الأطفال ممن هم فـــي سن الدراسة الابتدائية من دخول المدارس ».""[5]"

ورغم تخصيص هذه الدول ميزانية عالية من ميزانيتها الاعتيادية ومن دخلهـــا القـــومي حيث تتراوح هذه النسب بين:20 % و30% من ميزانيتهاو60 % من دخلها القومي."[6]" إلا أنها تبقى خدمات ضعيفة لا تسد سوى جانب ضئيل من مطالب التربية والتعليم في هذه الأقطار"[7]"ومع الأقطار"[7]"ومع ذلك فقد رفعت هذه الدول عبئا ثقيلا عن السواد الأعظـــم فيمـــا يخـــص التعلـــيم الإلزامي.

1- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين ،ص:92.
2- المصدر نفسه، ص:90.
3- أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،ص:61.
4- إيدجار فور وجماعة مؤلفين،تعلم لتكون، (ت ر) ، حنفي بن عيسى،اليونسكو،الشـــركة الوطنيـــة للنشـــر،الجزائر، 1974، ص:88 ،89.
5- محي الدين يوسف الجردي،مسائل تربوية،ص:54.
6- ينظر عمر محمد التو مي الشيباني:دراسات في الإدارة التعليمية والتخطيط التربوي،ص:277.
7- ينظر المرجع نفسه،ص:277.

التقدير وحسن المعاملة:

لم يذكر صاحب المدونة هذه النقطة، بنص صريح. وإنما تفهم من خلال حمل المـــتعلم إلى ذلك شيئا فشيئا، ابتداء من تعليمه الفرائض والواجبات المكلف بها، بالتعاون مـــع الأســـرة لتثبيت ذلك، ولذا استوجب على الصبي تقدير معلمه وحفظ مكانته، والعرفان بفضله عليه، وبما يقدمه له. فلا يخاطبه إلا بما يناسب مقامه، ولا يذكر اسمه إلا وهو مقرون بكلمـــات الإكبـــار، والابتعاد عن خلق سيئ شاع في أوساط المتعلمين خاصة في العصور الحديثة وهو غيبة المعلم.

وعلى المتعلم أيضا، الصبر على سوء خلق معلمه، إن كان من أصـــحاب العلـــم ســـيئي الطباع، فلا يجعل هذا سببا في مقاطعته بل« لا يصده عن ذلك ملازمته والاستفادة منه، ويبدأ هو عند جفوة المعلم وغضبه بالاعتذار والتوبة مما وقع منه، وينسب موجب الغضب إليـــه ويجعـــل العتب عليه، فان ذلك أبقى لمودة أستاذه.»"[1]" ومن بين القصص التي رواها السلف الصالح، عن التودد إلى المعلمين والصبر عليهم لنيل علمهم، ما حدث مع الإمام الشافعي حين لاحـــظ جفـــاء سفيان بن عينية على طلبته فقال له:« إن قوما يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم، يوشكوا أن يذهبوا أو يتركوك، فأجابه:هم حمقى إذا هم تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي.»"[2]"

و لم يشر صاحب المدونة إلى هذا الموضوع صراحة لأن الأطفال الصغار أحوج لصبر المعلم عليهم والتلطف معهم لترغيبهم في العلم، وتعليمهم كل ما يـــرتبط بالعقيـــدة مـــن تشـــهد، ووضوء، وصلاة. مما يحفظ أخلاقهم، ويحملهم على الاحترام والتقدير، وحسن المعاملة تلقائيـــا دون إلحاح عليهم في ذلك؛ أو يحملوا إليه حملا، من غير معرفة سابقة بأصل ما يقومون به.

1 - عبد الله ناصح علوان:تربية الأولاد في الإسلام،ص:409.
2 - المرجع نفسه، ص 410.

الفصل الثاني:

- المكان و الزمان في المدونة
  - ✓ المكان
  - ✓ الزمان

مكان التعليم في المدونة:

إذا كان المعلم والمتعلم، هما العنصران الأساسيان اللـــذان يحركـــان طرفـــي العمليـــة التعليمية، فإن عاملي الزمان والمكان، لا يقلان أهمية عنهما. وهذا ما أثبتته البحوث التربويـــة التعليمية، عندما طرحت السؤالين التاليين:أين تَتم العملية التعليمة؟ومتى تتم؟

وقد أضحى البحث في مكان وزمان العملية التعليمية من الأهمية بمكان، وعلـــى نطـــاق واسع جدا تجاوز القسم واستعمال الزمن، إلى دراسة الهندسة المعمارية لمكان التعلم، والـــزمن الطبيعي والافتراضي الذي تتم فيه. ونتيجة لذلك، ظهر التعليم عن بعد، وعن طريـــق شـــبكات الانترنيت، حيث يختار الطالب بنفسه الزمان حسب رغبته ودون اضطراره إلى مغادرة منزله أو أي مكان يشاء أن يوجد فيه.

وعلى عكس ما كان في القديم، وحتى زمن قريب، قبل استعمال الانترنيت التي حولـــت العالم إلى قرية، ينتقل عبرها الطالب من جامعة إلى جامعة، ومن مكتبة إلـــى مكتبـــة دون أن تحول بينه وبين ذلك العقبات التي أرهقت كاهل طلبة العلم في الماضي، من مشـــقة الترحـــال، وعسر فهم لغات الأقوام الأخرى (حركة الترجمة) وغيرها من المشاكل التي تخبطوا فيها دهرا من الزمن، ولعل من بينها كذلك، وبخاصة في القديم. مكان التعليم والتعلم فكيف كانـــت هـــذه الأماكن في زمن محمد بن سحنون؟وهل شـــهدت تطـــورا عبـــر العصـــور فـــي معمارهـــا وتجهيزاتها؟وما مدى تأثيرها في تحصيل الطلبة لمختلف العلوم؟

لقد سبق أن ذكرت، اشتمال التربية الإسلامية على مفهـــوم الاســـتمرارية، وأن التعلـــيم يندرج تحت التربية التي تعتبر أشمل وأعم منه، وفي تقـــديري، الجـــزء يأخـــذ صـــفة الكـــل بالضرورة. وعليه فالتعليم يأخذ صفة الاستمرارية، شأنه شأن التربية، ولذا لا يقتصر التعليم في الإسلام على زمن دون زمن، أو مكان دون آخر. وهذا ما يفسر انطلاق رحلة التعليم والـــتعلم من البيت، بل يعد التعليم البيتي الحجر الأساس الذي يبني المعلم فوقه المعارف الأخرى، دينية كانت أم دنيوية، وكيف كان دور البيت، ومساهمته في العملية التعليميـــة فـــي القـــرن الثالـــث الهجري؟

البيت:

إذا كانت تربية الطفل تبدأ من قبل ولادته، ولا تنتهي إلا بموته، مرورا بمرحلـــة حملـــه ورضاعته، فمرحلة طفولته، ومراهقته، وشبابه ثم كهولته. تعليمه أيضا، لا يخلو مـــن مراحـــل زمنية يراعيها المعلم حسب تطوره العمري، فضلا عن مراعاته لأماكن تعليمه، التـــي يعتبـــر البيت من أهمها على الإطلاق، لأنه يؤدي دور المثبت والمؤيد أو الملغي لما يتلقاه الطفل فـــي أمكان أخرى، ولأنماط مختلفة من التعليم.

إن البيت هو السكن، والراحة، والكيان، وقد أولاه الإسلام اهتماما بالغا؛ فحافظ على حرمته بأن فرض الاستئذان عند دخوله، كما أنه اللبنة الأساسية في تكوين مجتمع مسلم بالمقاييس التي رسمتها الشريعة الإسلامية السمحة، ولذا اهتم المسلمون بطراز هندسة بيوتهـــم، إذ لا غرابة في ظهور ثقافة كل أمة ومقوماتها الفكرية والعقدية في نتاجها المادي، سواء بناء، أم حرفا، وتجارة وصناعات، وغيرها. فلطراز البناء الإسلامي أثر على ثقافة الحياء، لاهتمامه بقضية الغرفات، وحجب النساء عن أعين الغرباء، فالبيت الإسلامي «مصون من أن يرى ما بداخله أحد،لأن الحرم أكثر من أن ينظر إليهن، ولأن داخل البيت بالنسبة إلى المسلم يتبحبح به أكثر مما يأخذ حريته خارجه.»"[1]" وفي غيره من الأماكن.

ثم إن العرب أعرق في البداوة وأبعد عن الصنائع، لعدم مقدرتهم على التخلي عن بداوتهم مراعاة منهم لمراعي إبلهم خاصة،"[2]" وتمسكهم بالبيوت التي يصنعونها من وبر الجمال، وصوف الغنم"الخيام"، هذا من جانب ومن جانب آخر وقد «كان الدين أول الأمر مانعا من المغالاة أو البنيان والإسراف فيه في غير القصد.»"[3]" وهذا شأن أهل المغرب العربي، المتمسكون بعادات البداوة، سواء قبل الإسلام أم بعده، على الرغم من اختلاطهم بالأقوام التي ملكتهم وهم من أهل الصنائع والحضارات إلا أنهم لم يأخذوا منها شيئا. ولم ترسخ حضارة البنيان فيهم."[4]"

وحتى بعد أن أخذوا بأسباب التحضر والتمدن، وتفننهم في هندسة بيوتهم على الشكل الرائع الذي نراه من خلال الآثار في الأمصار التي بنوها، فقد حرصوا على أن يكون البيت مغلقا على نفسه، بحيث تكون نوافذه مطلة على ساحة فنائه، وليس على الخارج، حفاظا على مبدأ الحياء والعفة. ومنه يمكن الاستنتاج أن ما يدخل هذه البيوت صعب أن يخرج منها، أو يُطلع عليه بسهولة لأنه لا وجود لمنفذ يدخل منه ما هو غير مرغوب فيه،أو التطلع منه للخارج إلى ما هو ليس منه، ولا من مقوماته.

وكأن هذا يحاكي عقلية العربي ونفسيته، في بناء منهج تربيته وتعليمه لأولاده، فالطفل في السنوات الأولى التي ينشأ فيها في البيت يتعلم الأصول الصحيحة دون أن يتلوث بما هو موجود في الشارع، ودون أن يلحقه شيء من أذاه، فيتربى على المبادئ السليمة والأخلاق الإسلامية الفاضلة، لنمو نواحيه الفيزيولوجية والسيكولوجية نموا سليما.

1- سعيد حوى، الإسلام، ص: 507.
2- ابن خلدون، المقدمة، ص:334.
3- المصدر نفسه، ص:333.
4- ينظر المصدر نفسه،ص:332.

ولذا فالمكان الأول الذي يتلقى الطفل فيه تعليمه القاعدي والأولي هو البيت، على حد قول إبراهيم سلامة، الذي أورده أحمد فؤاد الأهواني في كتابه بقوله:«إن الطفل بعد أن يتلقى التعليم في المنزل يذهب إلى الكتاب في السابعة من عمره.»"[1]" وهو يحمل زادا أوليا.

ومع أن صاحب المدونة لم يورد نصًا صريحا في مدونته فيما يخص البيت، المكان الأول الذي يتلقى فيه الطفل ويتعلم الأخلاق الواجبة لنيل العلوم وتعلم القرآن خاصة، فإنه أشار إلى ما يُوحي بذلك، في كثير من موقف الآداب الضرورية. وهذا مما يدل على التواصل شبه الكامل بين البيت ومكان التعليم (مسجد، كتاب...) وإلى تعهد أهل البيت بتعليم الأبناء في البيت أولا،لأن حرصهم على مراقبتهم وتفقد المراحل التي وصلوا إليها من حفظ للقرآن، والحذق فيه؛ دليل آخر على أن رحلة تعليمهم لم تبدأ مباشرة في الكتاب؛ وإنما سبقتها مرحلة التحضير والتعليم البيتي التي يسعى أصحابه إلى الحرص على عدم تناقض ما يعطي للصبي فيه مع ما يُعطى له خارجه.

ولعل من بين العبارات التي يُستوحى منها هذا التواصل، بين البيت ومكان التعلم في المُدوَنة ما يلي:« لا أرى ذلك يجوز له، إلا أن يأذن له آباؤهم أو أولياء الصبيان في ذلك.»"[2]" وفي موضع آخر يقول عن الوالد:«ولا يحل أن يأمر أحدا أن يعلم أحدا منهم إلا أن يكون في ذلك منفعة للطفل في تخريجه، أو يأذن والده بذلك.»"[3]"ويقول في موضع آخر متحدثا عن هذه العلاقة :«ولا يجوز له أن يأذن له أكثر من ذلك، إلا بإذن آبائهم كلهم لأنه أجير لهم.»"[4]"وقوله كذلك.«وأما في غير ذلك فلا يجوز له إلا بإذن الآباء.»"[5]" وقوله: «إلا أن يسهل له الآباء.»"[6]"

إن تعليم البنات في البيوت، دليل آخر على أن البيت المكان الأول للتعلم، ولأن هذه البنت التي تعلمت في البيت ستعلم ما تعلمته بالضرورة لأطفالها وإخوتها في المكان ذاته، ولذا يلعب البيت دورا مهما في تشكيل وترسيخ الأخلاق الفاضلة المطلوبة في الشريعة الإسلامية، وهذا ما يفسر وضع علماء التربية « المنزل في المرتبة الأولى في ناحية تربية الأطفال وتوجيه أخلاقهم، إذ في رحابه يفتح الطفل عينيه على العالم لأول مرة في حياته، وفيه يلتقي بالمعلم الأول وهو الأم.»"[7]"

1- محمد فؤاد الأهواني ،التربية في الإسلام دارا لمعارف،مصر،ط2 ،1975، ص:51.
2- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلين،ص:.80
3- المصدر نفسه،ص:80.
4 - المصدر نفسه،ص:79.
5- المصدر نفسه،ص:.79
6- المصدر نفسه، ص:84.
7 - تركي رابح،الشيخ عبد الحميد بن باديس،ص:294.

ويجزم علماء التربية وعلماء النفس على تأثير البيت المطلق على الطفل في سنواته الأولى الحاسمة، ويمتد هذا التأثير إلى مستقبله.ولهذا ينادي هؤلاء الباحثون بالحرص الزائد والرعاية المكثفة في هذه السنوات، لنقل التراث الاجتماعي إليه نقلا صحيحا، وهذه هي المهمة الرئيسة للبيت عند المسلمين في القديم. « فهو المدرسة الأكثر أهمية في العملية التربوية، ثم جاء دور المدرسة ليأخذ الدور الأول.»"[1]" في العصر الحديث، مع إهمال التواصل بين البيت والمدرسة، أو تقصير أحدهما في استمرارية التواصل بالآخر، وغالبا ما يحدث هذا مباشرة بعد انطلاق الطفل إلى المدرسة، وفي بعض الأحيان قبل إتمامه السنوات الخمس من عمره التي يكوّن فيها شخصيته وكيانه الاجتماعي كما يذهب لذلك أغلب الباحثين إذ « يرون أن تطور الفرد متعلق إلى حد بعيد بما يكتسبه من البيئة قبل بلوغه الرابعة من العمر.»"[2]" والبيئة الوحيدة التي يرتبط بها الطفل في هذا العمر ولا يفارقها البتة هي: المنزل فعلى أي حال كانت هذه الأسرة، كان حال طفلها من سوء أو حسن الخلق.

المسجد:

لم يقتصر دور المساجد في الإسلام على الجانب التعبدي فقط، بل تجاوزت ذلك إلى كونها مراكز لسياسة الناس في السلم والحرب معا، ومأوى لعابري السبيل، والمسافرين ومكانا لنيل أرقى درجات العلم، فالمساجد في القديم مثل الجامعات، والمعاهد بالمفهوم المعاصر، إذ يدرس فيها الطالب التخصص الذي يريد، مع الشيخ الذي يختاره، وأظنه إجحافا إذا اقتصر الأمر على التمثيل فقط. بل إن المسجد حقا «أول جامعة إسلامية أخرجت من أساطين العلم أبا عمر بن العلاء ،ويونس بن حبيب، وعيسى بن عمر الثقفي،والخليل بن أحمد ، وحامد بن مسلمة، وشعبة بن الحجاج ،وخلفا الأحمر وأبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري. إلى غير هؤلاء.»"[3]"

إلا أن أغلبها لم يعد كذلك الآن، إذ اقتصر دور المساجد على أداء فريضة الصلاة فقط، أما التي ما تزال كمراكز إشعاع لحد الساعة فتعد على الأصابع منها: الأزهر الشريف بمصر، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب الأقصى. مع تناقص الهجرة إليها و الأخذ من أعلامها أمام هذا الزخم الهائل من الجامعات العالمية المجهزة بأحدث التجهيزات التكنولوجية، والتي تدرس فيها مقاييس مستحدثة تثير فضول الطالب من جهة،وتحول تيار الهجرة من البلدان الإسلامية إلى البلدان الغربية من جهة أخرى.

ومع تراجع دور المساجد في تنظيم حياة المسلمين من مختلف جوانبها، تراجع دور التربية والتعليم، لأن التربية الحديثة بمختلف مؤسساتها (مدارس، معاهد، مراكز التكوين) لم

1- إسحاق أحمد فرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص:122.
2- إيدجار فور وآخرون، تعلم لتكون،ص:178.
3- عبد الحميد الشلقاني، الأصمعي اللغوي صورة عراقية في القرن الثاني الهجري، دار المعارف ،القاهرة، 1982 ،ص:28 .29

توطد مهامها وعلاقاتها بالمساجد، بل عملت كل جهة كمؤسسة مستقلة، في مجتمعات أقل ما يقال عنها أنها مفككة وتائهة جراء الحروب التي مرت بها، مع أنها لعبت دورا هاما وكبيرا في تكوين روح الجهاد ضد الاستعمار الأجنبي، في أنفس الناس، إذ تعد مرا كز لولادة الثورة، لذلك يمكن القول، إن المساجد عادت لتحتل مكانتها الطبيعية في القرن العشرين كمراكز تربوية، روحية، وتوجيهية، ويمكن أخذ مساجد الجزائر كمثال على ذلك «فقد رابط ابن باديس في الجامع الأخضر بقسنطينة أكثر من ربع قرن يعلم، ويربي الشبيبة في النهار، ويعض، ويرشد،ويفسر القرآن، ويشرح الحديث للمواطنين الكبار بالليل حتى بعث في الجزائر نهضة عربية إسلامية واسعة النطاق.»"[1]"

إلا أن هذا الدور بدأ بالتراجع مجددا وانحصر في العبادة مرة أخرى، ومنه أميل إلى ما ذهب إليه إسحاق أحمد فرحان في قوله:«لابد من إيجاد صيغ عملية للتعاون بين البيت، والمدرسة، والمسجد، وسائر المؤسسات الاجتماعية والإعلامية في المجتمع بصورة تنسق فيها الجهود وتكثف لتربية الفرد المسلم.»"[2]"

وإذا كنت أتحدث عن إحياء صورة التعليم القديم للاستفادة من نقاط قوته في تطوير مناهج تعليمنا، فلابد أولا من «تطوير رسالة المسجد الحالية لتعود من حيث الفكرة إلى سابق عهدها رسالة عبادة وعلم تربية واجتماع، قضاء وإصلاح بين الناس، فتعود المساجد مؤسسات اجتماعية متكاملة.»"[3]"وهكذا نحافظ على أهم ميزة مفتقدة في مناهج التربية والتعليم في عصرنا الحالي وهي: (التربية الإسلامية المتزنة) التي تقيم التوازن الثقافي، في الأسرة والمجتمع.

وإذا كان المسجد يهتم بتعليم الكبار لكونهم أأمن من النجاسة، وأشد صبرا على حلقة العلم، وأعرف بآدابها، فلتعليم الصغار مكان آخر مخصص لهم ويكون ملتصقا بالمسجد ويسمى في بعض جهات الوطن (الخربيش)"[4]" أو بعيدا عنه كالكتاتيب، والزوايا، والرباطات، لأن تعليم الصبيان في المسجد مكروه « وسئل مالك عن تعليم الصبيان في المسجد فقال: لا أرى ذلك يجوز، لأنهم لا يتحفظون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم، قال مالك :ولا أرى أن ينام في المسجد ولا يأكل فيه إلا من ضرورة ومن لا يجد بدا منه كالغريب، والمسافر، والمحتاج الذي لا يجد موضعا.»"[5]"

ورغم توافر أماكن أخرى غير المساجد للتعليم كالكتاتيب، والزوايا، والرباطات والمدارس فإن دور المساجد في التعليم لم يلغ، ولم يتأثر بظهور هذه الأماكن، بل على العكس فمساهمتها في تخفيف الضغط عن المساجد جاءت في وقتها، حيث كثرت العلوم، وتنوعت المدارس وازدهرت الثقافات ازدهارا كبيرا، ونشطت حركة الترجمة والنقل من اللغات الأجنبية

1- تركي رابح،الشيخ ابن باديس، ص :365.
2- إسحاق أحمد فرحان،التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص:122.
3 – إسحاق أحمد فرحان،التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ،ص :120.
4- ينظر عزاز حسنيه ،الشواهد النحوية في الكتب المقررة للتعليم الثانوي مذكرة ماجستير، ص:14.
5- محمد بن سحنون ،كتاب آداب المعلمين ص:87.

إلى اللغة العربية، وبرزت حلقات المناظرة والجدال."[1]" فكان لابد من توفير أماكن أخرى لتعليم هذه العلوم، لعدم استيعاب المساجد هذا الزخم الهائل من المعارف المتنوعة، ثم إن المسجد والتعليم في الإسلام وجهان لعملة واحدة، فكما أن لا مسجد من دون صلاة، كذلك لا مسجد من دون تعليم في الإسلام، ورغم تناقص دوره فإنه يؤدي هذه المهمة فعلا في المجتمع وإلى يومنا هذا.

وما دام المسجد المكان المخصص، لتعليم الكبار أو بمعنى آخر مكان موقوف على التعليم المتخصص، فمن المؤكد أن لتعليم الصغار مكاناً لا يقل أهمية عن المسجد، فما هو هذا المكان؟وبماذا يختص؟ وما هي أحواله في القرن الثالث الهجري؟ وما أثر هذا المكان على تحصيل الصبية؟

الكُتَّاب:

ويعرف أيضا بالمكتب، وهو المكان الذي يركز عليه صاحب المدونة كثيرا لأنه مخصص أساسا لتعليم الأطفال؛ وهي الفئة التي يهتم بها محمد بن سحنون في هذه المدونة. وقبل التفصيل في ملاحظة الكتاب، ومما يتكون، وما هي تجهيزاته، وهل تطور عبر العهود الإسلامية أم بقي على حاله، أعرج أولا على ظهور الكتاتيب في الإسلام وزمن إنشائها فأقول: من المؤكد أن ظهور الكتاتيب وانتشارها، جاء متأخرا بالنسبة إلى المساجد، لعدم تفرغ المسلمين لهذا الأمر، إذ انشغلوا بالدفاع عن الرسالة في بقاع الأرض، وهذا الأمر طبعا يحتاج إلى كل الطاقات الموجودة لذلك، ولعل هذا ما يفسر تأخر ظهور الكتاتيب مع حرص الرسول (صلعم) على تعليم الكتابة، والقراءة، ومباشرة إنجاز هذا العمل مع الأسرى ممن يعرفونها.

ولعل رواية ابن حزم ترجع ظهور الكتاتيب إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: « ثم مات أبو بكر وولي عمر، ففتحت بلاد الفرس طولا وعرضا، وفتحت الشام كلها والجزيرة، ومصر ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقرأ الأئمة القرآن فيه وعلمه الصبيان في المكاتب شرقا وغربا.»"[2]"

إلا أن بعض الروايات تُرجع ظهور الكتاب إلى أقدم من ذلك، أي قبل ظهور الإسلام ولكن على نطاق ضيق ومحدود"[3]" لعدم تميزه بالصبغة الديمقراطية التي تميز بها في الإسلام، وهذا سبب عدم بروزه وانتشاره،"[4]" وأميل إلى أن مركز التعليم المقصود في هذه الفترة، هو المدرسة؛ وليس الكتاب.

1- ينظر تركي رابح،الشيخ عبد الحميد بن باديس،ص:355.
2- ابن حزم،الفصل في الملل و الأهواء النحل، مطبعة عبد الرحمن خليفة، ج1، (د م ن) ، 1347هـ، ص:67.
3- محمد منير مرسي،التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية) ، عالم الكتب، القاهرة ، 1983، ص:226.
4- أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،ط2،ص:64.

أما من حيث البناء، فالكتاتيب عبارة عن مكان منعزل عن المسجد تماما، كما قد يكون مجاورا له، يختلف في الاتساع والضيق، إذ قد يتسع لأكثر من حجرة أحيانا وقد يقف عند حدود هذه الحجرة ومن أخبار المكاتب أن بعضها ضم حشدا كبيرا بلغ الآلاف من المتعلمين، وهذا يدل على الاهتمام الكبير بالعلم والتعلم من جهة، وعلى اتساع وانتشار أماكن التعلم لكثرة طالبيه من جهة أخرى، هذا في المدينة، أما في البادية حيث غلبة الأبناء على البنات في الكتاب، فإنه يكون عبارة عن خيمة تسمى (خيمة المؤدب)."[1]" ولا يقل انتشار الكتاتيب في المغرب العربي عن المشرق إذ توسع هذا الانتشار منذ النصف الثاني من القرن الأول هجري."[2]"

إن الهدف الأساسي من انتشار الكُتاب، هو:« تعليم الأطفال القراءة، والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم.»"[3]"ورغم أن الكتاتيب لم تتطور التطور الكبير، إلا في ما يخص الجانب العمراني الذي يحتكم لطبيعة كل مجتمع وثقافته فإنه صار« بكل قرية كتاب، تقام فيه الصلوات في أوقاتها، ويدرس فيه الأطفال فيما عدا ذلك.»"[4]"هذا في القديم، والحديث. على الرغم من انتشار المدارس العصرية.

وبعد هذه النظرة، عن نشأة الكتاتيب. أعود لأركز على نظرة صاحب المدونة لهذا المكان،في الواقع لم يذكر محمد بن سحنون الشيء الذي يمكننا من تكوين رصيد معرفي حول الكتاب في القرن الثالث الهجري سوى هذا القول الذي لا يتعدى السطر متحدثا فيه عن المعلم قائلا: « وعليه كراء الحانوت وليس ذلك على الصبيان.»"[5]" ومن خلاله نستشف ما يلـــــي: ــ الكتاب في عهد محمد بن سحنون محدود المساحة وهذا ما يفسره ذكره للفظة (حانوت) التي توحي بأن هذا المكان في حدود الحجرة لأن المعلم المسئول الوحيد على توفيره، ولأن إمكانيات المعلمين في الغالب محدودة، لاقتصارهم على الاسترزاق من صناعة التعليم وحدها وتفرغهم لها، مما يعني أن كراء هم لمثل هذا المكان، يكون على قدر حالهم، إذ لا أتوقع في مثل هذه الظروف، أن يقوم معلم باكتراء بيت خاص للتعليم والأجر الذي يتلقاه رمزي أو زهيد من أجل تمكين أولاد المسلمين من القراءة والكتابة .

ــ وبناء على ما سبق، فهذه الكتاتيب لم تتوافر على وسائل تعليمية كافية أو متطورة فيما بعد، إذ بقيت كذلك حتى العهود المتأخرة حيث لا تتعدى الحصير، واللوح الخشبي، والمداد، والأقلام، حتى الماء يحضره المتعلمون كل بنوبته حسب ما بين صاحب المدونة في قوله: « وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهرا(...)»"[6]"ووصف المحدثين لهذه الأماكن يؤكد عدم تطورها وسيلة ومنهجا يقول رابح تركي: « ونظام التعليم في هذه الكتاتيب هي أن يجلس الأطفال على

1 – محمد منير مرسي،التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية) ، ص:226.
2– ينظر المرجع نفسه ،ص:226.
3 – بو فلجة غيات،التربية والتكوين بالجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1992،ص:15.
4– المرجع نفسه،ص:15.
5 – محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين، ص:83.
6 – المصدر نفسه ، ص:75.

حصير بسيط أمام الطالب (المعلم) كما يطلق عليه في الجزائر.»"[1]" وكذلك ورد في نص محمد منير عيسى ما يلي:« كان التلاميذ يذهبون إلى الكتاب في الصباح الباكر، فيجدون معلمهم جالسا في المكان المخصص له فيجلسون من حوله على اليمين واليسار قعودا على الحصير المصنوعة من السمار أو نبات الحلفاء،وقد كان ذلك الأثاث المتواضع الشائع للكتاب.»"[2]"

ــ ويمكن الاستنتاج من النقطتين السابقتين أن الفترة التي يقضيها الصبي في الكتاب فترة قصيرة لا تطول كثيرا، إذ بمجرد استو فاء الصبي لكتاب الله حفظا وتعلمه القراءة، والكتابة ينتقل مباشرة إلى مستوى أعلى هو المسجد، لأن الكتاب لا يتسع لكل هذا العدد المتزايد من الأطفال الذين يأتي بهم أولياؤهم للكتاب، ولأن المعلم ملتزم بعقد إيجار لمدة زمنية محددة.

وهكذا فإن المكان الذي يتحدث عنه محمد بن سحنون قد لا يساهم في العملية التعليمية إيجابيا، وفي ارتفاع نسب التحصيل بالمقاييس التعليمية الحديثة التي تركز على فضاء القسم، وتزيينه. وكل ما يتعلق بالجانب النفسي للطفل تجاه المكان، ابتداء من هندسته المعمارية، وصولا إلى اختيار الألوان،والصور، والمجسمات. إلا أن ما قدمه الكتاب من تخريج لعلماء مشهورين إلى جانب المسجد، ومساهمته في نشر الإسلام، والقضاء على الأمية فيما بعد، يدفع إلى طرح التساؤل الآتي وهو:كيف استطاع هذا المكان في مثل هذه المقاييس والظروف، أن يقفز بالعملية التعليمية في القديم إلى أوجها؟

وفي هذه الحال أميل إلى أن بيئة المغرب العربي في ذلك العصر هي التي خولت للكتاب أن يحتل هذه المكانة، إذ يعتبر تقريبا المكان الوحيد للتعليم والتعلم ثم إن الظروف المعيشية لأغلب المسلمين في هذه الفترة تناسبهم أن يدرسوا أولادهم في مثل هذا المكان، فهم على الأغلب فقراء، لأن الأغنياء خصوا أولادهم بتعليم منعزل عن العامة،تعليم مخصص في القصور والبيوت (التعليم الخاص)، ثم طبيعة حياتهم القاسية عودتهم على تحمل الصعب.

ولذا فالكتاب بتجهيزاته البسيطة لا يعتبر مكانا هينا في أعينهم البتة، ولعل هذا ما يفسر تراجع دور الكتاب في العهود المتأخرة، فمزاحمة الأماكن الأخرى الجديدة في التعليم له أنقص من مكانته في المجتمع، وكذلك تأثير التطور الحضاري على هذه المراكز وارتفاع المستوى الفكري والمعيشي للناس بالأهمية بما كان ليصرفوا النظر عنه. زد على ذلك، عدم سعي أصحاب الكتاتيب إلى محاولة الرقي بهذا المكان على مستوى البناء، والتصميم، والتجهيزات هو الآخر سبب في نفور الأهالي من تعليم أولادهم به واللجوء إلى المدارس الحكومية التي اتخذت على عاتقها مجانية التعليم، ووفرت في هذه المدارس كل المرافق الأساسية من عيادات، ومطاعم، وغيرها.

ثم عدم التجديد في الطريقة التعليمية وافتقار أصحاب الكتاتيب إلى ما يسمى بعلم التخطيط في وضع البرامج والمناهج، واكتفاؤهم بتلقين الموروث حفظا دون المساءلة والمشافهة

1 – تركي رابح ،الشيخ عبد الحميد بن باديس،ص:350.
2 – محمد منير مرسي،التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية) ، ص:227.

أمام ما تقدمه المخابر من استنباطات، واستدلالات، كان سببا آخر لوسم هذا التعليم بالرجعية والتخلف والتقوقع، في حين لو خصصت الدول الإسلامية قدرا مهما من الميزانية التي تخصصها للمدارس الحديثة لإحياء التعليم بالكتاتيب وتطويرها والنهوض بها لفاقت نسب التحصيل بها نسب التحصيل بالمدارس لأنه تعليم مبارك مبني على أسس الشريعة الإسلامية التي تدخل في بناء برنامج أي مادة تعليمية حتى الجغرافيا والتاريخ."[1]"

المدارس:

لعل هناك خلط بين مفهومي المدرسة والكتاب، وهذا الخلط راجع بحسب تقديري إلى أن وظيفتهما واحدة فمنهم من يقول أن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) هو من أسس أول مدرسة قرآنية "[2]"في حين يطلق على هذا المركز التعليمي الكُتاب أو المكتب وليس المدرسة لأنها تختلف عنه فيما يلي:

ــ الكتاتيب، وهي مركز تعليمي من ابتكار المسلمين. إذ لم تعرف أي ديانة مثل هذه المراكز التي تعلم فيها أصول الدين الإسلامي، وكيفية حفظ القرآن الكريم، وقراءته، و كتابته ولم يعرف المسلمون المدارس التي عرفها الفرس، وأهل الشام ومصر إلا فيما بعد."[3]"

ــ تميز المدارس عن الكتاتيب في كونها خاصة بأبناء طبقة خاصة من ملوك، وأغنياء وعلماء ليعلموهم طقوس دياناتهم وكيفية مزاولتها، في حين الكتاتيب عامة لكل أفراد الأمة الإسلامية وفيها يتحقق (مبدأ المساواة).

ــ كانت المدارس قبل أن يعتمدها المسلمون كمراكز تعليمية قائمة على نظام إسلامي ملحقة بالمعابد، والكنائس، والأديرة ،أما الكتاتيب فهي إما مجاورة للمساجد أو منفصلة عنها تماما للحفاظ على قداسة."[4]" المساجد ونظافتها.

ــ تحتوي المدارس على داخلية يعيش فيها المتعلمون، أما الكتاتيب فلا تحتوي على نظام داخلي"[5]" لصغر سن المتعلمين بها، ولأنها تخص كل حي وجماعة. في حين، توجد مراكز تعليمية أخرى تقوم بهذا الدور. وهي خاصة بالطلبة الكبار.

ولم يأخذ المسلمون نظام المدارس عن الحواضر التي فتحوها مباشرة في أول الأمر لانشغالهم بالفتوحات، إلا بعد استقرار الدين الإسلامي في المناطق التي فتحت، وانصراف المسلمين عن الفتوحات إلى النظر في أمور أخرى، ومن هنا ظهر نظام المدارس في الإسلام الذي يرجع إلى القرن الخامس الهجري. وذلك على يد نظام الملك الوزير السلجوقي

1- يمكن أن تدرس مادة الجغرافيا انطلاقا من النصوص القرآنية التي تشير إلى خلق الكواكب، والأرض والسماوات، والجبال، كما يمكن تدري تاريخ الأمم وحضاراتهم بالطريقة نفسها،وبهذا ينمي المعلم الحس الديني في دراسة ومعالجة كل الأمور.

2 – ينظر بلعا لم محمد باي،لمحات عن كيفية التعليم بمنطقة توات،جريدة البصائر،العدد:44.ص:07.

3– ينظر أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،ط2،ص:68–70.

4– ينظر أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،ط2 ،ص:68

5 – ينظر المرجع نفسه،ص:70–73.

الفارسي."[1] ولعله أخذ هذا النظام مما كان منتشرا في الفرس قبل مجيء الإسلام، فالفرس أصحاب حضارة زاهرة، والمدارس بها منتشرة رغم اقتصارها على أبناء الطبقات الراقية، وكانت المدارس منتشرة في الشام، ومصر قبل الإسلام؛ ولكنها مثل سابقاتها في الفرس مقتصرة على طبقة معينة من أفراد الشعب."[2]

وترجع بعض الروايات تاريخ انتشار المدارس النظامية إلى أقدم من ذلك، للعثور على بعضها في نيسابور، وبغداد، قبل هذا التاريخ.كما تنفي هذه الروايات بناء نظام الملك الوزير السلجوقي أول مدرسة إسلامية فقبلها كانت« المدرسة السعدية التي أنشأها نصر بن سبكتكين حاكم نيسابور، والمدرسة البيهقية التي بناها الشيخ أحمد البيهقي في نيسابور.»"[3]

وسواء أنشئت المدارس الإسلامية على يد نظام الملك، أم على يد غيره، فالنتيجة المتوصل إليها واحدة وهي: أن المسلمين عرفوا المدرسة متأثرين بالحواضر التي فتحوها كالفرس، ومصر، والشام، وجاء وجودها متأخرا عن الكتاتيب التي اختص بها المسلمون فقط. ومع ذلك فقد أخضع المسلمون هذا المركز الجديد إلى النظام الإسلامي، فجعلوا طرازه على الطراز المعماري للمساجد، والذي كان يميز المدرسة عن المساجد في ذلك الوقت «وجود الإيوان، وهو قاعة الدرس، بالإضافة إلى أماكن إقامة المعلمين والطلاب وما يتطلبه ذلك من مرافق خاصة. وربما يرجع ذلك إلى تداخل وظيفة المدرسة أول ظهورها بوظيفة المسجد.»"[4] الذي ظهر من بعدها.

مواد التدريس:

أما المواد التي كانت تدرس في هذه المدارس النظامية فهي نفسها التي كانت تدرس في الكتاتيب، إذ تعطي الأولوية لعلوم الدين، والعلوم العقلية، وعلوم أخرى فرعية كالحساب والتاريخ والأدب."[5] مع اختصاص كل مدرسة بمذهبها، وتيارها الفكري،ومن أشهر المدارس بالمشرق العربي المدرسة (المستنصرية) التي بناها أمير المؤمنين العباسي المستنصر بالله في بغداد عام (631هج)، المدرسة (العادلية)، والمدرسة (الظاهرية) بدمشق، والمدرسة (النظامية) ببغداد التي أنشئت سنة (457هج)، والمدرسة (الناصرية) بالقاهرة."[6] وجميعها بالمشرق العربي.

وقد عرف المغرب العربي، نظام المدارس قبل الفتح، إثر نقل التراث الروماني ومدارسه، ونظم تعليمه، إلى شمال إفريقيا، ولكن احتلال البيزنطيين لهذه الرقعة الجغرافية حال

---

1 –محمد منير مرسي، التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية)، ص:231.
2– ينظر أحمد فؤاد الأهواني،التربية في الإسلام،ط2،ص:66–73.
3– محمد منير مرسي، التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية)، ص:231.
4 – محمد منير مرسي، التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية)، ص:231.
5 – المرجع نفسه،ص:231.
6– المرجع نفسه، ص:232، 233.

دون تطور هذه الحركة الثقافية."[1]" أما بعد الفتح الإسلامي، فقد سعى الفاتحون إلى نشر التعليم والتعلم، لضرورة دينية أولا، ثم لضرورة حضارية ثانيا، فانتشرت المساجد والكتاتيب. ومن بعدهما ظهرت المدارس النظامية التي جاء ظهورها متأخرا، عن ظهورها بالمشرق العربي رغم التبادل الثقافي الدائم بينهما والرحلات العلمية التي لم تنقطع.

ويرجع ظهور المدارس النظامية في المغرب العربي إلى القرن السابع الهجري"[2]" ومن أشهرها: مدرسة (المدينة البيضاء) و(المدرسة العظمى) بفاس بالمغرب الأقصى. ومدرسة (الوادي)، ومدرسة (الصهريج)، ومدرسة (الرخام) ومدرسة (المصباح) والمدرسة (العنانية)وكلها بالمغرب الأقصى."[3]" ومدرسة (قيروان) بتونس."[4]" وقد اشتهرت تلمسان أيضا«بمدارسها وعلمائها قبل دخول العثمانيين، وقد كانت بها على الأقل خمس مدارس إلا أن هذه المدارس قد تدهورت في العهد التركي ولم يبق منها إلا اثنتان.» "[5]"

ومن بين هذه المدارس في تلمسان: مدرسة (سيدي الحسن أبركان)، المدرسة (التاشفينية) ومدرسة (الجلد)، ومدرسة (المنشار)."[6]" وسواء في المشرق أم في المغرب شهدت المدارس النظامية انتشارا واسعا، إذ وجد قرابة (360) مدرسة في دمشق "[7]"و(13) مدرسة بالقاهرة."[8]" و(100) مدرسة بقسنطينة في الجزائر إبان العهد التركي."[9]"

ومع حركة الاستعمار التي شهدتها البلدان الإسلامية تقهقرت مكانة هذه المراكز التعليمية التي أغلق معظمها وأخضع الباقي للرقابة، بل حول بعضها إلى كنائس للمسيحيين « مثلما هو الحال بالنسبة جامع كتشاوة بالعاصمة،كما قدَمَ المدرسة والزاوية التابعة للجامع الكبير إلى أحد الأوروبيين والذي حولها إلى حمام فرنسي.» "[10]"

وبعد استقلال هذه البلدان ورثت هياكل التنظيم والمؤسسات التربوية عن المستعمر الذي ناد بالنظريات التربوية الحديثة التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وهو ما أدى بالمسئولين إلى تغييره شيئا فشيئا مخافة إصابة الجهاز التعليمي بالشلل، ورغم هذا الجهد الجهيد في إعادة اللغة العربية كلغة رسمية في المدارس، وحركة إحياء التعليم العربي، إلا أنه لا يمكن أن يقارن بالسياسة التعليمية السائدة في القديم لاستحواذ المدرسة على مكانة المراكز التعليمية الأخرى ولاصطباغها بالمفاهيم الجديدة المستوردة.

1- محمد منير مرسي، التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية)، ص:207،208.
2- هذا حسب ما ذكره الدكتور محمد منير مرسي في كتابه التربية الإسلامية ،ص:209،أما الدكتور بوفلجة غيات فيرجع ظهور المدارس في المغرب العربي إلى تاريخ القرن السادس الهجري في كتابه :التربية والتكوين بالجزائر،ص:18.
3- ينظر محمد منير مرسي،التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية) ، ص:209،210.
4 - ينظر المرجع نفسه ،ص:210.
5- بوفلجة غيات،التربية والتكوين بالجزائر،ص:23.
6- المرجع نفسه،ص:19.
7- ينظر محمد منير مرسي،التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية)، ص:233.
8- ينظر المرجع نفسه،ص:233.
9 - ينظر بوفلجة غيات،التربية والتكوين بالجزائر،ص:23.
10 - بوفلجة غيات ، التربية ومتطلباتها، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،1992،ص:29.

إن المدرسة اليوم، تعرف على أنها «مؤسسة اجتماعية ذات قاسم مشترك بين البيت والدين، والمجتمع، في التنشئة الاجتماعية للأفراد وتكوينهم، وتهيئتهم لمواجهة أعباء الحياة، تزود المتمدرسين بمفاهيم وطرائق تربوية حديثة، ووسائل تربوية متنوعة. حيث تساعد المتعلم على تحقيق الأهداف التربوية بطريقة أحسن وأسرع مما كان يحققه في المدرسة التقليدية.»"[1]" الشعبية.

الرباطات:

مفردها رباط، ويقال أن له معنيين: أولهما خاص بالمشرق، ويعني: بيت للعبادة، يقيم بها الفقراء للتعبد والتعلم معا. والثاني خاص بالمغرب العربي، ويعني مركز المراقبة، أو ثكنة عسكرية، يربط فيها المجاهدون خيولهم لمراقبة العدو. وغالبا ما تكون هذه الرباطات عند السواحل والحدود."[2]" ومادام البحث يختص بمنطقة المغرب العربي فالمعنى الثاني هو المقصود إذن.

وعن وصفه قال محمد منير مرسي:« هو ثكنة عسكرية محضة ذات صحن واسع تحيط به غرف، وقد يكون على طبق واحد أو على طبقين تعلوه صومعة مستديرة للآذان وخصوصا لمراقبة السواحل.» "[3]" وعدا وظيفة المراقبة، والجهاد التي تقوم بها الرباطات، فهي تهتم أيضا بالجانب الاجتماعي والثقافي،"[4]" إذ تسند إلى المجاهدين المرابطين مهمة نسخ المصاحف، وكتب الفقه، والحديث؛ وتوزيعها على طلبة العلم بالمجان. وكل مرابط من المرابطين، صاحب حرفة. فمنهم الطبيب، والفلاح، والعالم."[5]"

ولعل أقدم الرباطات المشيدة بالمغرب العربي هي: «رباط المستنير الذي بناه هزيمة بن أيمن والي القيروان سنة. 181هج.»"[6]" ورباطات أخرى مشهورة لا تزال قائمة لحد الساعة منها: رباط (سوسة) والرباط (الأعلى) والرباط (الأسفل) وجميعها بتونس."[7]" وجميعها تنتمي إلى التنظيم المغاربي.

1- عرقوب سامية، رحلة في التربية والتعليم، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2002، ص:57.
2 - ينظر محمد منير مرسي،التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية) ، ص:241.
3 - المرجع نفسه، ص:241.
4- ينظر بوفلجة غيات،التربية ومتطلباتها،ص:26.
5 - ينظر محمد منير مرسي،التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية) ، ص:242.
6- المرجع نفسه، ص:242.
7- ينظر المرجع نفسه،ص:242.

الزوايا:

لقد انتشرت الزوايا انتشارا واسعا، في العهد العثماني وما بعده."[1]والزوايا جمع زاوية « وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية للتدريس الابتدائي وحفظ القرآن، ولسكنى الطلبة وفيها قسم لنزول المسافرين، كما نجد فيها مسجدا لإقامة الصلاة والوعظ والتدريس الثانوي والعالي، وقد سميت الزوايا بهذا الاسم إما لانزوائها بعيدا عن المدن، وإما لأنها في زاوية المدينة.»"[2]" وقد كانت معاملة الاستعمار القاسية، لأبناء الوطن، الحافز الأساسي؛ لإقامة الزوايا، والقيام بها، وفيها.

ولعل المقصود بالتعليم الثانوي والعالي من النص ذلك التعليم المخصص للتفقه في علوم القرآن، وعلوم اللغة والأدب الذي يتم على مستوى بعض الزوايا المشهورة التي تسعى للحفاظ على نمط التعليم الإسلامي،إذ لا تقوم كل الزوايا بهذا الدور لتأثير الضعف والفقر على أصحابها، واقتصارهم على حفظ القرآن والأذكار فقط. وقد كان استبداد الحكام، سببا آخر، لانزواء أصحاب الزوايا عن الناس، وزهدهم في الدنيا، وانشغالهم بظاهرة التصوف، الأمر الذي أدى إلى تفشي الجهل أكثر وانقطاع سند التعليم جميعه."[3]"

وما زاد من انتشار هذه الزوايا في مختلف أماكن الوطن، اتخاذ العامة مِمَن استأصل فيهم الجهل أصحابها رمزا للتقوى والصلاح، لدرجة اتخاذهم مزارا للتبرك بهم"[4]"ومن أشهر هذه الزوايا: زاوية (الثعالبي) بالعاصمة. وزاوية (سيدي الهواري) بوهران. وزاوية (الملا ريا) بقسنطينة. وكلها بالوطن لجزائري."[5]" وعلى الرغم من اهتمام الزوايا بالعمل الخيري، ودورها الفعال في نشر التوعية بضرورة الجهاد ضد الاستعمار، والحفاظ على اللغة العربية، والقرآن الكريم؛ فإنها لم تخط بالتعليم والتعلم خطوة للأمام، إذ يظهر تأخر التعليم فيها جليا؛ وذلك لاقتصار مناهجها على الحفظ، دون المساءلة، والاستنتاج والنقد، والتعليل."[6]"

وأخيرا أقدم لهذه الزوايا جدولا مختصرا مركزا أوجز فيه كل ما قلته فيها.عن أماكن التعليم والتعلم في المغرب العربي، في الفترة الممتد مجالها الزمني مما قبل القرن الثالث هجري، وما بعده، مع ذكر الوظيفة، والمرافق، والمساحة.

1- ينظر بوفلجة غيات،التربية ومتطلباتها،ص:26.
2 - تركي رابح،الشيخ عبد الحميد بن باديس،ص:124.
3- ينظر بوفلجة غيات،التربية والتكوين بالجزائر،ص:22.
4- المرجع نفسه، ص:22.
5- المرجع نفسه، ص:26.
6- ينظر تركي رابح،الشيخ عبد الحميد بن باديس،ص:354.

جدول الأماكن التعليمية في المغرب العربي:

	زمن الظهور	المساحة	المرافق	الوظيفة
المسجد	مع الفتح الإسلامي للمغرب.	حسب مركز تواجده، حاضرة قرية إذ يتفنن في هندسته وبنائه لتمثيله الكيان الإسلامي	مكتبة المسجد، ساحة المسجد،محل الوضوء خربيش في غالب الأحيان.	مركز للعبادة والتعليم العالي و القضاء والسياسة وغيرها من الأنشطة.
الكتاب	النصف الثاني من القرن الأول للهجرة.	مساحته محدودة جدا لا تتجاوز الحجرة أو الحجرتين إذ قلما يتسع لأكثر من ذلك.	محل للوضوء وفي بعض الأحيان لا يتوفر على هذا المحل.	مركز للتعليم بالدرجة الأولى ويمكن إقامة الصلاة فيه.
الرباط	القرن الثاني للهجرة.	مساحته واسعة جدا إذ يمكن تمثيله بشبه القرية لتوفره على كل المرافق..	مسجد، محل للتعليم والتعلم، محل للإيواء والإطعام، مكتبة، محل لتداوي، (...)	مركز لمراقبة الأعداء بالدرجة الأولى ثم للتعبد والتعلم والتعليم.
المدارس	القرن السابع للهجرة.	يعادل المسجد مساحة أو يفوقه في أغلب الأحيان لضمه حشودا تفوق الألف طالب أحيانا.	داخلية لسكنى الطلبة، حجرات للدراسة، مكتبة، ساحة، مكان لإقامة الصلاة	مركز للتعليم والتعلم أولا، تقام فيه الندوات والمناظرات. وتقام فيه الصلاة أيضا.
الزوايا	القرن العاشر للهجرة وما بعده.	مساحته واسعة حسب شهرة الزاوية	محل لإقامة الصلاة، محل للإيواء والإطعام، مكتبة أحيانا، ضريح لأحد الأولياء.	مركز للتعبد ثم للتعليم والتعلم والمساهمة في أعمال الخير.

زمن التعليم في المدونة:

يعتبر الزمن المحدد للتعليم والتعلم، عملية مهمة لتجسيد التصورات النظرية، في تنظيم المناهج، والطرائق، والتقنيات، وفي إعداد الوسائل، وتوزيعها على التوقيت المخصص لعملية التعليم والتعلم. مما يعرف بالتوقيت الأسبوعي الذي ينصاع« للتعليمات الرسمية ،والمناشير الوزارية الصادرة بالنسبة لكل شعبة ومادة من جهة، والعمل على تطبيقها على أرض الواقع في شكل وحدات بيداغوجية موزعة على أيام الأسبوع بالتساوي، لا للأقسام وحدها ولكن للأساتذة أيضا من جهة أخرى.»"[1]"

وللمتعلمين الصغار أولوية في مراعاة مواقيت دراستهم، وفراغهم؛ لحساسيتهم، ولعدم تقبلهم وكرههم في الغالب انتقالهم من زمنهم الشخصي إلى الزمن الاجتماعي، وخاصة المدرسي. فالصبي يخرج من البيت لأول مرة إلى مكان التعلم ولا يشغل باله إلا ما يقع في زمانه ومكانه هو من أحداث، إذ ينجذب لكل ما يشوقه ويفرحه فيراه يمر سريعا، ويستثقل مرور الزمن إذا أجبر على عمل ما، لهذا فالطفل سواء في المنزل أم مكان التعلم، وهو في مرحلته الابتدائية، يتمتع بتقدير شخصي للزمن. الأمر الذي يراعيه المربي وواضع البرامج، لينتقلا بالطفل تدريجيا إلى احترام وتقدير الزمن الاجتماعي، والانصياع له من خلال منحه وقتا معلوما للعب، وآخر للدراسة، ويراعى في هذا التوزيع، رغبته واستحسانه تعلم أي مادة تعليمية كانت. ولعل هذا هو الغرض من وراء وضع العطل الأسبوعية، والصيفية، والأعياد الدينية، والمناسبات القومية.

وتبقى هذه العطل مبرمجة في كامل المسار الدراسي للصبي حتى بعد نمو قدرته وتطور إحساسه بالزمن، الماضي بكل تفرعاته البعيد والقريب، في تصور المستقبل، أو الزمن القادم."[2]" وكلما تطورت فكرة الزمن في ذهن الطفل تتطور معها فكرة المكان التي تنمو في حدود الوسط المكاني المباشر الذي يعيش فيه إلى الأوساط المكانية الأبعد مسافة."[3]"

إن المسافة التي يقطعها الطفل من البيت إلى الكتاب، أو المسجد يدرك فيها تماما واجبه الذي سيقوم به ابتداء بانصياعه لأمر والده في البيت بالذهاب للكتاب، وصولا إلى انصياعه لشيخه في الكتاب وتأديته للواجبات التي يكلفه بها، ومرورا بتقدير القناة الرابطة بين منزله ومكان تعلمه (الطريق، الشارع، الحي، المدينة، المجتمع).

1- رشيد أورسلان،التسيير البيداغوجي في مؤسسات التعليم،ص:48.

2- ينظر وزارة التعليم الابتدائي والثانوي، دروس تطبيقية عامة، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1973،1974 ، ص: 252.

3- ينظر المرجع نفسه،ص:253.

وأقصد من وراء دراستي للزمن، في المدونة؛ الحصول من خلالها على كيفية توزيع صاحب المدونة للمنهاج على اليوم الدراسي، و معرفة أوقات فراغ الصبيان، وأوقات انشغالهم، في القرن الثالث الهجري.

اليوم الدراسي:

إن التعامل مع الوقت واستغلاله استغلالا معقولا، لضمان سير العملية التعليمية كما هو مخطط له صعب. لأنه يتطلب مراعاة الحجم الساعي اليومي، والأسبوعي، والشهري والسنوي واحترام تطبيقه، وذلك أن الاستغلال الجيد للوقت هو وسيلة لتحقيق الأهداف، والقدرات والكفاءات.

وأن الشريعة الإسلامية تقدر الوقت أيما تقدير، وتحرص على الاستفادة منه إلى أقصى الحدود، وقد كان المعلمون في القديم، على دراية تامة بضرورة التوزيع السليم، لما يجب تعلمه من المواد، على الأوقات الواجب الدراسة فيها؛ مع مراعاتهم لأوقات راحة الصبيان ولعبهم .

ومنه، وانطلاقا من السنة الشريفة، يمكن الجزم أن اليوم الدراسي عند المسلمين يبدأ من الصباح الباكر تحقيقا للاستفادة من سنة البكور، فالإنسان أكثر ما يكون نشيطا ومتهيئا للدرس في الصباح الباكر، ولعلي أعتبر نص العلموي الذي أورده محمد منير مرسي، نصا تشريعا لأوقات الدراسة، والذي يمكن أن يُبنى على أساسه التوزيع الزمني (استعمال الزمن)، يقول فيه:«إن أجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الأبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل. وأجود أماكن للحفظ الغرف، وكل موضع بعيد عن الملهيات. ومنها أن يبكر بدرسه لخبر بورك لأمتي في بكورها.»"[1]"

وهذا ما يوجد فعلا في منطقة توات بالجزائر حيث يخصص الطلبة هناك فترة الليل لقراءة القرآن، وبعض المتون الفقهية."[2]" مع كراهة سحنون لهذه المجالس التي يُجتمع فيها لقراءة القرآن إتباعا لرأي مالك، يقول:« ولقد سئل مالك عن هذه المجالس التي يجتمع فيها للقراءة فقال:بدعة، وأرى للوالي أن ينهاهم عن ذلك ويحسن أدبهم، وليعلمهم الأدب، فإنه من الواجب لله عليه النصيحة، وحفظهم ورعايتهم.» "[3]"و يدرس الأطفال طيلة أيام الأسبوع في القديم من يوم السبت إلى صبيحة يوم الخميس، ومن أول النهار إلى آخر النهار تقريبا، ليعودوا إلى منازلهم، فيجدوا الجو نفسه السائد في الكتاب.

1- محمد منير مرسي،التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية) ، ص:161.
2- ينظر بلعا لم محمد باي،لمحات عن كيفية التعليم بمنطقة توات،جريدة البصائر،العدد:44.ص:07.
3- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:83.

التوزيع الزمني (استعمال الزمن):

يعد هذا العنصر، كباقي العناصر التي أشار إليها ابن سحنون باقتضاب شديد، في مدونته. فقد أشار إلى توزيع الزمن على المواد التي تُدرس، ليومي الخميس والأربعاء فقط، يقول: « ويجعل لعرض القرآن وقتا معلوما مثل يوم الخميس، وعشية الأربعاء.»"[1]ولأنه لا يوجد سوى ثلاث مواد أو أربع على أكثر تقدير، ومن خلال نص العلموي الذي وضح فيه أفضل أوقات الدراسة، يمكن أن نتصور توزيع صاحب المدونة لأوقات الدراسة على المواد التي يدرسها، على النحو الآتي:

- يتم الدخول إلى الكتاب يوم السبت.
- تبدأ الدراسة من الصباح الباكر(بعد الفجر بساعة تقريبا).
- ينصرف الأطفال إلى منازلهم بعد العصر.
- يخصص الوقت الممتد من الانقلاب إلى ما بعد صلاة الظهر لراحة الأطفال (والذهاب إلى منازلهم لتناول غدائهم، أو الإرسال ورائه).
- تخصص الفترة الصباحية للنشاط الفكري كالحفظ، والكتابة، كأنها مادة ثانوية.
- تخصص الفترة المسائية للإملاء، وتعلم مبادئ الحساب، وكأنها لا تتطلب جهدا فكريا مركزا (كحفظ القرآن). ولتقييم العملية التعلُمية للفترة الصباحية.
- يخصص مساء الأربعاء كاملا لتقييم تعلم مادة واحدة هي القرآن، حيث يتم عرض ما حفظ في أيام الأسبوع كلها.
- تخصص الفترة الصباحية ليوم الخميس لمواصلة ما بدئ به عشية الأربعاء.وبهذا نحصل على يوم كامل من مجموع ستة أيام مخصص لعملية التقييم فقط، «يوم الخمس يخصص عادة للمراجعة.»"[2]"

جدول تصوري لتوزيع الزمن على المواد الدراسية في المدونة:

	من الصباح الباكر إلى الضحى	**من الضحى إلى الانقلاب**	**من الانقلاب إلى الزوال**	**من بعد الزوال إلى العصر**
السبت	حفظ القرآن	تعلم الكتابة	وقت مخصص لراحة الأطفال ولعبهم	إملاء+(حساب)+تقييم
الأحد	حفظ القرآن	تعلم الكتابة		إملاء+(حساب)+تقييم
الاثنين	حفظ القرآن	تعلم الكتابة		إملاء+(حساب)+تقييم
الثلاثاء	حفظ القرآن	تعلم الكتابة		إملاء+(حساب)+تقييم
الأربعاء	حفظ القرآن	تعلم الكتابة		عرض القرآن
الخميس	عرض القرآن	عرض القرآن		فراغ
الجمعة	يوم العطلة الأسبوعية			

1 – محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين، ص:83.

2 – محمد منير مرسي، التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية) ، ص:227.

و يمكن أن نستنتج من الجدول السابق تقديمه، أن تعليم المتون (التعليم القديم) يهتم بتعليم القرآن، والعلوم المساهمة في ذلك، كالخط، والإملاء بالدرجة الأولى، وذلك في المرحلة الابتدائية. وهذا ما يثبته الوقت المخصص لذلك، وإذا اعتبرنا أن هذا التوزيع خاص بمن التحقوا حديثا بالكتاب. ويمكن القول، بأنه توزيع معقول لأمرين:

أولهما:

اشتماله على المواد الرئيسية التي تمثل القاعدة لتعليم أعلى من جهة، ولعدم كثرة هذه المواد، إذ تقتصر على القرآن، والخط، والإملاء. ويمكن إضافة الحساب إليه من جهة أخرى. ولعل هذا يُمكّن الطفل من تشغيل حافظته، واستيعاب ما يعطى له شيئا فشيئا، وتفادي انبهاره بمواد كثيرة، لم يكن يعلم عنها شيئا في محيطه المصغر (الأسرة).

وهذا ما يحدث حاليا في مؤسسات تعليمنا في الجزائر، حيث تُدرس ثمانية مواد لتلاميذ السنة الأولى: (اللغة العربية، التربية الإسلامية، التربية المدنية، الرياضيات، التربية العلمية والتكنولوجية، التربية الموسيقية، التربية الشكلية، التربية البدنية) وكل مادة من هذه المواد تشتمل على محاور، وكل محور منها يضم مواضيع عدة،كما أن المتعلم مطالب بحفظ خلاصات كل هذه المواضيع وهو لم يُمرن من قبل على الحفظ، مع العلم أن أغلب الأطفال يدخلون المدرسة وهم لا يحفظون حتى سورة الفاتحة لينتهي بهم المطاف إلى تشتت جهدهم وضياع وقت تعليمهم في ما لا يعمل على تكوين مواهبهم العقلية، ولا ينفع في تكون شخصيتهم العقدية.

ثانيهما:

اشتماله على توزيع منطقي لزمن توزيع المواد التعليمية، فبالرغم من أنه يركز على تحفيظ القرآن، فإنه يحتوي على مدة زمنية شبه معادلة للخط، ويليها الإملاء، (والحساب)، كما يظهر من خلال هذا الجدول اهتمام المعلمين في القديم بالتقييم"[1]"الذي يليه التقويم."[2]"فيقيِّمون

1- تقييم التعلم هو:عملية تبدأ بجمع المعطيات بوساطة أسئلة متنوعة مبنية خصيصا لمراقبة مدى تحقق التعليم الممنوح،ثم عرض هذه المعطيات على مقاييس محددة للخروج بحكم قيمي أو كمي يتخذ أساسا لاتخاذ قرارات ذات الطابع البيداغوجي(اتخاذ تدابير لمعالجة النقائص المسجلة) أو الإداري(اتخاذ قرارات تتعلق بالانتقال إلى القسم الأعلى أو منح الشهادة أو إعادة السنة) بدر الدين بن تريدي،تقييم التعلم (أنواعه وأساليبه وأدواته)،المعهد الوطني للبحث في التربية،الجزائر،1999،ص:07.

2- يختلف التقويم عن التقييم في كون الثاني جزء من الأول- كما سبق الذكر إعطاء قيمة تقديرية لمجهود ما- أما التقويم فيعني:" إحداث تعديلات في أساليب التعلم ووسائل التعلم وفق ما يكفل التحكم في أداء المتعلم." صالح بلعيد،محاضرات في علم اللغة العربية،دار الهدى، الجزائر، 1999،ص:115.واختصر محمود علام مفهوم التقويم في أربع مسائل هي:منهجية منظمة،تقدير الأدلة،الحكم التقييمي،اتخاذ الإجراءات المناسبة. ينظر صلاح الدين محمود علام، دليل المعلم في تقويم الطلبة في الدراسات الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997، ص:11.

مدى استيعاب المتعلمين وإدراكهم وحفظهم لما يقدم لهم، ليتمكنوا من تقويم نقاط الضعف العلمي.

ولا يعني هذا أن عملية التقويم عند القدماء كانت بالشكل الذي نراه في التعليم الحديث،ورغم ذلك فالتعليم القديم عرف ما يسمى بالتقويم وإن كان التقييم الأمر الشائع في هذه العملية لتميزها بالثبات فعملية التقويم لا تمس الأهداف الكبرى العامة لأنها مستخلصة من مبادئ دينية لا يمكن تغييرها أو المساس بها،لذا فالغالب أن هذه العملية طبقت على المستوى، والمحتوى، والطرائق.

ولأن التقويم جزء من النظام التربوي،كما يوضح العلاقة الدائرية بين مقومات العملية التعليمية،سواء في التعليم الحديث أم القديم ،مع مفارقات في الأولويات والكيفيات،مما يمكن أن نتصوره في خطاطة للتقويم في التعليم القديم انطلاقا من المدونة،واعتمادا على الخطاطة المستقاة من كتاب دراسات في المناهج والأساليب العامة"1 "،وهي كالتالي:

تصور لخطاطة عملية التقويم في التعليم القديم:

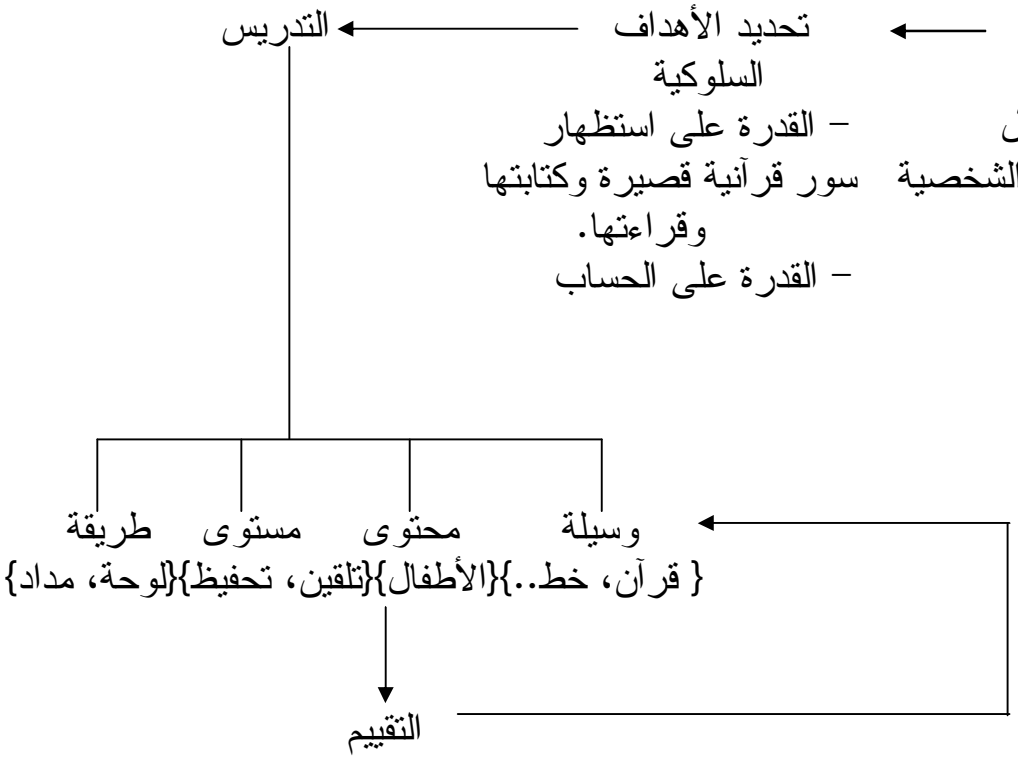

1- ينظر صالح دياب هندي وهشام عامر عليان،دراسات في المناهج والأساليب العامة، المكتبة الوطنية الجزائرية ،الجزائر ، 1995،ص:123.

ومنه يمكن القول، إن الوصول من خلال التقويم إلى مثل هذا التوزيع المنظم للزمن في القديم، هو ما مكّن القدماء من التفوق في علوم القرآن واللغة العربية، إذ يلعب التوزيع الزمني على المواد الرئيسية الواجب التركيز عليها، إلى جانب بعض العوامل(الاجتماعية، الفكرية الحضارية) دورا هاما في تكوين وترسيخ الشخصية الإسلامية التي تسعى السياسة التعليمية إلى تحقيقها،ومن هذه النقطة بالذات يمكن أن نتصور جدولا لاستعمال الزمن الخاص بالبنات،مراعاة لما سبق قوله في الفصل الأول، عن عدم جواز الاختلاط،وأن تميز المرأة خلقا ووظيفة عن الرجل وهو ما أقدمه في التصور الآتي:

تصور لجدول التوزيع الزمني لتعليم البنات:

	من الفجر إلى طلوع النهار	**من طلوع النهار إلى الانقلاب**	**من الانقلاب إلى الزوال**	**من العصر إلى المغرب وغالبا إلى العشاء**
السبت	حفظ القرآن	تربية منزلية (تعلُم سياسة الأهل والزوج والولد)	***وقـــت***	تربية علمية (عرض القرآن+ تعلم الكتابة +إملاء+تعلم حساب)
الأحد	حفظ القرآن	تربية منزلية	***مخصـــص***	تربية علمية
الاثنين	حفظ القرآن	تربية منزلية	***للـــراحـــة***	تربية علمية
الثلاثاء	حفظ القرآن	تربية منزلية	واللـــعب	تربية علمية
الأربعاء	حفظ القرآن	تربية منزلية		تربية علمية
الخميس	حفظ القرآن	تربية منزلية		
الجمعة	**تعطـــيل الدراســـة**			

ولعل هذا التصور لتوزيع الزمن على المواد الدراسية (المتعلق بتعليم البنات)يمكن البنت من الحصول على نمطين مختلفين من التربية والتعليم الأول خاص بالتربية المنزلية والثاني خاص بالتربية العلمية أو تعليم العلوم.

وما يمكن ملاحظته أن البنت تأخذ عطلة من تعلم العلوم أو التربية العلمية مثلها مثل الصبي، في حين لا يتم تعطيل تربيتها المنزلية لأي سبب لأن الغاية منها تهيئتها لذلك.والسؤال المطروح هنا:هل هذا الوقت المخصص لتعليم العلوم للبنات كاف ليصرن في الفهم والحفظ، والإبداع كالصبيان؟

ومع التطور العلمي الذي شهده العالم حديثا، غيرت الدول الإسلامية نوعا ما من سياستها التعليمية مركزة بذلك في توزيعها الزمني على تخصيص مدة زمنية تفوق تلك التي خصصت للتربية الخلقية والدينية، للوصول إلى أسباب الحضارة المادية العالمية، ومن بين البلدان الإسلامية التي اعتمدت مؤخرا سياسة تطوير منظومتها التربوية في المغرب العربي الجزائر التي تنص في منهاجها للسنة الأولى من التعليم الابتدائي على مواكبة التقدم العلمي،و المعرفي الذي أحدثته التقنيات الحديثة في الإعلام، والاتصال."[1]" ومن أجل الوصول إلى ذلك، طبقت هذه التقنيات في أغلب عناصر العملية التعليمية ومنها الزمن.

إن المتتبع والملاحظ، للتوزيع الزمني للسنة الأولى، من التعليم الابتدائي، يشعر بنقص الاهتمام على مستوى التربية الإسلامية التي تخصص لها مدة ساعة واحدة فقط ويتعجب من تخصيصها سبع ساعات كاملة، للرياضيات، والتربية العلمية، والتكنولوجية، والسؤال المطروح: هل تكفي ساعة واحدة في الأسبوع لتكوين فرد مسلم يعرف ما عليه وما له كما ينص عله المنهاج فعلا؟ ورغم تخصيص أربعة عشر ساعة للغة العربية (قراءة،كتابة، تعبير شفوي، محفوظات، ألعاب قرائية وكتابية) إلا أنها لن تكون الطفل عقديا لأنها مجرد نظام كباقي الأنظمة اللغوية التي يستطيع الطفل تحصيلها كتابة وقراءة، وهذا هو الفرق بين تعليم المتون وتعليم النصوص، حيث يكون تعلم اللغة في التعليم الأول وسيلة لتعلم القرآن، فينطلق منه للوصول إليه.

ويمكن استنتاج ذلك إذا قمنا بعملية مفارقة بسيطة بين التصور المقدم سابقا للتوزيع الزمني لمدونة محمد بن سحنون وبين الحجم الساعي المخصص لكل مادة تعليمية في السنة الأولى من التعليم الابتدائي بالجزائر،وهو على النحو التالي:

الحجم الساعي للمواد التعليمية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي بالجزائر:"[2]"

المواد التعليمية	***التوقيت***
اللغة العربية	14سا
الرياضيات	5سا
التربية العلمية والتكنولوجية	2سا
التربية الإسلامية	1سا
التربية المدنية	1سا
التربية الموسيقية	1سا
التربية الشكلية	1سا30د
التربية البدنية	1سا30د
المجموع	*27 ساعة*

1- وزارة التربية والتعليم، مناهج السنة الأولى من التعليم الابتدائي، مطبعة الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، الجزائر، 2003، ص:03.

2 – المرجع نفسه، ص:11.

إن الملاحظة المبدئية للجدولين، تجعلنا نستحسن التعليم الحديث الذي يهتم بأمور لم ترد في الجدول الأول كالتربية المدنية، والتربية الشكلية، والتربية الموسيقية(سبب عدم اهتمام القدماء بها مذكور في الفصل الثالث)، والتربية العلمية والتكنولوجية، غير أن المدقق في الملاحظة، فعالية التعليم القديم في تحقيق السياسة التعليمية الإسلامية، وبالتالي تحقيق أهداف الأمة، في حين يصعب ذلك على التعليم الحديث رغم كل هذا التقدم. ولعل هذا يحيل إلى إمكانية تصور لمنظومة تربوية تجمع بين التعليم القديم والتعليم الحديث للحفاظ على التراث من جهة، وللسعي نحو التطور العلمي المادي من جهة أخرى.

العـــطـــل:

لقد راعى المبرمجون للتعليم في القديم، راحة الأطفال؛ فسنوا لهم أياما لذلك، لإدراكهم بمدى تأثير الضغط المتواصل للدراسة على حبهم لها، فلا ينال الصبي العلم حتى يتفرغ قلبه له، ولا تزال هذه العطل إلى يومنا هذا، وهي موضحة في المدونة في باب ما ينبغي للمعلم أن يخلي الصبيان فيه، وكذلك في باب ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم، وفي باب ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان أيضا. ويمكن تصنيف هذه العطل حسب النصوص المذكورة في المدونة إلى: عطلة الأعياد الدينية، عطلة قضاء الختمة، العطلة الأسبوعية.

عطلة الأعياد الدينية:

وتمنح في عيدي الفطر والأضحى كما هو موضح في نص صاحب المدونة بقوله:« قلت له فكم ترى أن يأذن لهم إلا في الأعياد؟ قال: الفطر يوما واحدا ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام؛ والأضحى ثلاثة أيام؛ ولا بأس أن يأذن لهم خمسة أيام.»"[1]" لأن كل من عيدي الفطر والأضحى مناسبة دينية خالصة وجبت فيهما كل مظاهر الفرحة في أيام معدودة إذ يتراوح مجموعها مابين أربعة أيام إلى تسعة أيام. وقد زاد المعلمون في بعض المناطق فيما بعد عدد أيام هذه العطل حيث بلغت الخمسة عشر يوما، أسبوعا قبل العيد وأسبوعا بعده"[2]" وأرى أن هذا مبالغ فيه، لفصل الصبي عن التعليم مدة زمنية طويلة.

وكذلك عُدَ المولد النبوي الشريف ضمن الأعياد الدينية ومنح للصبيان بهذه المناسبة عطلة أيضا وقد تختلف مدتها من منطقة إلى أخرى حسب العادات والتقاليد الجارية بكل منطقة، إذ تمنح في بعضها أسبوعا كاملا بعد ليلة المولد النبوي الشريف مباشرة."[3]"وهذا غير وارد في المدونة.

1- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:80.

2- ينظر بلعا لم محمد باي،لمحات عن كيفية التعليم بمنطقة توات، جريدة البصائر، العدد:44،ص:07.

3-المرجع نفسه، ص:07.

عطلة الختمة:

عطلة الختمة أو قضاؤها، معناها وصول الصبي إلى ختم القرآن كله، أو نصفه، وفي بعض المناطق تمنح هذه العطلة بعد ختم الصبي لأجزاء، أو سور معينة، مثل: جزء (عم) وسورة (الملك) و(يس) و(الرحمن) و(طه) و(الفرقان) و(التوبة).

ويرى صاحب المدونة تبعا لوالده أن الختمة للقرآن كله وليس للنصف،أو الثلث،أو الربع مع عدم كراهة ذلك،يقول:«قال سحنون: ولا يلزم ختمة غير القرآن كله لا نصف، ولا ثلث، ولا ربع إلا أن يتطوعوا بذلك.»"[1]" والقضاء بالختمة لأحد الصبيان عند بلوغ هذه الأجزاء، يشجع البقية على التنافس للنظر في أيهم يختم أولا، هذا حسب تقديري، إذ لو انتظر الصبي ليختم القرآن كاملا، كما يرى صاحب المدونة ، لطال الأمر؛ لأن المطلوب إتقان الحفظ، ولتهاون الصبية في ذلك، أما والصبية يتوقون للعب، والتحرر من الانضباط والنظام الذي يفرضه المعلم داخل الكتاب،فيسارعون للختم، حتى يقضى لهم بعطلة الختمة.

ونص محمد بن سحنون في القضاء بعطلة الختمة هو:« وقيل له:أترى للمعلم سعة في إذنه للصبيان اليوم ونحوه؟فقال:مازال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك إلا بإذن آبائهم كلهم لأنه أجير لهم.»"[2]"

ومازال هذا التقليد متبعا لحد اليوم، بالكتاتيب المتبقية في المغرب العربي بصفة عامة، فمثلا يمنح بمنطقة توات بالجزائر عند بلوغ الصبي ختمة القرآن ربعه، أو نصفه، أوكله عطلة مدتها سبعة أيام كاملة، تعطل الدراسة خلالها ابتهاجا بما وصل إليه هذا الصبي الذي « تقام له وليمة كبيرة يدعى لها أهل القرية كلهم، فتهدى إليه الهدايا، وتمنح للصبية عطلة أسبوع كامل ليفتح الكتاب بعده أبوابه لاستقبال الصبية المتنافسين على ختم القرآن.»"[3]"

والملاحظ من هذا النص، أن مدة عطلة الختمة تطول في هذه المنطقة. وهذا يشير بدوره إلى نقطة أخرى مهمة وهي:تفطن محمد بن سحنون وتقديره لطبائع وعادات الفئات البشرية القاطنة بالمغرب العربي، ففتح المجال في مدونته لأولياء الأمور لتحديد مدة هذه العطلة، وإن لم يبدوا رئيا في ذلك، فلا يتجاوز المعلم منح المتعلمين اليوم، أو بعض اليوم. وهذا ما يشبه وظيفة جمعية أولياء التلاميذ في المؤسسات التعليمية الحالية.

1- محمد بن سحنون:كتاب آداب المعلمين، ص:78.
2- المصدر نفسه، ص:79.
3- بالعالم محمد باي: لمحات عن كيفية التعليم بمنطقة توات،جريدة البصائر،العدد:44،ص:07.

العطلة الأسبوعية:

اسمها دال عليها، وهي يوم واحد في آخر كل أسبوع، كما جاء في المدونة، وهذا اليوم هو: الجمعة يقول محمد بن سحنون:« ويأذن لهم في يوم الجمعـــة، وذلك سنـــة المعلمين منـــذ كانـــوا،ولم يعب ذلك عليهم.»"[1] لأن الجمعة بالذات يوم مقدس بالنسبة للمسلمين.

هذا عن العطل التي جاء على ذكرها محمد بن سحنون في مدونته بنص صريح أما العطل الأخرى التي لم يأت على ذكرها لتغير الأحوال، وانتظام العملية التعليمية والفارق الزمني، والفكري المتون ما يلي:

العطل المرضية:

وتنقسم إلى قسمين، عطل قصيرة الأمد، وعطل طويلة الأمد.وذلك بحسب الحالة المرضية للمعلم أو المتعلم، وهما شريكان فيها."[2]

العطلة السنوية:

وهي مدة زمنية معينة يستفيد منها المعلم والمتعلم في آخر السنة أيضا، ولعل المعلم أحوج إليها في بعض الحالات، للحفاظ على صحته، وتنمية قدراته، للعمل بنشاط وجد مجددا."[3]

العطل العائلية:

هذا نوع من العطل يستحقه المعلم وهو صحيح معافى، أن يحدث عند المعلم زواج، أو ازدياد مولود، أو وفاة أحد الأقارب الأصول أو الفروع، ولعل العطل تدرج ضمن ما يسمى بالغيابات القانونية مثلها مثل الفترة الزمنية التي يغيب فيها المعلم لأداء فريضة الحج، أو العمرة."[4]

وأعتقد أن صاحب المدونة لم يذكر استفادة المعلم من هذه العطل المستحدثة بشكلها الراهن، لوجود البديل، الذي يستأجره ليستأمنه على المتعلمين من ورائه، إلى حين قضاء مصالحه، ويشترط فيه أن يكون معلما ثقة، وفي مثل كفاءته على حد قول صاحب المدونة:

1- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:83.
2- ينظر رشيد أورسلان،التسيير البيداغوجي في مؤسسات التعليم،ص:225.
3- ينظر المرجع نفسه،ص:224.
4 – المرجع نفسه، ص:227.

« أو يستأجر من يعينه إذا كان في مثل كفاءته.»"[1]ولذا لا أرى أن معلم الكتاب سيقلق بشأن هذه العطل ما دام يحصل عليها بماله الخاص، وأرى أنه لا يسعى إليها إلا في حالة اضطرار، وذلك لعدم توافر أجرة المعلم البديل في أغلب الأحيان.

كما أن صاحب المدونة لم يشر إلى ما يجب أن يفعله أولياء المتعلمين في حال اضطرار المعلم إلى أخذ عطلة لسبب ما، ولم يجد من يستأجره لينوب عنه في تعليمهم.

1- محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين، ص:80.

الفصل الثالث:

- المادة والطريقة في المدونة
  - ✓ المادة
  - ✓ الطريقة

المادة التعليمية:

تعد المادة التعليمية أو المحتوى عنصرا أساسيا في العملية التربوية التعليمية، سواء في القديم أم في الحديث، مع فارق في الأولوية والتنظيم، والمحتوى وهي: «كل الحقائق والأفكـــار التي تشكل الثقافة السائدة في مجتمع معين وفي حقبة معينة.»"[1]" من حقب التعليم.

والفارق الآخر فيما يخص العملية التعليمية بين القديم والحديث، في كونها تنظم من قبل المدرس على شكل سلوكات ونشاطات يقوم بها التلميذ في الحديث وليس على شكل ملخصات لمعلومات وأخبار."[2]" أما في القديم فاحتلت المادة التعليمية « مركز العناية والاهتمام، أي جعل المضامين في الأساس. على حساب الوسائل والطرق التربوية. »"[3] "

وطبعا لا تخرج مقاييس اختيار المواد وتنظيمها وتوزيعها عن مراحل النمو العقلي للأطفال، والثقافة السائدة في مجتمعهم، ولأن بيئة القرن الثالث هجري في المغرب العربي الكبير كانت إسلامية. وكانت خاضعة لأحكام الشرع الإسلامي، ولذا قسمت العلوم التي درست في ذلك العصر وما بعده إلى: فرض عين، وفرض كفاية، والواجبة، والمسنونة، والمباحة والمكروهة، والحرام.

وعلى هذا الأساس نظم المعلمون المواد التي يدرسونها لطلبتهم استنادا إلى قول أحد الفقهاء الذي أورده سعيد حوى يقول: « واعلم أن تعلم العلم يكون فرض عين، وهو بقدر ما يحتاج لدينه،وفرض كفاية وهو ما زاد عليه لنفع غيره، ومندوبا كالتبحر في علم الفقه وعلم القلب، وحراما كالشعوذة والتنجيم والرمل والسحر، وعلم الموسيقى ومكروها كأشعار المولدين من الغزل والبطالة، إلا لحاجة بلاغية علمية، ومباحا كأشعارهم التي لا سخف فيها.»"[4]"

وفي هذا النص، يتضح تصنيف العلوم، لدرجة مثل فيها السياسة التعليمية الإسلامية التي تراعي تحقيق الفرض مع السنة باعتبار السنة مكملة للفرض، وإتقانها إتقان الفرض نفسه، أو إهمالها، أو الإنقاص منها، سبب في التقصير فيه."[5]"

وكذلك رأى محمد بن سحنون، أن العلوم الواجب تقديمها إلى الطالب المسلم تحمل صفة العقيدة، ويُخرج كل ما يتنافى مع الإسلام وعليه جاء تصنيفه وتنظيمه للمادة التعليمية على النحو التالي:

1- محمد الدريج ، تحليل العملية التعليمية ص :88.
2 - ينظر محمد شارف ونور الدين الخالدي، الفعل التعليمي التعليمي، ص: 25.
3 – محمد الدريج، تحليل العملية التربوية، ص :88.
4 – سعيد حوى، الإسلام، ص:522.
5 - المرجع نفسه، ص: 82،83.

المادة الإلزامية:

وهي كما سبق ذكرها، متعلقة بالعبادات، كتعلم حفظ القرآن وإعرابه وترتيله، وكتابته، كما ذكر صاحب المدونة متحدثا عن المعلم بقوله: « وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له، والشكل، والهجاء والخط الحسن، والقراءة الحسنة، والتوقيت، والترتيل، يلزمه ذلك. وليلزمه أن يعلمهم القراءة الحسنة وهو مقرئ نافع.»"[1]" ولا يغفل المعلم عن تعليمهم الصلاة والدعاء، يقول صاحب المدونة: « وينبغي له أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر، وصلاة العيدين، والاستسقاء، والخسوف حتى يعلمهم دينهم الذي تعبدهم الله به وسنن نبيهم صلى الله عليه وسلم. وليتعهدهم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله ويعرّفهم عظمته، وجلاله ليكبروا على ذلك.»"[2]"

و استنادا إلى ما قاله صاحب المدونة في النصين السابقين يمكن ترتيب العلوم الإجبارية في المرحلة الابتدائية كما يلي:

تعليم القرآن وحفظه بشكله وإعرابه:

إنه لمن البديهي، أن يكون القرآن أول العلوم التي يتعلمها الأطفال في الكتاتيب، مادامت البيئة التعليمية بيئة دينية مسلمة، ومنه تتم كل التعاملات والعبادات، إذ لا يمكن أن نتصور مسلما يؤدي الصلاة، وهي أهم ركن من أركان الدين، بدون تلاوة شيء من كلام الله. حتى لو كان النزر اليسير منه،كسورة الفاتحة؛ التي تمثل فرضا من فرائض الصلاة، وآيات الرحمن، التي تحث على قراءة القرآن و التدبر فيه كثيرة منها على سبيل المثال قوله عزّ وجل: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ "[3]" وقوله أيضا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا. ﴾"[4]"

ولأن للقرآن فضائل كثيرة فضلا عن وجوب تعلمه وتعليمه،جاء محمد بن سحنون قبل الولوج في موضوع كتابه على ذكر هذه الفضائل بقدر، إذا قيس مع ذكره للمواضيع المهمة في المدونة لعادلها، أوفاقها. ويمكن ملاحظة ذلك في تخصيصه صفحة واحدة للحديث عن العدل بين الصبيان، في حين خصص للتكلم عن فضل تعلم القرآن وتعليمه ما يقارب أربع صفحات كانت فاتحة المدونة، أتى فيها على ذكر بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجال.

---

1 – محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين،ص:82.
2 - المصدر نفسه، ص: 86.
3 - المزمل، الآية: 04.
4 - محمد، (صلعم) الآية: 24.

وإذا كان تعليم الأطفال القرآن بشكله وإعرابه في هذه السن المبكرة واجباً وضرورة لا مناص منها، فذلك للخوف عليهم أن يشغلوا نشاطهم وقدراتهم في لهو الصبيان، وانفلات يسر ملكة التعلم منهم كما وضح ذلك ابن خلدون يقول: « ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن إيثارا للتبرك، والثواب، وخشية ما يعرض للولد من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن، لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ وانحل من ربقة القهر فربما عصفت به رياح الشبيبة فألقته بساحل البطالة.»"[1]"

تعليم الصلاة والدعاء:

وهذا واجب المعلم على المتعلمين، لأن الصلاة فرض عين، ولذا يقوم المعلم بتعليم الصبية كل ما يتعلق بها من حسن الوضوء، والتكبير، والإقامة، وكيفية الجلوس، والتشهد والسلام، والسجود، والركوع، والفرض منها والسنة، فيرغبهم فيها ويرهبهم من العذاب الذي سيلحقهم من جراء تركها، فإن لم يفعلوا استعمل معهم الشدة، ولا يلين لهم لأن تضييعهم للصلاة تضييع لعماد الدين.

ولما كانت الصلاة دعاء، وهي لا تخلو من دعاء. وجب على المعلم أيضا تعليمهم الدعاء الحسن لتتم صلاتهم وتصح، وليعرفوا عظمة الخالق وجلاله،ويكبروا على حب الله عز وجل.وفضل تعلم الطفل للدعاء لا يحصى ولا يعد كأن يحسن مناجاة الله في كل المواقف، وامتلاكه ثروة لغوية تساعده على تكوين ملكته اللغوية الفردية، عدا الفضائل الأخرى.

تعليم الخط:

يعد الخط وسيلة مهمة من وسائل التواصل الكتابي، ونظرا لمنزلته، أولى له المربون في العالم الإسلامي قديما وحديثا حصصا كثيرة ومستقلة على المستوى الابتدائي، لأن الهدف من وراء تعليمه يتجاوز تدوين الأفكار للتواصل كتابيا بالآخرين إلى تعلم النظام، والدقة والنظافة، والصبر من خلال مراعاة احترام قوانين الزوايا، والدوائر، والمنحنيات، والأسطر التي تكون الحروف والكلمات،كما ينمي المتعلم من وراء تعلمه له إدراكه البصري، وقدراته الفنية، والعقلية وتنمية إحساسه بالجمال وقوة الانتباه."[2]"

1 - ابن خلدون، المقدمة، ص: 495.

2 - ينظر حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق،الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط4 ،2000، ص: 349.

وكره بعض القدماء قبل القرن الثالث الهجري الكتابة « لكي لا يعتمد العالم على الكتاب بل يحفظهُ. »"[1]ولاقتناعهم بعدم فائدة هذا العلم إن لم يُحفظ في الصدور يقول أبو محمد معقل بن الحسن بن أحمد بن معقل الأزدي في ذلك:

*كَمْ مُكْثِرٍ فِي صُنُوفِ العِلْمِ من كُتُبٍ * * * أَضْحَتْ لَدَيْهِ رُكَامًا وَهُوَ كَالْوَثَنِ*
*مَا عِنْـــدَهُ فِي الذِي تَحْوِي صَحَائِفُهُ * * * خبرٌ ينوءُ بهِ منْ وَرْطَةِ اللكَـــنِ*
*بلْ إنَـــهُ مُعْـــجَبٌ فِيهَـــا و مُقْتَنِـــعٌ * * * منْ عِلْمِ بَاطِنُها بالظاهِرِ الحَسَنِ"[2]*

أما وقد كثرت التصانيف،وطالت الأسانيد رخصوا في الكتابة كي لا تضيع هذه العلـــوم جراء اقتصار الهمم في تحصيلها وحفظها. ومن هنا انتشر الخط وذاع حتـــى أصـــبح صـــنعة تتطلب معلما لتعلمها.

وهذا سائد في المشرق العربي، على ما ذكره ابن خلدون بقوله: « ولا يخلطون بتعلـــيم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون، ومعلمون له على انفراد، كمـــا تـــتعلم ســـائر الصـــنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان.وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة. ومـــن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من أهل صنعته.»"[3]

أما في المغرب العربي فتعليم الخط للصبيان في الكُتاب ضروري، إذ يُخلط مع تعلـــيم القرآن كما هو مبين في نص صاحب المدونة، بل يذهب إلى أبعد من ذلك إذ يشترط في هـــذا الخط صفة الحسن، تحقيقا للفهم والمتعة الروحية معا. ولذا نجد المسلمين أكثر ما تفننـــوا فـــي الفنون الجميلة رسمهم للخطوط المتنوعة (خط الرقعة، خط الثلـــث، الخـــط الفارســـي، الخـــط الكوفي.) لدرجة ترغيبهم بذلك في أشعارهم، أنشد أبو محمد عبد الله بن نصر السويدي قائلا:

*خَـــطُ مَلِيحُ كَـــأَنَ اللهَ أَنْشَأَ ـــهُ * * * لَمْ يَحُكْهُ كَـــاتِبُ يَوْماً ولا قَلَـــمُ*
*سُطُورُهُ زَهَرَةٌ ظَلَتْ عَلَى شَجَرِ * * * حُرُوفُه دُرَرُ في السِمْطِ تنتظمُ"[4]*

ولتعليم الخط وتعلُمه في الكُتاب في القرن الثالث الهجري آداب، ووضعيات، وآلات، يجب مراعاتها والنظر فيها لاكتمال الرؤية حول الكتاب وما يدور فيه في القرن الثالث الهجري.

---

1 - محمد السمعاني، كتاب أدب الإملاء والاستملاء،ج2،ص:542.
2 - المصدر نفسه، ص:544
3 - ابن خلدون، المقدمة، ص: 494.
4- محمد السمعاني،كتاب أدب الإملاء والاستملاء،ج2،ص:580.

المادة المستحسنة:

وهي المادة التي لا تجلب ضررا من وراء تعليمها وتعلُمها، بل يجد فيها المعلم والمتعلم على حد السواء منفعة وفائدة، ولذلك يعد تعليمها جائزا وحلالا. وهي على حد قول صاحب المدونة: « (...) وينبغي أن يعلمهم الحساب، وليس ذلك لازم له إلا أن يشترط ذلك عليه. ولا بأس أن يعلمهم الشِعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها وليس ذلك بواجب عليه.ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا.»"[1]"

أما عبارة (ليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه) وعبارة (ليس ذلك بواجب عليه)، فإنها دالة على فصل العلوم التي يجب تعلمها وهي القرآن وعلومه، عن غيره من العلوم المستحسنة. وهذا منهج أهل المغرب يؤخرون طلب العلوم الأخرى الفرعية لقدرة المتعلم على تعلمها في أي وقت شاء، عكس حفظ القرآن وإعرابه، وكل ما يتعلق به. والواجب نقشه في صدر المتعلم، الذي يتطلب تفرغ قلبه له تماما.

وقد أشار ابن خلدون في كتابه إلى اختلاف أهل المغرب، وأهل المشرق في منهج تعليم الولدان هذه العلوم مع عدم ذكره السبب في ذلك بقوله: « فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ،وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه بشيء من مجالس تعليمهم لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شِعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة.»"[2]"بعد الحصول على ملكتها.

أما محمد بن سحنون فمع إتباعه هذا المنهج فإنه أشار إلى جواز خلط تعليم هذه العلوم في حالة ما إذا اشترط أولياء الأمور ذلك، كأن يتأكدوا من قدرة صبيهم على تحصيل كل هذه العلوم، والحذق فيها معا،(وفي هذا تجاوز لمنهج المغاربة في التعليم والتعلم وتنويع له بمزجه أحيانا مع ما هو موجود في المغرب). وهذا دليل آخر على احترام الجانب النفسي للطفل. « أما أهل المشرق فيخلطون في التعليم، كذلك ما بلغنا ولا أدري بما عنايتهم منها.»"[3]"

ومع أن ابن خلدون لم يشر إلى العلوم التي يخلطونها مع تعليم القرآن، فقد يكون ذلك لعدم تأكده من هذه المعلومة في زمانه. فإن أكثر المرجح هو الحساب. فتعليمه يتعلق بوجهة نظر دينية، لضرورته في المعاملات، وتقسيم الوصايا، والمواريث، وغيرها. ومن هنا فلا ضير أن يتعلم الصبي مبادئ الحساب في الكتاب.

1 - محمد بن سحنون كتاب آداب المعلمين ،ص:82،83.
2 - ابن خلدون المقدمة ص:494
3 - المصدر نفسه، ص: 494.

وبما أن صاحب المدونة قدمه على الشعر، وكلام العرب، والخطب في تعليم العلوم المستحسنة فهذا دليل على أنه يريد من وراء تعليمهم الحساب مصلحة دينية، لأنه ينتهج في تعليمه ما جاء في القرآن والسنة، ولعله يستند في تعليمه الحساب للأطفال في مرحلتهم الابتدائية على قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾"[1] وقوله عز وجل أيضا: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾"[2]

وهذه المصلحة الدينية ترتبط بقدر ما بحفظ المجتمع، ولا يرمي صاحب المدونة أساسا؛ من وراء تعليم الحساب إلى مصلحة دنيوية كضبط الحضارة والعمران، وهو الهدف الذي يسعى إليه الجاحظ من وراء تعليم الحساب على حد تعبير الجاحظ: « والحساب يشتمل على معان كثيرة، ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعني الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره معنى الحساب في الآخرة، وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد النعم، وفقدان جمهور المنافع، واختلال كل ما جعل الله عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما. »"[3] "وهذا ما يراه محمد فؤاد الأهواني أيضا.

ويشير منْ تكلم عن تعليم الصبيان هذا العلم، إلى أن المؤلفات فيه كثيرة، ويستحسن ابن خلدون ابتداء تعليم الصبيان به، لما له من تعويدهم على التفكير الصافي والخلق الصادق يقول: « ومن أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لأنها معارف متضحة، وبراهين منتظمة، فينشأ عنها في الغالب عقل مضيء، درب على الصواب، وقد يقال من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني، ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا، ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا.»"[4]

وما ينطبق على صاحب المدونة في استناده على الوازع الديني في تعليم الحساب ينطبق عليه في ما يخص تعلم الشعر وتعليمه. ولعل ما يفسر تأخيره في الترتيب إلى ما بعد الحساب دليل على شيئين اثنين:

أولهما:

إن الحساب هو مبدأ العلوم الطبيعية ككل. وهي التي نتعرف بها على« حقائق الأشياء على الوجه الصحيح.»"[5] وذلك على حد قول (سبنسر) الذي أورده أحمد فؤاد الأهواني. ثم إن الشعر من الفنون الأدبية التي تختص بالخيال، والأحاسيس المبالغ فيها، والتي لا تصور حقائق

1 - يونس، الآية: 05.
2 – الإسراء، الآية:12.
3 – الجاحظ،البيان والتبيين،(ت ح):درويش جويدي،المكتبة العصرية بيروت،ط2،ج1، 2000،ص:59.
4 - ابن خلدون، المقدمة، ص: 446.
5 - أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ط2، ص:151.

الأشياء كما هي غالبا، عكس العلوم الطبيعية التي تختص بالحقائق وبتوظيف العقل؛ وهو المطلوب في السياسة التعليمية الإسلامية."[1]"

ثانيهما:

تعليم الشعر موضع جدل بين الفقهاء، فمنهم من أيد تعليمه، ومنهم من عارضه. ويقف محمد بن سحنون من هذا الموضوع موقفا وسطا. فيرى أن تعليم الشعر الماجن، الكاشف لعورات الناس حرام، أما الشعر الذي يتضمن حكمة فلا بأس من تعليمه، إن اشترط أولياء أمور الصبيان ذلك؛ وإن لم يشترطوا فتعليمهم إياه على الاختيار، إن شاء المعلم ذلك فعل؛ وإن لم يشأ لم يفعل. فإن كان الأمر الأول، لا يشترط، ولا يتقاضى أجرًا؛ على حد رأي صاحب المدونة.

وأرى هنا أن لا يستعان برغبة الوالد في تعليم كل مادة،وإلا صار التعليم هوايات ورغبات، قد تؤدي إلى عواقب وخيمة على المتعلمين. والغالب في تعليم الشعر بالمغرب العربي تأجيله إلى مرحلة التخصص، أي لا يلقن للصبية الصغار في الكتاب مخافة أن يصدهم عن ذكر الله وهم في مرحلة حرجة من تعلم القرآن وحفظه. و الوجهة في ذلك تربوية، لأن توزيع الفكر والتفكير على مختلف العلوم، وبخاصة في الصغر، يفقد المتعلم القدرة على التركيز.

وقد نتج عن اقتصار المغاربة، على تعليم القرآن دون خلطه مع علوم اللغة العربية الأخرى؛ – كما أوضح صاحب المدونة– قصور في ملكة اللسان عند المتعلمين. وفي ذلك يقول ابن خلدون: « فأما أهل إفريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن، القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة، لما أن البشر مصرفون على الإتيان بمثله.»"[2]" وذلك على عكس الأمصار الأخرى كأهل الأندلس، المعروفين بالنبوغ في علوم اللسان العربي عامة، « لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها.»"[3]"ولعل صبية أهل الأندلس أبلغ بيانا وفصاحة لتعلمهم هذا الفن صغارا وبراعتهم في الإحساس بالجمال على المستويين اللغوي الفني والطبيعي، من صبية أهل المغرب لتفننهم في تعليم الشِعر، وروايته.

ويستند المعارضون لتعليم الشعر وتعلُمه إلى قول الله عز وجل:﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾"[4]"لأن تربية الطفل على قول ما لا يفعل يعد تناقضا، مع السياسة التعليمية الإسلامية، أما من اقترن قوله الصالح بالعمل الصالح فذلك مطلوب ومحمود، وقد كان شعراء الرسول عليه السلام،من مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه رضي الله عنهم ينتسبون بخصلة الربط بين القول والفعل.

1 – ينظر أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ط2، ص:151–153.
2 - ابن خلدون، المقدمة، ص: 495.
3 - المصدر نفسه، ص: 495.
4 - الشعراء، الآية: 224–226.

ومن هذه النظرة للقائلين غير الفاعلين، خصص المربون لتعليم الشعر للأطفال جانبا معينا منه، وهو الجانب الأخلاقي الذي يحث على طلب العلم، ومكارم الأخلاق، والتمسك بعبادة الله لا غير.

وعلوم اختيارية أخرى مستحسن تعليمها لم يشر إليها محمد بن سحنون، إلا أنها كانت تدرس في زمنه. وأغلب الظن أنها كانت تدرس في المشرق كما أشار إلى ذلك ابن خلدون. كأيام العرب، وأخبارها، وعلوم اللغة، وغريبها، ولعله يستبعدها لتفرغ قلب المتعلم لتعلم القرآن وحده ،والحذق فيه دون سائر العلوم الأخرى وليس لإهماله لها،ثم إن الفقهاء في العهود الإسلامية الأولى جعلوا علم العربية، من لغة، ونحو، وبلاغة، تعد جميعها « فرض كفاية على المسلمين إذ قام به البعض بما يكفي حاجات الأمة سقط عن الباقين وكذلك لأن العلوم الإسلامية كلها عربية في الأصل.»"[1]" أما ونحن نستورد العلوم بلغاتها في زمننا الحاضر فأشك أن يبقى طلب علم اللغة العربية فرض كفاية، إذ يتوجب على كل مسلم في خضم ازدواجية اللغات متابعة ما تقتضيه اللغة العربية من خبرة، وإتقان، وممارسة، زيادة على دراستها وفهمها.

المادة المكروهة والمحرمة:

وهي العلوم المستبعدة من التعليم والتعلم لعدم إدرارها بفائدة، وجلبها المضار للمجتمع. يقول محمد بن سحنون « لا أرى للمعلم ، أن يعلم (أبا جاد) وأرى أن يتقدم للمعلمين في ذلك، وقد سمعت حفص بن غياث يحدث أن (أبا جاد) أسماء الشياطين ألقوها على ألسنة العرب، يزعم أنها أسماء ولد سابور ملك فارس، أمر العرب الذين كانوا في خدمته أن يكتبوها فلا أرى لأحد أن يكتبها فذلك حرام.»"[2]"

من خلال النص يمكن استكشاف أن صاحب المدونة لا يمنع تعليم الأبجدية كحروف للكتابة، والقراءة، وإنما منع تعليمها بأسماءها المتعارف عليها بـــ: أبجد، هوز، حطي، كلمن إلى آخرها. لأن في ذلك شركا بالله تعالى، وخروجا على ما تعاهده السلف من خوف الله وطاعته، لأن هذه الصيغ، حسب ما قيل، هي للدلالة على أسماء الشياطين، وفي رواية أخرى أسماء لملوك مدين، وفي رواية أخرى أسماء لأشخاص نزلوا في عدنان وهم أول من نزلوها وأول من وضعوا الكتاب العربي، لذا وضعوه على أسمائهم."[3]" والظاهر من هذه النظرة أنها متطرفة، لأن هذه الأسماء لا يتعبد بها، ولا يتوسل بها لغير الله، وإنما هي وسائل تعبير تعليمية، تقوم بوظيفتها في تقريب المادة العلمية من المتعلم، وبخاصة اقترانها بأرقام مما جعل

1 - فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان،دار الفكر،دمشق،1999،ص:88.
2 - محمد بن سحنون كتاب آداب المعلمين، ص: 96.
3-محمد بن سحنون كتاب آداب المعلمين، ص: 96،97.

القدماء يؤرخون بها، ويكتبون بها رسائلهم السرية في الحروب. ومن ثم كانت لها وظائف مهمة ومفيدة.

وعليه ابتعد المعلمون في العهود الإسلامية الأولى عن تعليمهم حروف اللغة العربية بهذه الصيغ مخافة ملاقاة الله على عدم أخلاق المسلم، كما ورد في القول الذي اعتمده السيوطي في كتابه يقول: « رُب معلم علم (أبي جاد) دارس النجوم ليس له عند الله خَلاق يوم القيامة. »"[1]"

كذلك كره صاحب المدونة تعليم الصبيان قراءة القرآن بالألحان لأن ذلك مدعاة للغناء، والغناء مكروه وحرام في الإسلام، وكل ما يتعلق بالموسيقى كالمعازف وكذلك النحت والتصوير."[2]" ونص صاحب المدونة في ذلك هو« ولا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن لأن مالكًا قال لا يجوز أن يُقرأ بالألحان، ولا أرى أن يعلمهم التحبير لأن ذلك داعية إلى الغناء وهو مكروه، وأرى أن ينهي على ذلك بأشد النهي.»"[3]"وهذا شأن أهل المغرب في قراءة القرآن لأنهم على مذهب الإمام مالك.

و إذا كان صاحب المدونة لم يتطرق إلى العلوم المحرم تعليمها فلأنه في ما أرى، ركز على العلوم التي يمكن لطفل صغير أن يتعلمها فلم يذكر فنونا كثيرة من المعارف الإنسانية التي لم يختلف المسلمون في تحريمها قطعيا مثل:

السحر:

وموضوعه التأثير في النفوس البشرية والأجسام الإنسانية بمؤثرات مختلفة، وهو علم لم يعرف واضعه، إلا أن هناك أمم اشتهرت بصناعته كالأقباط بمصر، وبابل من بلاد العراق والهنود، واليهود."[4]" و الحكمة من تحريم تعليمه وتعلُمه هي:تجنب إفساد العقول وتلويث الأرواح ونشر الفساد والضرر بين الناس"[5]" والمتعارف عليه في السنة قتل السحرة متى ظهر هذا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، و السحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات. »"[6]"

1 - جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي،الجامع الكبير، القاهرة، 1324(هج)، ص: 18.
2 - سعيد حوى، الإسلام، ص: 524.
3 - محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص: 83.
4 - ينظر أبو جابر الجزائري،العلم والعلماء، شركة الشهاب، الجزائر، 1974، ص: 59-96.
5 - ينظر المرجع نفسه،ص:96.
6 – البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص:1017، 1018.

الطلسمات:

إن الفرق بين السحر والطلسمات، على حد ما روى ابن خلدون؛ في كون الأول لا يحتاج الساحر فيه إلى معين فالسحر يكون باتحاد روح بروح أخرى"[1]"في حين أن صاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب، وأسرار الأعداد، وخواص الموجودات، أي الطلسم اتحاد روح بجسم."[2]" ولم ينظر الفقهاء عند تحريم تعليمه وتعلمه إلى الفرق بينه وبين السحر فأنزلوهما منزلة واحدة لنظرهم في ضررهما وموقف الشريعة منهما فقط."[3]"

التنجيم:

وهو: « علم بأوضاع الأفلاك، و الكواكب، وقواها، وتأثيرها في الموجودات الأرضية يستدل بها على ما سيحدث في الأرض. قائما على الحزر، والتخمين، وضرب التكهنات السحرية.»"[4]" ولذا كان شأنه شأن السحر، والطلسمات شركا بالله، وكفرا بتدبيره ونكرانا لقدرته. فكان حرام تعلمه وتعليمه.

كما حرم الفقهاء تعليم الفكر القومي، والفلسفات الضالة دون الرد عليها. وبما أن هذه العلوم تتطلب تركيزا شديدا لاتصال متعلمها بعالم الروحانيات فهي بعيدة عن مدارك الأطفال الحسية، لذا اكتفى محمد بن سحنون بالتنبيه إلى العلوم المكروهة التي يمكن للصغار تعلمها كالألحان في قراءة القرآن الداعية للغناء، وتعليم حروف العربية بأسمائها، وصفاتها الدالة على الشرك، إلا أنه يستحسن للمعلم الإشارة إلى العلوم السابقة المحرمة والتنبيه على من يتعلمها. وإطلاعهم على العقاب المفروض من وراء ذلك.ويمكن اختصار ما قلته عن المادة التعليمية في الخطاطة التالية:

خطاطة تقسيم المواد التعليمية في مدونة محمد بن سحنون:

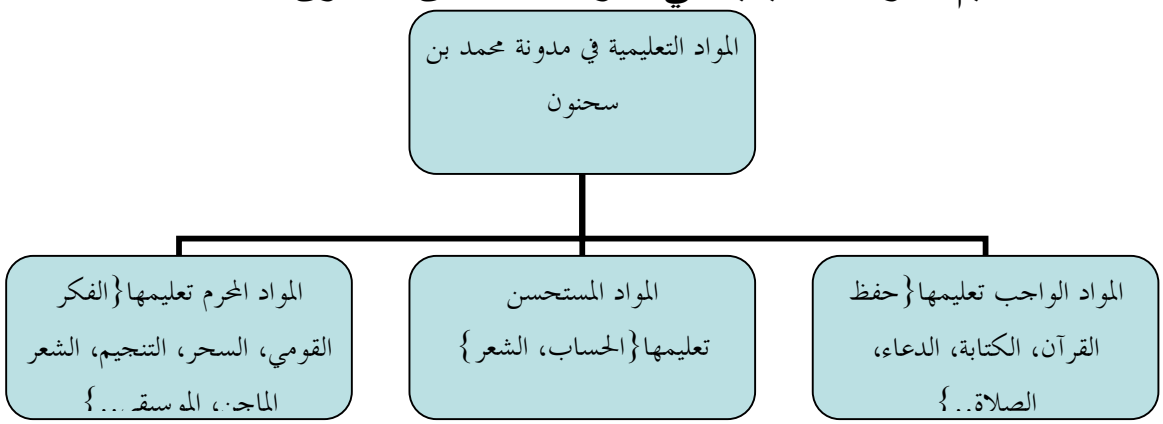

1 - ينظر ابن خلدون، المقدمة، ص: 462.
2 - ينظر المصدر نفسه،ص:462.
3 – ينظر المصدر نفسه،ص:463.
4 – أبو جابر الجزائري، العلم والعلماء، ص:98، 99.

والملاحِظ في ما جاء به صاحب المدونة، أنه لا يلمس من صاحبها توجيه في الطريقة التي تتم بها تدريس هذه المواد الإجبارية المقررة على الأطفال، وقد اكتفى بذكرها، وتصنيفها فقط، دون أي تفصيل. و بما أن الكُتاب لم يشهد تطورا كبيرا، ولا تغييرا في المنهج، والطريقة عبر كل هذه العهود الإسلامية يعطيني فرصة للرجوع إلى ما كُتب في هذا الصدد، بعد القرن الثالث الهجري. عسى أن أتمكن من استنباط الطريقة التي اعتمدها المعلمون قديما في تدريس هذه المواد.

الطريقة التعليمية:

يتطلب تدريس أي مادة كانت الإحاطة الكاملة والشاملة بمعارف ومعلومات هذه المادة، نظريا وتطبيقيا،كما يحتاج تعليمها إلى قدرة المعلم، وتمكنه من أداء وإيصال المعارف بشكل واضح ومستساغ، أي تمكنه من الطريقة التي يعلم بها هذه المادة، وهذا عنصر آخر، من عناصر العملية التعليمية التي طرح علماء التربية حولها السؤال التالي: كيف؟أو ما هي أشكال العمل الديداكتكي التي يوظفها المعلم أثناء تعليمه مادة ما؟

إن طرائق التعليم، هي:« مختلف الأنشطة التي يجب أن يزاولها المدرس بفضل مواد دراسة معينة، قصد جعل التلاميذ يحققون أهدافا تربوية محددة.»"[1]" طبعا بدون عزل أو تغيب لسلوك المتعلمين، كما تتمحور طرائق التعليم غالبا في ثلاث وضعيات هي:

الوضعية الأولى:

ويكون فيها المعلم محور الدرس، بحيث يحركه ويوجهه كيفما يشاء، دون تدخل المتعلمين الذين يقتصرون على الاستماع، الحفظ، والإعادة، وهذا ما يطلق عليه المربون الإلقاء والاستعراض."[2]"وهي الطريقة السائدة في التعليم القديم،وكذلك في مدونة محمد بن سحنون،مادام التعليم في تلك الحقبة يستند أساسا على تحفيظ القرآن للصبية دون التطرق للمسائلة والتفسير(التلقين)، ومن صيغ التلقين التي تتسم بالطابع التقريري "اعلم"، "لا بد"، "لا يحل"إذا..ف".

وصيغة الأمر بالعلم وكذا صيغة تجنب النفي وصيغة الشرط تحمل المتعلم على تلقي المعلومة كما هي دون أخذ موقف تعليمي منها، وهي موجودة في المدونة في أكثر من موقف

1 - محمد الدريج ،تحليل العملية التعليمية، ص: 90.
2 - ينظر محمد شارف السرير ونور الدين خالدي، الفعل التعليمي التعلمي، ص: 25.

يقول صاحبها:« وليلزم المعلم الاجتهاد(...) لا يشترط عليه ذلك(...) إذا مر المعلم بسجدة وهو يقرؤها عليه الصبي فليس عليه أن يسجدها.»"[1]"

وهذا ما حاول بعض المعلمين في القديم العدول عنه بتخصيص الجانب الأكبر في الموقف التعليمي للاستنباط والتفكير(أي عكس الموقف التعليمي السائد الذي يرتكز على نسبة أكبر من الحفظ ونسبة أقل من الاستنباط وإعمال العمليات العقلية المختلفة)ومن بين هؤلاء الجاحظ،وابن خلدون.

الوضعية الثانية:

يسير فيها المعلم والمتعلم جنبا إلى جنب في عملية التعليم بتبادل الحوار، ولا ينحصر هذا الحوار بين المعلم والمتعلم فقط، بل بين المتعلمين أنفسهم، وهذا ما يعرفه المربون بالشكل الحواري. "[2]" وبه تنعقد حلقات التواصل اللغوي، والتعليم عمليات إيصال وتواصل.بين المستقبلين والمرسلين ثم تبادل الأدوار. وإذا تمت في التواصل جميع حلقاته يسميه اللسانيون حوارا، كما يسمونه كلاما.

ويعرف من جانب الوجهة التربوية بالطريقة النشطة، وهي طريقة موجودة في التعليم القديم في مستوى أعلى؛ أي عندما يستوفي الطفل كتاب الله حفظا في الكتاب ينتقل إلى المسجد أين يتعلم العلوم المتعلقة به مستندا إلى الحوار والمسائلة والاستنباط،رغم شيوع طريقة الحفظ(الوضعية الأولى) « التي كانت تسود الموقف التعليمي في المراحل المختلفة فعلى المتعلم أن يحفظ ما يلقى عليه وأن يستظهر ما يملى عليه حتى يصل إلى الغاية ثم يستقل عن شيخه.»"[3]"

ومن أمثلة الحوار بين المعلم والمتعلم أو الإعراض عليه ما حدث مع ابن السكيت وهو يقاطع الحسن اللحياني أثناء إملائه نوادره معترضا على بعض ما قاله."[4]"

1- محمد بن سحنون ،كتاب آداب المعلمين،ص:81- 93.

2 - ينظر محمد شارف السرير ونور الدين خالدي، الفعل التعليمي التعلمي، ص: 25.

3- محمد إبراهيم عبادة، النحو التعليمي، ص:.213

4- والقول الذي اعترض عليه ابن السكيت هو:"تقول العرب :مثقل استعان بذقنه" فقال السكيت: إنما تقـول العـرب: "مثقـل استعان بدفيه." ينظر المرجع نفسه،ص:213.

الوضعية الثالثة:

يحرك المتعلمون في هذه الوضعية عملية التعليم بأنفسهم، إذ يقتصر دور المعلم هنا على تهيئة الجو التعليمي، وتوجيه سلوك ونشاط المتعلمين، وتقيم وتقويم نتائجهم، ويطلق عليه المربون شكل المهام."[1]" وهذه الطريقة مستبعدة نهائيا في التعليم القديم.

وللعلم فعلماء التربية لم يتفقوا حول الطريقة المثلى لإيصال المعلومات والتواصل مع المتعلم، ولذا تعددت المحاولات في تصنيف الطرائق التعليمية، التي تعتمد التفاعل بين المتعلم والمعلم كأساس لما لهذه الطريقة من أهمية، في توجيه وتحديد نمط التعليم السائد في القسم التربوي. ذلك أن العلاقة بين المعلم والمتعلم تعتبر متغيرا حاسما في سير العملية التعلمية بكاملها.

ولكي يتحقق الغرض من الطريقة التعليمية التي يختارها المعلم لمادة من المواد التي يعلمها ينبغي عليه مراعاة شروط معينة حسب ملاءمة الطريقة للمادة، والمستوى التعليمي، إذ قد تنفرد مادة معينة بشروط غير الشروط العامة تبعا للهدف المنشود وأهم هذه الشروط هي:

1- استشارة المعلمين المختصين في وضع البرنامج التعليمي من حيث شكله ومحتواه.

2- بناء المعلومات الجديدة، على الرصيد المعرفي السابق للمتعلمين. لتنعقد الحلقات وتتكامل المكتسبات، وتتنوع الملكات.

3- تلبية الدوافع التي دفعتهم إلى التعلم. بمراعاة الخصائص والميزات الفردية والجمعية والاجتماعية، وكذا ظواهر المحيط التعليمي.

4- منح الفرصة لممارسة السلوك التعليمي المطلوب من المتعلم.ويكون بإشراك المتعلم في العملية التعليمية شريطة أن تكون المشاركة في الإطار العلمي العملي المحدد الأبعاد والأهداف، وألا يترك المشارك حرا يتحرك كيف يشاء حتى تنزلق العملية التعليمية من مدارها، لأن التعليم توجيه وجيه هادف.

5- إثارة مشكلة يستنبطها المتعلمون لبدء الدرس. ويعد ذلك تحفيزا للأفكار، و إيقاظا للهمم، وتحريكا للنفوس.

6- العرض المنضم للأفكار.

7- التكرار في سياقات مختلفة بقصد التركيز والتثبيت.

8- مراعاة عنصر الاقتصاد في الوقت والجهد."[2]"

1 - محمد شارف السرير ونور الدين خالدي الفعل التعليمي التعلمي، ص: 25.

2 - ينظر حسن شحاتة،تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ص: 21.

ولا أرى جدوى من طرح كل الطرائق وتفسيرها وتفصيلها هنا، إذ يمكنني الاقتصار على توضيح طريقة واحدة أو اثنتين، من خلال التكلم عن تصوري للطريقة التي استخدمها محمد بن سحنون في تعليم الصبيان فيما سيأتي.

لقد سبق لي الذكر، أن صاحب المدونة صنف المواد التعليمية بإيجاز، دون التعرض إلى كيفية وطريقة تعليمها للصبيان،كما ذكرت أنه لمعرفة هذه الأمور سأعود إلى ما قاله المؤرخون في هذا الباب لاستنباط الطريقة التي اعتمدها محمد بن سحنون في القرن الثالث هجري، مادام هذا النمط من التعليم متوارثا خلفا عن سلف، ومادامت أماكنه لم تشهد تغيرا جذريا أو تطورا كبيرا، إذ قد تتجه إلى أي مكتب من كتاتيب المغرب العربي الكبير، في الوقت الراهن لمعرفة نمط التعليم المتبع في العهود الإسلامية الأولى، مع بعض الفوارق الطفيفة. التي يفرضها المحيط بثقافته وخلفياته الاجتماعية.

طريقة تعليم الخط بالكُتاب:

لا يمكن بمجرد دخول الطفل إلى الكتاب الشروع في تعليمه الخط مباشرة وإنما تسبق هذه المرحلة، مرحلة الإعداد والتهيئة النفسية لمسك وسائل الكتابة والتعامل معها، إذ يكتفي المعلم في الأسابيع الأولى من دخول الطفل الكتاب بالتركيز على تشغيل حاسة السمع لديه أكثر من أي شيء آخر، وبعد التعود على الاستماع وحفظ قصار السور بهذه الطريقة ينتقل المعلم إلى تعليمه الخط بعد تسليمه اللوح مرورا بعدة مراحل حتى يصبح قادرا على مسك القلم وكتابة ما يمليه المعلم والتحرر من محاكاة النموذج وهذه المراحل هي:

أ- الإدراك البصري للنموذج:

يعتمد التركيز في تعليم الأطفال الخط سواء في القديم أو الحديث على حاسة البصر حيث يُطلب من المتعلم ملاحظة الحروف والمفردات والتركيز على كيفية اتصال بعضها ببعض، وأبعادها وانحرافاتها وميلها، وبعد انتقال هذا الأثر من حاسة البصر إلى المراكز العصبية الخاصة بالكتابة ــ بطريقة سريعة جدا تقاس بسرعة الضوء في شبكة معقدة لا يسعني شرحها هنا ــ التي تعطي الأمر للذراع وأصابع اليد بالتحرك يشرع المتعلم بالتنفيذ"[1]"وهي المرحلة الثانية وتدعى بـــ:

1- محمد صالح سمك، الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية لدور المعلمين والمعلمات، المطبعة الـ ص: 135.

ب- *محاكاة النموذج:*

تتم محاكاة النموذج عبر تتبع المتعلم بقلمه موضحا بالضغط لما خطه له معلمه بظهر القلم على اللوح المصقول بالصلصال فيبينه،وتسمي هذه الطريقة بـــ:"التَحْنَاشْ".[1]"

ويواصل المتعلم بتقفي أثر ما خطه له معلمه إلى أن يصبح قادرا على السيطرة والتحكم بالقلم والكتابة على اللوحة دون تخطيط مسبق.

ج- النقد والتقييم:

وبعد ملاحظة المعلم قدرة المتعلم على إمساك القلم ومحاكاته للنموذج بصـــورة جيـــدة يقترب بها من الصورة الأصلية للنموذج المقترح ينتقل به إلى خطوة أخرى هي تتبع مواضـــع زلاته وخطئه ،فيصوبه ويقومه إلى أن يصبح قادرا على تجاوز عيوبه و إجادة المحاكاة.

د- التمرين والتدريب:

يختبر المعلم في هذه النقطة مدى التزام المتعلمين بالخطوات التي تقودهم إلى الكتابـــة الصحيحة للنموذج المقدم،وهذا ما يكسبهم مهارة وخبرة بعد تكرار النموذج مرات عـــدة،ولعل حصص المساء المخصصة للتقييم في تصور التوزيع الزمني لمحمد بن سحنون كانت تـــدور جلها إن لم أقل كلها حول التدرُّب والتمرن على الكتابة.

يمكن التوصل من خلال المراحل السابقة إلى أن تعليم الخط للمبتدئين يرتكز بشكل كبير على حاسة البصر وكذلك في التعليم الحديث حيث يكون الاهتمام حول أشكال الحروف (مراعاة نظام الزوايا والدوائر والانحناءات) وكيفية ارتباطها ببعضها البعض ،وربما هذا ما يفسر الحجم الكبير للخط لدى المتعلمين الصغار وعدم انسجامه ووضوحه لتركيزهم الواضـــح علـــى نقـــل النموذج كما هو في السبورة في كراساتهم الصغيرة دون مراعاة منهم لمسألة تغير الحجم .

والنقطة الأخيرة بالتحديد(الدربة على إجادة الخط) تنميها ما يعرف في التعليم الحـــديث بالتربية الفنية أو التشكيلية،أي تحسين الخط والاهتمام به في التعليم الحديث يندرج ضمن نقطة الجمال والتذوق الفني،في حين يتجاوز تعليمه في التعليم القديم الجمال والفن إلى الكشف عـــن شخصية المتعلم (وإن كانت نقطة الكشف عن شخصية المتعلم قد تطورت كثيرا فـــي التعلـــيم

1-أحمد الأزرق،الكتاتيب القرآنية بالجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، دار الغرب للنشـــر والتوزيـــع، وهران، 2002،ص:30.

الحديث إلا أن المعلم لا يستطيع الاستفادة منها في تعليم المواد لأن الدراســة تتمحــور حــول سلوكيات المتعلمين وليس حول قدراتهم وإمكانياتهم في المواد المتعلمة)

و يتضح ذلك من مبالغة القدماء في تحسين الخط وتجويده،وميلهم إلى الكتابــة بــالخط الغليظ واجتناب الدقيق وهذا مبين في قول أبو حفص عمر بن عثمان الشعبي:

*بــين وغــلظ في الكتابة خطهــا * * * فالخط أجــوده الجلــيل الموضــح*
*واترك دقيــق الــخط في تشويــشه * * * فدقيقــه في حاجــة لا ينجــح "[1]*

ويخضع تعليم الخط في الكتاب إلى ما يخضع إليه في التعليم الحديث من تجزئة وإجمال في الإدراك والتمكن من مهارة مسك القلم،هذا من جهة،وحسب جدوى وفاعلية كل طريقة مــع المتعلمين من جهة أخرى،والدليل على استعمال كل هذه الطرائق في الكتــاب انتقــال الصــبي بالتدرج من كتابة الحروف الهجائية،إلى كتابة السور القصيرة،إلى كتابة ثمن أو ربع حزب في لوحته.وهذا نموذج تقريبي عن طريقة تعليم الخط في الكتاب:

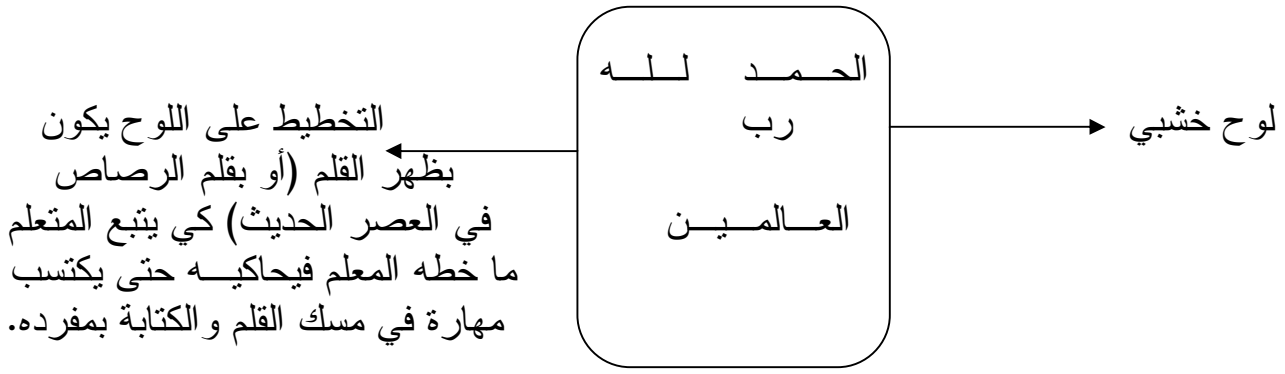

تعليم القراءة بالكُتاب:

يرتبط تعلم القراءة ارتباطا وثيقا بتعلم الخط، إذ يستلزم الأول حضور الثاني لا محالة، والعكس صحيح، فكلتا العمليتين تسيران جنبا إلى جنب سواء في التعليم القديم (تعليم المتون) أو التعليم الحديث (تعليم النصوص) بغض النظر عن أيهما أسبق القراءة أم الكتابة.

ولأن مهمة المعلم الأساسية التسهيل و التأليف بين الانتقال من الفعل الكلامي إلى الفعل الرمزي (الكتابة) ومن تفكيك الرموز إلى نطقها (القراءة) أولى الباحثون من مــربين وعلمــاء النفس وحتى الأطباء (معالجة المشاكل العضوية المسئولة عن فعلي القراءة والكتابة) اهتمامــا واسعا خاصة فيما يتعلق بالتأليف السريع بين الفعلين.

وبما أن القراءة « المفتاح الذهبي الذي يتمكن التلميذ بواسطته فــتح أبــواب المعرفــة والثقافة والتي يمكن أن نلقبها بسيدة المواد لأنها تلعب دورا أساسيا في إعداد التلميــذ وتهيئتــه

1- السمعاني، آداب الإملاء والاستملاء،ص:.581

لإقامة علاقة سوية مع الأوساط التي يتصل بها فضلا عن كونها الوسيلة الضـــرورية للـــتعلم والمصدر الأساسي لاكتساب المعرفة و بواسطتها يتمكن التلاميذ من طريقة فهم البناء اللغـــوي فيدركون العلاقة بين الكلام المنطوق والكلام المكتوب. »"[1] يمكن اعتبارها مصدرا مهما مـــن مصادر الكلام من مصادر اكتساب اللغة والتحكم في مختلف فنونها لمساهمتها في تزويد رصيد المتعلمين الصغار بالكلمات والمعاني الجديدة التي تعينه على الحـــديث(التعبيـــر و المشـــافهة) والكتابة، ومنه فالقراءة « عملية يُراد بها إيجاد الصلة بين لغة الكلام والرموز الكتابية.» "[2]

ولا يقف مفهوم القراءة عند حد تفكيك الرموز بل يتجاوزها حسب تطور المفهوم إلـــى كونه «عملية فكرية ترمي إلى الفهم،ثم تطور هذا المفهوم بأن أضيف إليه عنصر آخر،تفاعـــل القارئ مع النص المقروء مما يكون نتيجته نقد المقروء وأخيرا انتقل مفهوم القراءة إلى استخدام ما يفهمه القارئ وما يستخلصه مما يقرأ في مواجهة المشكلات ويبدو من هذه المفاهيم حـــرص التربية على أن تكون القراءة عملية مثمرة تؤدي وظيفة هامة في الحياة إذن ينبغي تعليم القراءة على هذه الأسس الأربعة وهـــي:التعـــرف، والنطـــق، والفهـــم، والنقـــد، والتفاعـــل، وحـــل المشكلات.»"[3]

و بما أن المرحلة التي يتكلم عنها محمد بن سحنون في مدونته خاصـــة بالأطفـــال أي المرحلة الابتدائية فلا أعتقد أن القراءة المتعلقة بالنقد ،والتفاعل وحل المشكلات مدرجة في هذه المرحلة،ولهذا سأقف في شرحي لتصوري مراحل القراءة في الكتاب عنـــد حـــدود التعـــرف والنطق والفهم.

أتصور أن فعل القراءة في الكُتاب خاضع أول الأمر لفهم معاني الرموز التي ينطقهـــا الطفل أو يسمعها فبمجرد أن يدرك المكان الذي تتوالى فيه الحروف والكلمات على السطر في لوحه الخشبي ينطقها بألفاظها كما سمعها من قبل، وكما يبصرها.

إن الصبية في المكتب الواحد ليسوا على قدر واحد في سرعة القراءة وبطئها، لأن كل من السرعة والبطء، والسهولة والصعوبة عندهم محتكمة إلى القدرة الفردية لكـــل مـــتعلم،إذ لا يمكن تغييب العوامل المساهمة في تعطيل هذا الفعل كعدم النضج العضوي؛ «فمثل هذه العملية تستلزم نضج حاستي البصر والسمع ، حتى يتمكن من التمييز بين الحروف والأصوات، وبعـــد أن يتعلم الطفل كيف يتلفظ، لا بد أيضا أن يتحول ذلك التلفظ إلى عملية سهلة غير مجهدة. »"[4]

ومن بين العوامل المعطلة لفعل القراءة، الشروط الاجتماعية والحوافز العاطفية؛لأن أي طفل عادي يبدي رغبته في القراءة ابتداء من السنة الرابعة أو الخامسة من عمره، وتظهر هذه الرغبة في تقليده للكبار فيمسك كتابا أو جريدة ويتصفحها وغالبا ما يكون بـــالمقلوب ويحـــرك

1- المنطقة الأولى بدائرة بود واو:القراءة للطور الأول من التعليم الأساسي، مجلة التربية، وزارة التربية والتعلـــيم الأساســـي، الجزائر، العدد:05، سنة 1982، ص:.30

2- عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ،ص:.57

3- المرجع نفسه، ص:58. (باختصار)

4- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2003، ص: 239، 240.

عينيه وكأنه يقوم فعلا بفعل القراءة، فإذا أهمل المحيط الأسري هذه الرغبة خاصة إذا كان هذا المحيط غير مهتم بالمطالعة، تفتر عند هذا الطفل الرغبة فـــي القـــراءة حتـــى بعـــد دخولـــه المدرسة."[1]"

ومما يعطل فعل القراءة أيضا إصابة الأجهزة المسئولة عن ذلك(الأذن، العين، الحنجرة) بأمراض وعاهات، الأمر الذي يحول دون تعلم القراءة، لأن الأصم لا يستطيع التلفظ بأي حال للعلاقة الوطيدة بين الدارة السمعية (circuit auditif) وعملية النطق.

كذلك تؤثر الشروط اللغوية في حد ذاتها على عملية القراءة، حيث لن يكـــون الطفـــل مستعدا للقراءة « إذا لم يدرك ما للغة من وظيفة رمزية (...) وأن الكلمات التي يطالعها إن هي إلا رموزا تنوب مناب غيرها.» "[2] " إضافة إلى إدراك المكان أثناء عملية القراءة ذاتها فتتبـــع توالي الكلمات والحروف والكلمات على السطر بالأهمية بما كان لحفظ سهولة القراءة والتمكن منها.

وعلى ذكر السهولة والصعوبة فإن جميع الدراسات « تدل على أن كثـــرة المفـــردات القصيرة، تسهل القراءة بينما الكلمات الطويلة النادرة تجعلها صعبة.»"[3]" زيادة إلى أن ســـرعة القراءة ترتبط إلى حد كبير بالفهم،لأن الشائع عند ذكر السرعة في القراءة ارتباطها بالإســـراع في قراءة الكلمة، في حين أن السرعة في القراءة معناها: « إدراك الجملة بالنظرة الواحدة وفهم معناها، أي ارتباط بين مدى العبارة المقروءة والسرعة في القراءة.»"[4]" إضافة إلـــى مســـتوى ذكاء القارئ ،وخبرته، ودافعيته،وحسب نوع كل قراءة، فالقراءة للمطالعة والاستمتاع تختلـــف عن القراءة للدرس، كما تختلف القراءة الصامتة عن القراءة الجهرية لأن لكل منهمـــا أســـاس ونشاط قرائي تقوم عليه."[5]"

وبما أن النصوص التي على المتعلم الصغير قراءتها في الكتاب عبارة عن نصـــوص قرآنية في الغالب لأن الهدف من تعليم القراءة في الكتاب التوصل إلى قراءة النصوص القرآنية في المصحف قراءة مضبوطة وصحيحة؛ فإن المتعلم مجبور على الإنصات الجيد لتلاوة شيخه ليضبط قراءته على منوالها، فيحترم علامات الوقف، وطريقة قلب بعض الأصوات، وفي كـــل ذلك يلزمه الإعادة والتكرار وحسن تتبع الشيخ وتقليده.

وبما أن تعلم قراءة النصوص القرآنية يتم عبر مراحل وليس دفعة واحدة، فهذا يجعلهـــا سهلة، وهذه المراحل تتم حسب التدرج من ربع الحزب إلى نصف الحزب إلى ثلاثـــة أربـــاع الحزب إلى الحزب كله، مع مراعاة شروط الوقف والقلب إلى جانب مراعاة الشروط اللغويـــة التي يستوعبها المتعلم بالتدرج كإنجاز فعلي يقوم به وليس كفعل تنظيري لاستيعاب قاعدة لغوية

1- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص:.240
2- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص:241.
3- المرجع نفسه، ص:251.
4- حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق،ص:124.(بتصرف)
5- المرجع نفسه ،ص:127- 147.

(وهذا يعزز فكرة التطبيق في التعليم القديم) من مثل:« – حركة الجزم حين تتوالى، وكيف يتم نطقها.

- التشديد، والفعل المضارع المؤكد بالنون الثقيلة.
- الحروف التي يجب إخراج اللسان عند النطق بها.
- المزاوجة في كلمة بين الحرف المرقق والمفخم.
- تتابع الحركة الطويلة بعد القصيرة مباشرة.
- الوقوف بالسكون على ما آخره تاء مفتوحة، أو مربوطة، تنوين منصوب.
- حروف الحلق والنطق بها بطريقة ناصعة.
- حروف القلقلة (ق/ط/ب/ج/د).
- المثنى والجمع في الأسماء أو الأفعال، ونطق جمع المؤنث السالم.»"[1]

وفيما يخص نوع القراءة المطبقة في الكتاب فلعلهـــا القـــراءة الجهريـــة لأن القـــراءة الصامتة سواء في الكتاب أم في القسم لا تتيح للمعلم بأي حال معرفة أخطاء المتعلمين وعيوبهم في النطق، وقراءة القرآن طبعا تتطلب ترويض جهاز النطق على نطق حروف النص القرآني نطقا صحيحا، وهذا هو المغزى من تخصيص حصص المساء جلها في استعمال الزمن لتقيـــيم وتقويم ما حفظ وقرء من قرآن في حصص الصباح.

ويمثل العزوف عن القراءة الصامتة في الكتاب واعتماد القراءة الجهرية، التي غالبا ما تكون جماعية على اهتمام المعلمين بهذه المادة من جهة"[2] " وعلى اهتمامهم بتـــأمين الفـــرص الفردية للمتعلمين لاستعراض قراءاتهم لتقييمهم وتقويمهم فرديا من جهة أخـــرى. كمـــا تمكـــن القراءة الجهرية المعلم من معرفة مدى تمثل المتعلمين للمعاني المقـــروءة ،وكيفيـــة قراءتهـــا و إلقائها الذي يبين للمعلم مدى تفاعل القارئ مع النص القرآني، ومن خلاله يمكن له تصـــويب قراءته، ودفعه بعدها نحو التلاوة الجيدة، ثم الترتيل.

هذا تقريبا تصوري لفعل القراءة والكتابة في الكتاب، بناء على معطيات الكتـــاب فـــي عصرنا الحالي لأن صاحب المدونة محمد بن سحنون لم يشر بأي حال إلى كيفية إنجاز الكتابة والقراءة في الكتاب، ومن أجل ذلك قد تكون قراءة هذا التصور صائبة على أبعد درجاتهـــا ، كما قد تحمل في طياتها بعض التجاوزات أو سقوط بعض الأشياء سهوا.

ولعل ما يشفع لي في هذه القراءة عدم وجود تصور مسبق أبني عليه دراستي، خاصة ما يتعلق بمجالها التطبيقي، كما لم يفدني النظري بمعلومات كافية يمكن أن أجزم بها ما ذهبـــت إليه.

1- ينظر حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق ،ص:151.

2- لأن أغلب المعلمين في العصر الحديث يتخذون حصص القراءة الصامتة كحصص لراحتهم الشخصية والهدوء من الفوضى التي يسببها التلاميذ،دون مراعاة منهم عن كانت هذه القراءة قد أتت بثمارها أو العكس ، وهل فهم التلاميذ الـــذين يتظـــاهرون بفعل القراءة هروبيا من الدرس والمدرس معا النص المقدم للقراءة أم لا،هذا إن كانوا فعلا قد قاموا بفعل القراءة.

الفصل الرابع:

- الوسيلة والمنهجية في المدونة
  - ✓ الوسائل التعليمية
  - ✓ منهجية محمد بن سحنون

الوسائل التعليمية:

لقد خلق الله الإنسان في هذا الكون، بعد أن خلق له محيطه، وهيأ له وسائل الحياة فيه، وعلمه كيفيات التعامل مع من يعيشون معه، ورزقه القدرة على إنتاج وسائل التعامل في الحياة،وتسخيرها؛ والتفكير في تطويرها وتجديدها.

ومن ثمة، كان وجود الإنسان متأخرا بالنسبة لمحيطه الطبيعي الذي وجد فيه. وأنه منذ أن وجد، وهو يبحث عن وسيلة يتعلم بها ما يفيده في حياته، وقد استغل هذا المحيط أيما استغلال، إن لم يكن وسيلة من وسائل تعلمه المتعددة والمتنوعة، ومع ذلك، فمفهوم الوسيلة التعليمية واحد لم يتغير من القديم إلى الحديث.

تعريف الوسيلة التعليمية:

إن الوسيلة في المفهوم اللغوي العملي، هي «كل الأدوات التي يستعملها المدرس والمتمثلة في: المحتويات، والأشياء والعينات، والمطبوعات، والرسوم، والصور التي يختارها انطلاق من أهداف معينة.»"[1]"وجميعها لا تخرج عن الهدف الرئيس، المتمثل في إنجاح العملية التعليمية مهما كانت الثقافة التربوية التي بنيت عليها هذه الأهداف.

وتتجاوز الوسائل التربوية، مجرد فكرة (وسائل الإيضاح المادية) الشائعة في الوسط التربوي إلى كونها تضيف للمادة التعليمة حيوية « تجعلها ذات قيمة عملية، وأكثر فعالية وأقرب إلى التطبيق. »"[2]"وبهذا، تزداد خبرة المتعلم، ويزداد معها تشوقه وإقباله على المادة التعليمية؛ فيتنوع الأداء، ويتشارك فيه المتعلم والمعلم معا، خاصة إذا تفنن المعلم في توزيع الوسائل التعليمية وأحسن استخدامها بما يتناسب وتدرج المتعلم في الفهم حسب مداركه العقلية.

أنواع الوسائل التعليمية:

لعل أفضل الوسائل التعليمية المستخدمة منذ القدم والتي تؤدي إلى تيسير الفهم، هي ما كانت لها علاقة مباشرة بالمدركات الحسية، المسماة في مجال التعليم أبواب المعرفة. وهي أنواع، وأهمها الحسية.

1- محمد شارف سرير ونور الدين الخالدي، الفعل التعليمي التعلمي،ص:83.
2- محمد الدريج تحليل العملية التعليمية، ص:105.

الوسائل الحسية:

وهي التي « تؤثر في القوى العقلية بواسطة الحواس وذلك بعـــرض ذات الشـــيء أو نموذجه، وصورته، أو نحو ذلك.»"[1]و من بين هذه الوسائل ــ على سبيل المثـــال ــ الشـــيء ذاته، كأن يتكلم المعلم عن الماء فيعرض كأسا من الماء. وكذا المجسمات، والصور الجغرافية، والرسوم البيانية، والبطاقات،واللوحات والأشرطة المسجلة،"[2]" وكمرات الفيـــديو والتلفزيـــون، والسينما، والخرائط وغيرها، من الوسائل الحسية. أما النوع الثاني من الوسائل التعليمية:

الوسائل اللغوية:

إن أهم وسيلة إيصال وتواصل هي اللغة المنطوقة، باعتبارها شحنات وكميات صـــوتية مرسلة في قناة ناقلة، منتقلة من مرسل إلى مستقبل، « تـــؤثر فـــي القـــوى العقليـــة بواســـطة الألفاظ.»"[3]" وقد تكون هذه الوسائل اللغوية أجدى نفعا من الأولى. إذا تعلق الأمـــر بتوضـــيح معاني الحقائق المجردة غير المقدور على تمثيلها أو تجسيدها حسيا.كالعدل، والعقاب، والجزاء.

وتتميز الوسائل اللغوية بالسهولة والسرعة في الاستحضار ومن صورها علـــى ســـبيل المثال: التمثيل، والتشبيه، والموازنة، والوصف، والقصص، والحكايات"[4]" وغيرها من وســـائل الإثارة والتشويق.

ومنها ينتقل المعلم الذي يجيد استخدام هذه الصور بالمتعلم من عالم المجردات إلـــى عالم المحسوسات « فيكتسي عالم المعقولات حلة جديدة تجعله مفهوما ومقبولا وجـــذابا لـــدى التلاميذ.»"[5]"ولم يكتف المربون في العصر الحديث بتعديل الوسائل التعليمية وتحديـــد أنواعهـــا وأهميتها ومجال استعمالاتها، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فتباروا في ترتيبها حسب فاعليتهـــا. ومنهم إيدجار ديل(**Edgar Dale**) الذي رتبها على شكل الهرم التالي الـــذي أورده محمـــد الدريج في كتابه:

1- عبد العليم إبراهيم، المُوجه الفني للغة العربية، دار المعارف، مصر، 1972، ص:433.
2- ينظر عماد توفيق السعدي وآخرون، أساليب تدريس اللغة العربية، دار الأمل، الأردن، ط 1، 1991، ص: 91،92.
3- عبد العليم إبراهيم،الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية،ص:432.
4 - ينظر عماد توفيق السعدي وآخرون،أساليب تدريس اللغة العربية،ص:92.
5- محمد الدريج،تحليل العملية التعليمية،ص:105.

خطاطة هرم الخبرة لترتيب الوسائل التعليمية لديل:"[1]"

1- محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية،ص:105.

إن المتتبع المُلاحظ لهذا الهرم، يرى تمركز الخبرات المجردة في قمتـــه، فـــي حـــين تتمركز الخبرات الواقعية والملموسة في قاعدته. وهذا يتناسب تماما مع الانتقال بـــالمتعلم مـــن المحسوس إلى المجرد ومن السهل إلى الصعب على حسب ما تقتضيه الفكرة التعليميـــة، ولذا لا يعتمد ترتيب هـــذه الوسائل التعليميـــة على أهميتها، وإنما على مدى قرب كـــل واحـــدة أو توفرها على الخبرات التجريبية أو الواقعيـــة.

وإن كان المعلمون في القديم، يولون الوسائل التعليمية اهتماما لا أستطيع تحديد نسبتها، وقد تفطنوا إلى أهميتها، سواء كانت حسية أم لفظية في بلوغ أهداف التعلم، وما يمكن الجـــزم به، هو بساطة هذه الوسائل وبدائيتها؛ سواء قبل القرن الثالث هجري أم بعده. مع العلـــم، أنهـــا ساهمت في تثبيت مستوى تعليمي لا يستهان به. لأن الهدف من وراء العملية التعليمية برمتـــه، كان تحدٍ لنشر رسالة التوحيد.

الوسائل التعليمية في المدونة:

جاء صاحب المدونة على ذكر بعض الوسائل التعليمية، ولكنه ذكر عرضي ليس هدفه التمعن فيها، أو محاولة تقديمها، أو ذكر كيفية استعمالها، أو طريقة الحصول عليها. ومع ذلك، يمكن حصرها، والنظر فيها، من خلال الكتب التي ألفت بعده. لأن أغلب هذه الوســـائل، هـــي على حال واحدة، لم تتطور، إذ مازالت على حالها في الزوايا والكتاتيب إلـــى يومنـــا هـــذا كالجزائر، والمغرب الأقصى، ولعل هذا ما يساهم في إعطاء نظرة عن الوسائل التـــي كانـــت مستعملة آنذاك.

الوسائل الحسية:

من الوسائل التي أشار إليها محمد بن سحنون : الألواح، الإجانة، المنـــديل، المـــداد"[1]"، ويمكن إضافة الوسائل التالية: الجريد، الجلد، القلم، الدواة، السكين. وهي وسائل لـــم يـــذكرها صاحب المدونة، وأميل إلى أنها سقطت منه سهوا، لأنه ذكر فعل الكتابة دون التطـــرق إلـــى وسائله وطرقه. ويظهر هذا من خلال قوله « فيأذن للصبي أن يكتب لأحد كتابا فقال: (لا بأس به وهذا مما يخرِّج الصبي إذا كتب الرسائل.»"[2]" إلا وقد يكون تعمد ترك الحديث عنها. ابتغاء التركيز والإيجاز. ولتفصيل هذه الوسائل بشيء من الوصف اعتمدت على بعض الكتب التـــي جاءت على ذكرها من جهة، و على ما هو مطبق في الكتاتيب في الواقع، من جهـــة أخـــرى. ومن هذه الوسائل ما يأتي ذكره.

1- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين ،ص:75.
2- المصدر نفسه، ص:82.

الألواح:

وهي عبارة عن قطعة من الخشب مصنوعة بأشكـــال وأحجـــام متنوعـــة، يحضّـــرها النجـــار ويصقلها لتكون صالحة للكتابة، ويشترط فيها الخفة ليستطيع الصبي حملها، ومازالـــت هذه الألواح معتمدة في الجزائر، ولا يزال النجار في هذه البلاد، يقوم بتحضير اللوح الخشبي « على أشكال مختلفة في الطول والعرض فالصغير منها ذا حجم (20سم/30سم) والكبير يحمل حجم (30سم/50سم »"[1] فهناك الألواح التي تحمل ثمن الحزب، وأخرى تحمل ربعه، كمـــا أن هناك ألواحا تحمل نصف الحزب، وهي قليلة، حسب تدرج المتعلمين في الحفظ.

وقد استحدثت الألواح في الكتاتيب، حيث أدخل فيها اللوح المصنوع من البلاســـتيك الذي يكتب فوقه بالطبشور. إلا أن المتعلم في الكُتاب لا يمكنه الاستغناء عن اللـــوح الخشـــبي العتيق. لعدم محو ما يكتب عليه بسهولة إلا بعد غسله بالماء، عكس مادة الطبشور التي تمحى بسهولة.

الصلصال:

يستخدم الصلصال في الكُتاب من أجل طلاء اللوح، لكي يظهر عليه لون المداد أثنـــاء الكتابة عليه، والصلصال هو: « المادة الترابية اليابسة البيضاء، يؤخذ من الأرض الصلصـــالية وتدهن بها اللوحة بعد الغسل لتصبح بيضاء يظهر عليها لون الصمغ المحضر فتُقـــرأ الكتابـــة بسهولة ومن بعيد.» "[2]" ولا يصعب الحصول على هذه المادة في أي زمان و مكان.

الأقلام:

ذُكر القلم في القرآن الكريم أكثر من مرة، بصيغة المفرد (قلم) كقـــولـــــه عز وجـــل: ﴿ ن وَ لقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾"[3]"، وبصيغة الجمـــع (أقلام) في قولـــه جلا وعلا: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَـــا فِـــي

1- الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني ، الكتاتيب القرآنية في ندرومة من1900الى1977،ص:62

2- المرجع نفسه ، ص:62.

3- القلم، الآية:1، و ينظر أيضا العلق، الآية:04.

الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّـا نَفِـدَتْ كَلِمَـاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ﴾"[1]

والقلم هو اليراعة التي يحضرها المتعلم ويتفنن في تحضيرها لأن الإجادة في تحضـــير القلم تساهم في إجادة الخط، والأمر الذي استوقفني أثناء البحث في كيفية تحضير هذه الوسيلة، تولي الصبية في الكتاب، صناعة أقلامهم بأنفسهم، "[2]ولعل مثل هذه المشـــاركة فـــي تحضـــير الوسائل التعليمية، يكمن لدى المتعلم حرصا زائدا للمحافظة عليها، والتعلـــق بهـــا، ومحاولـــة تحسينها كل ما أمكن ذلك.

ومع عدم ذكر محمد بن سحنون للقلم فإنه ترك قرينة تدل عليه، وهو المداد. ولعل هـــذا يرجح فكرة كنت قد ذكرتها فيما سبق وهي عدم تفصيل صاحب المدونة فـــي هـــذه الوســـائل، وغيرها من المواضيع؛ لاعتبار المدونة دليلا مختصرا لا غير، أما مادة القلـــم، فتكونـــه مـــن القصب، لصلابة هته المادة، ودقة قشرته، وخفة وزنه."[3]

هذا عن خصائص المادة، أما عن كيفية ومراحل إعداده، فأدرج نموذجـــا عـــن كيفيـــة صنعه في كتاب ندرومة بالجزائر لإعطاء صورة تقريبية عما كان شائعا في هذه الصناعة عبر زمن قد يمتد إلى القرن الثالث هجري، حيث كانت تصنع الأقلام في هذه الناحية « من القصب ويتراوح طوله بين 15سم 20سم، وعرضه1 سم، ومساحة بريه والساقية الموجودة في البـــري تأخذ مساحة 2سم .»"[4]" أي بقدر بطن الظفر تقريبا.

ولكي يتحكم المتعلم في حجم الخط (الكتابة بالخط الغليظ والخط الدقيق بقلـــم واحـــد) يبري الجانبين « على شكل مثلث ليتسنى له قص رأسه حسب الشكل الـــذي يريـــد.»"[5]" وهنـــا تظهر براعة المتعلم في هذا الشغل اليدوي ــ إنجاز تسميته كذلك ــ في إمكانيته صنع قلم يقوم بوظيفتين مختلفتين، الكتابة الغليظة عند وضع بطن القصب على سطح ما يكتب فوقـــه (لـــوح خشبي، جريد...) والكتابة الدقيقة عند الكتابة به على ظهره."[6]

أما في العصر الحديث فقد أدخلت الأقلام التي نعرفها اليوم في الكُتاب الذي استفاد مـــن التقنيات الحديثة في تطوير هذه الوسيلة، ومع الاستغناء الشبه التام عن القلم التقليدي فإنه مازال

1- لقمان،الآية:27، وكذلك قال الله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيهِمْ إِذْ يلقونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ آل عمران، الآية :44.

2- أ حمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية بالجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، ص: 36.

3- المرجع نفسه، ص: 36.

4- الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية في ندرومة من 1900 إلى 1977، ص :62.

5 - أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية بالجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، ص: 36.

6- الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية في ندرومة من1900 إلى 1977، ص :62.

من الناس من يتخذ صناعة الأقلام حرفة، يجمع فيها بين خصائص القلم التقليدي العجيبة، وبين إيجابيات التكنولوجيا الصناعية.

المداد :

المداد أو الصمغ الذي يعرف في منطقة المغرب العربي (السمق) أو (السماق) تؤخـذ مادته من (الوذح) أي من صوف الأغنام، وبالضبط صـوف ذيـل الشـاة الملطخـة بعرقهـا والممزوجة بقذاها."[1]"

أما عن طريقة تحضير هذه المادة فيكون بحرق الصوف الملوث، ثم إضافة القليل مـن الماء إليها حتى تصبح على شكل سائل بني اللون، بحسب مقدار إضافة الماء والحرق أيضـا، ليوضع هذا المزيج في محبرة زجاجية، أو طينية ليحافظ على رطوبته وسيولته، وتفقـد هـذه المادة صلاحيتها إذا فقدت لونها البني المميز لها "[2]".

ويذكر أنه وجد بمنطقة ندرومة (الجزائر) من كان يصنع هذه المادة من شـجر البلـوط، وشجر البطم"[3]" وهو سهل المحو مثله مثل الأول، ومع أن صاحب المدونة أتى على ذكر المداد، فإنه لم يذكر عنه سوى قوله: « ومن المروءة أن يرى في ثوب الرجل وشفته مداد.»"[4]" وهـذا يدل على رفعة منزلة طلبة العلم.

الوسائل اللغوية (أو اللفظية):

إنها هي التي سبقت الإشارة إليها، ورجوعي إليها ليس تكرارا وإنما هو تركيز عليها وتثبيت لها.على ما جاءت عليه، أو ما ينبغي أن تجيء عليه من أمثلة ونمـاذج؛ كالتمثيـل، والتشبيه، والوصف، والقصص، والحكايات. وإذا كان صاحب المدونة قد أتى علـى ذكـر بعض الوسائل الحسية عرضا دون توضيح أو تفسير، فهو لم يتعرض إلى الوسائل اللغوية، على الرغم من استعمالها في الكُتاب وبشكل مكثف لتقريب المفاهيم المجـردة إلـى ذهـن الأطفال.

1- ينظر الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية في ندرومة من1900 إلى 1977، ص: 62. و أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية بالجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، ص: 37.
2 – أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية بالجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، ص: 37.
3 – الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية في ندرومة من 1900 إلى1977، ص: 62.
4 – محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص: 75.

وإن كان محمد بن سحنون لم يذكر الوسائل الحسية في المدونة فتعليمه الأطفال المبادئ والأخلاق الحسنة، والحساب، والخط،ومعاني بعض السور يلزمه استخدام بعض الوسائل اللغوية وأكثرها التمثيل والمقاربة بالأشياء الحسية، والقصص.

وأذهب بتصوري في هذا المجال، إلى أن استخدام هذه الوسائل اللغوية يحتاج إليها في موضوعات العبر المستخلصة من القصص القرآني. وقد يتعدى استعمال التشبيه، من توظيفه في حد ذاته، إلى أبيات شعرية منظومة على وقع موسيقي خفيف يمكن أن يغنيها الأطفال لتيسير حفظها، مثل هذين البيتين من نظم عبد الرحمن بن محمد الأخضري والذي أوردهما مكي درار في رسالته وهما:

*حروفه معلومة مشهورة * * * من واحد لتسعة مذكورة*
*وجعلوا الصفر علامة الخلا * * * وَهْوَ مُدَورٌ كحلقة جلا "[1]*

وهذا ما يؤكد الفكرة الرامية إلى أن الوسائل اللغوية كانت أكثر استعمالا في التعليم القديم، وحتى إذا تعلق الأمر بتبيين وشرح الرموز الرياضية كالصفر فإن نصيب اللغة من تشبيه ووصف أكثر من نصيب الوسائل الحسية أو حتى الرموز المكتوبة، إذ تعتبر هذه الرموز أصلا من اختراع علماء اللغة فرمز الصفر الموظف في البيتين السابقين « علامة الفراغ والخلاء؛وهو من وضع علماء اللغة،لأن علماء الرياضيات المشهورين الذين تنسب إليهم اختراعات واستكشافات، في مختلف المجالات العلمية، عاشوا بعد الخليل(...) و من هذه النظرة أيضا، يكون للخليل بعد نظري في وضع العلامات، وسبق رياضي في توظيف رموزها. » "[2]"

و ما نظمه عبد الرحمن بن محمد الأخضري يشبه الأناشيد المدرسية التربوية، التي تحمل مضمونا تعليميا يُقرب إلى الذهن بالوصف والتشبيه، في أبيات منظومة، كتلك التي تصف المدرسة في أنشودة مدرستي ومواضيع تربوية أخرى كأنشودة هيا نلعب أو أنشودة شر طي المرور"[3]" أو أنشودة القطار التالية التي فيها عدد غير قليل من الوسائل اللغوية أغلبها التشبيه الذي يهدف إلى الوصف تقول الأنشودة:

*ينساب كالثعبان * * * يجري على القضبان*
*تتابعت في صف * * * أجزاؤه من خلف*
*يجرها كالحبل * * * في الوعر أو في السهل*
*وعندما يسير * * *يعلو له الصفير"[4]*

1- مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، رسالة دكتوراه دولة، مخطوط، ص:26.
2- المرجع نفسه، ص:.26
3- ينظر محمد بن يسعي وآخرون ،كتاب اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004،ص:(51-78- 100).
4- المرجع نفسه، ص: 161.

وقد يشير هذا، إلى أهمية الوسائل اللغوية في العملية التعليمية، حتى في العصر الحديث الذي يولي للوسائل المادية اهتماما بالغا في التصميم، والألـــوان وتوظيـــف التكنولوجيـــا فـــي تحسيـــن فاعليتها، إلا أن الوسائل اللغوية تبقى مستعملة سواء في التعليم القديم أم الحديث. وهذا لتمكين المتعلم الصغير من تكوين رصيد لغوي خاص به، وذلك باعتمـــاد أســـلوب القصـــص والمحاكاة.

وما يجعلني أجزم بسوء استعمال القدماء للوسائل الحسية أمام بـــراعتهم فـــي اســـتعمال الوسائل اللغوية، توفر هذه الوسائل الحسية فـــي المحـــيط الطبيعـــي كالأزهـــار، والأشـــجار، والحيوانات وغيرها.وقد أغفل صاحب المدونة ذكرها. كباقي العناصر التي لم يشر إليها، عـــن قصد أو غير قصد.وقد استفاد منه الباحثون في التعليم الحديث، حيث استغلوا ما يحيط بالطفـــل سواء في البيت، أم الشارع، أم الطبيعة، في تقريب الفهم وسرعة الإدراك، وتوظيف هذا فـــي تعليم كل المواد تقريبا، ما يزيد في نسب التحصيل.

وقد يكون أقرب مثال على ما أقدمه، للتدليل على ما قلته عن الاستفادة من محيط الأطفال كأفضل وسيلة تعليمية تشبيه الأرقام في كتاب الرياضيات للسنة الأولى من التعلـــيم الابتـــدائي بأشكال الحيوانات، كتشبيه الرقم واحد بالفراشة، وتشبيه الرقم صفر بظهر سلحفاة، وتشبيه الرقم خمسة بثعبان رافع رأسه نحو اليمين، وتشبيه الرقم اثنان بشكل بطة نحو اليسار."[1]"

و نجد أيضا إضافة إلى هذه التشبيهات بأشكال الحيوانات توظيف أشكال نباتية (أزهار، أشجار، أوراق أشجار، أغصان)، وأشكال لوسائل نستعملها في حياتنا اليومية (شموع، كؤوس، حبال...) لتعليم مبادئ الحساب من جمع، وطرح، وتركيب عدد بعدد، وتفكيك عدد عن عدد."[2]"

وهذه البراعة في توظيف محيط الأطفال للاستفادة منه في العملية التعليمية(تعليم الحساب مثلا) تساهم في شد انتباه الأطفال خاصة وأنهم يحبون الأشياء المادية التي توفر لهم خاصـــية أخرى وهي اللعب، وبهذا يكون المعلم قد أرضى أكثر من حاجة عند المتعلم بتوفيره اللعب من جهة والتعلم من جهة أخرى، وهذا ما يسميه الباحثون في التعليمية حاليا باللعـــب الهـــادف أو اللعب التعليمي *الذي يتجاوز حدود اللعب* والترفيه *عن النفس، إلى الاستفادة من هـــذا* الوقـــت المخصص للراحة في اكتساب معلومة جديدة، أو حل مشكلة قد يقع فيها المتعلم لاحقا.

1-محمد علوان وآخرون:كتاب الرياضيات السنة الأولى من التعليم الابتدائي (كتاب مدرسي معتمد) ،دار القصبة للنشر،الجزائر،2003- 2004 ص:38.
2- ينظر المرجع نفسه ،ص:138-160

ومن هنا فالتعليم الحديث يولي للعب الهادف أهمية كبيرة فمهمة المدرسة ليست « محددة في حراسة السلامة العقلية لأطفالها،بل إنها تتجاوز ذلك لتحافظ على السلامة الجسمية لهم مـــن خلال مراعاة الحاجات اللازمة للأجسام سواء للعب أم للراحة ولا معنى لتقييد حركة الأجســـاد لأن ذلك له مغزى في تحجر الفكر وفي التصلب العقلي.» "[1]

ولتفادي هذا التحجر الفكري والتصلب العقلي وضع التعليم الحديث ألعابا ترفيهيـــة وتعليمية للمتعلمين الصغار كلعبة قراءة البطاقات، وهي لعبة مشوقة تهدف إلى الترفيـــه مـــن جانب وإلى التمكن من فعل القراءة من جانب آخر، يعدّها المعلم بطرق مختلفة،ومن أنواعها ما يلي:

- بطاقات تنفيذ الأوامر والتعليمات، وتتلخص هذه الفكرة في أن يكتب المعلم أمر واضـــح على البطاقة يقرؤه التلميذ ثم ينفذه كـــ:قم، اجلس، اضحك..
- بطاقات اختيار الإجابات الصحيحة، وتتلخص فكرتها في إعداد سؤال وكتابة إجابات عدة تحته واحدة منها فقط صحيحة وعلى التلميذ أن يتعرف على هذه الإجابة الصحيحة.
- بطاقات الألغاز، وهذا الضرب من الألعاب كان متوفرا حتى في الكتاب، لكن لا يمكـــن الجزم باستناد المعلمين في الكتاتيب عليها وتوجيهها وتنظيمها كألعاب تساعد على التعلم إذ لعل استعمالها كان بين المتعلمين دون إشراك المعلـــم لتحصـــيل المتعـــة والترفيـــه، وفكرتها أن يتحدث إلى القارئ يعرفه بالتدريج من خلال صفاته، وغيرها من البطاقـــات التي تعين على القراءة وتوفر الترفيه."[2]

يمكن اختصار كل ما قلته عن وسائل التعليم من الجانب اللفظي (اللغوي) وحتى مـــن الجانب الحسي عند محمد بن سحنون في القديم بالعودة إلى هذا والذي أهدف من وراءه التقرب إلى كيفية تصنيف وسائل التعليم في القديم حسب الاستعمال،وهو كالتالي:

1- حسنى عبد الباري عصر:فنون اللغة العربية (تعليمها وتقويم تعلمها)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2000، ص:79.

2-نظر محمد صالح سمك:الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية لدور المعلمين و المعلمات، ص:238-243.

تصور لخطاطة هرم الوسائل التعليمية في المدونة حسب الاستعمال:

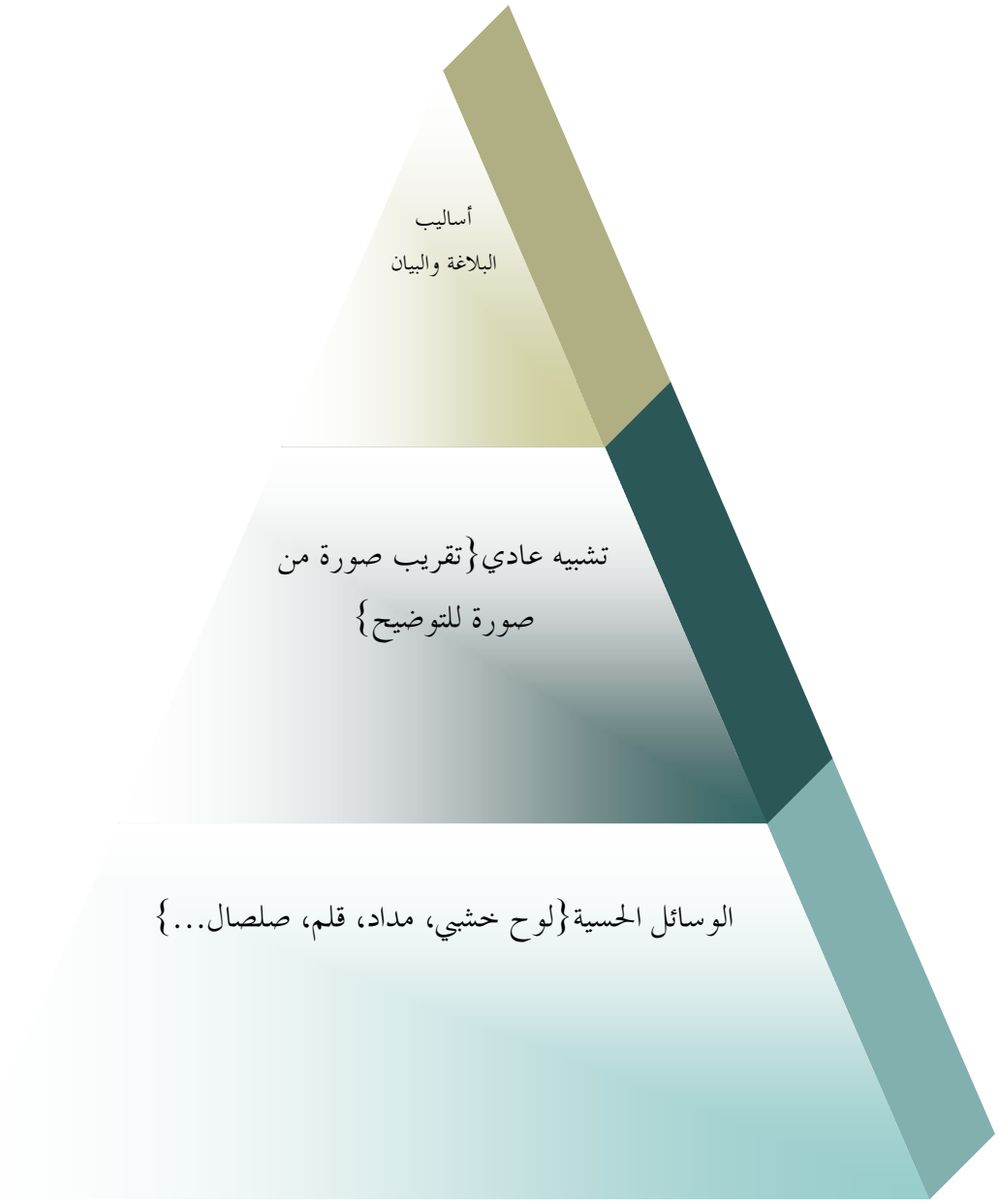

منهجية محمد بن سحنون في المدونة:

يُراعى قبل القيام بأي عمل سواء بحث علمي، أو فعل تعليمي تعلُمي إدراك أولا خطـــة عمله انطلاقا من الغايات، والمقاصد، والأنشطة، والطرق، والأساليب، وصـــولا إلـــى النتـــائج المترتبة عنه.

ومن هنا فأن الالتزام بمنهج معين أو حتى الدمج بين منهجين أو أكثر يغني الدارس عن تشتيت الجهد وتضييع الوقت باعتباره «طريقة للكشف عن الحقائق الموضوعية، وهو طريقـــة تتضمن استقراء الواقع للتحقق من صحة الفروض التي يصوغها الباحث في محاولـــة تفســـير ظاهرة ما، أو الوصول إلى حل علمي لعقبة أو عائق يعترض سياق البحث»"[1]"هذا عن المفهوم العام للمنهج.

أما وبعد انتقال هذا المفهوم إلى مجال التربية والتعليم ليشير إلى النهج الذي يجب علـــى المعلم إتباعه لبلوغ الأهداف التربوية أصبح المنهج في الميدان التربـــوي يعنـــي: « مجمـــوع الخبرات التعليمية المباشرة وغير المباشرة التي يعدها المجتمع لتربية الأفراد وإعـــدادهم فـــي ضوء ظروف البيئة الاجتماعية ما يهدف إلى تحقيقه من آمال وإنجازات مستقبلية وبهذا المعنى يكون المنهج هو المرآة التي تعكس واقع المجتمع وفلسفته وثقافته وحاجاتـــه وتطلعاتـــه وهـــو الصورة التي تنفذ بها سياسة الدولة في جميع أبعادهـــا السياســـية، والاجتماعيـــة، والثقافيـــة، والاقتصادية، والتربوية.»"[2]"

وبهذا المفهوم يعتبر المنهج في كتاب آداب المعلمين كل المواد التي قرر محمـــد بـــن سحنون تدريسها للأطفال،وكل الطرائق المتبعة لذلك،وكل الوسائل المساهمة لتحقيق هـــذا مـــع مراعاة الزمان والمكان لتحقيق السياسة التعليمية التي أخذها عن سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنه إمكانية تنفيذ سياسة الأمة الإسلامية في جميع أبعادهـــا الدينيـــة، والتربويـــة، والثقافية(...).

ولأن أي منهج كان يتأثر بالظروف التاريخية، والاجتماعيـــة، وبالأبعـــاد الفلســـفية للمجتمع،ملت بتقديري إلى أن المنهج المراد دراسته عند محمد بن سحنون لا يعطـــي صـــورة واضحة خاصة بالمدونة لوحدها،وإنما يعطي صورة عامة شبه ناقصة للسياسة التعليمية لـــذاك العصر، مع تغييب للفكر الذي أوجد المدونة،لذا عدلت عن المنهج وتبنيت المنهجيـــة لكـــوني

1- عبد القادر العرابي وعبيد العمري: إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية، مجلة الاجتماعية، تصدر عن كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد 04، 2001، في العلوم الإنسانية، ص: 158

2- صالح ذياب هندي وهشام عامر عليان:دراسات في المناهج والأساليب العامة،ص:09.

أردت أن أخرج من المدونة بحكم خاص بها لأعممه على ما هو موجود في الزمان والمكـــان الذي ظهرت فيه،لأصل إلى مقارنته بما هو موجود في زمان ومكان البحث حاليا.

ولأن المنهج عام والمنهجية"1"خاصة، التزمت الثانية دون الأول، لأن الثانية تعبر عن فكر محدد خاص بتجربة معينة وصلتنا من خلال المدونة بهذا الشكل، « وكما يرى الفهري فإن المنهجية مثل النظرية ليست إلا تجربة ظرفية، تتغير بتغير الظروف و الأوضاع، وتتجدد فـــي فضاء زماني ومكاني معين.»"2"

و من هذا المنطلق لم أبحث في المنهج لكي لا أضطر إلى فرض تعميم فكر متميز من جميع النواحي عدا تقدمه الزمني فيمسه نوعا من الظلم،ومن النقاط التي تظهر منهجية محمد بن سحنون في مدونته ـــ رغم صعوبة إحاطتها لانتقاله من فكرة إلى فكرة بسرعة ـــ ما يلي:

موقفه من الكتب التعليمية:

عدا المصحف الشريف الذي يجب على المتعلم حمله في صدره طيلـــة حياتـــه، وفـــي مختلف مراحل تربيته وتعليمه، التي يبني من خلالها شخصيته، وثقافته، وُجـــدت زمـــرة مـــن الكتب التي قرر المعلمون تعليمها إذ تعتبر بمثابة الكتب المدرسية المقررة بـــالمفهوم التعليمـــي الحديث،ولم تُغير أو تُجدد هذه الكتب المقررة في المضامين، إذ ظلت كذلك حتى زمن متـــأخر ،ومنها ما لا يزال يدرس لحد الساعة، خاصة تلك المتعلقة بتعليم النحو،والفقه،إذ يمكن اســـتنتاج ذلك من خلال الكتب التي قرر الشيخ عبد الحميد بن باديس تدريسها لطلبته"3" ـــ مع أخذ عامل الزمن في الاعتبار، أي مراعاة تواريخ الكتب التي ألفت بعد القرن الثالث الهجـــري ـــ ومنهـــا على سبيل المثال:كتاب الموطأ،أقرب المسالك، ابن عاشر (فـــي الفقـــه) قطـــر النـــدى وبـــلّ الصدى،لامية الأفعال(...)"4"

والمفارقة الحاصلة بين محمد بن سحنون وبعض المربين بعده رفضهم استئجار كتـــب الفقه ، أما الكتب الأخرى ككتب الشعر والحساب فلم يأت على ذكرها ، وفكرة استئجار الكتب مطبقة في منظومتنا التربوية الراهنة، وهي ترفع الحرج عن كثير من أولياء الأمور الـــذين لا يتحملون مصاريف شراء الكتب التربوية الباهضة الثمن،وعدا ذكره لنقطة جواز استئجار الكتب لم يتطرق صاحب المدونة إلى عدِّ وتسمية الكتب المعتمد تدريسها في عصره.

1- كل ما جاء على هذا الوزن (مفعلية) فيدل على التخصيص، كتعليم تعليمية ،مصطلح مصطلحية وغيرها.

2- عبد القادر العرابي وعبيد العمري ، إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية، مجلة الاجتماعية، تصدر عن كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد 04، 2001، في العلوم الإنسانية، ص 158

3- أخذت عبد الحميد بن باديس كمثال لأنه الأقرب إلى العصر الحديث وأكثر تأثرا بمنهج السلف الصالح في التعليم والـــتعلم ، ومنه كان تخميني في الحصول على معلومات أكثر حول هذه النقطة بالذات من خلاله ومن خلال بعض المهتمين بالتعليم علـــى طريقة القدماء .

4 - ينظر تركي رابح ،الشيخ عبد الحميد بن باديس،ص:.319

منهجيته في الطرائق التعليمية:

لا يظهر في مدونة محمد بن سحنون مدى تفاعل الطريقة المختارة للتعليم (الطريقة التلقينية التحفيظية) مع أسلوب المعلم والوسيلة المعتمدة لذلك، رغم وضوح الأهداف التي يسعى إليها، ولعل هذا راجع إلى مستويات التلاميذ وأعمارهم المتفاوتة في المكتب الواحد،كما لا يوجد في المدونة ما يشير إلى كيفية ونسبة تنمية الانفعالات الخاصة لدى الاستماع إلى القرآن،وهذا ما يجعل النظرة الشائعة إلى طرق التدريس في القديم تنطبق على مدونة محمد بن سحنون أيضا ،والتي تقوم على « إيصال المعلومات إلى المتعلمين بتوسط المعلم(...) عملية نقل للمعلومات من الكتب أو من عقل المعلم إلى عقل المتعلم .»"[1]

فرأي من انتقد هذه الطريقة أن التعليم فيها يقتصر على تقديم المعلومات دون أهـــداف التعليم الأخرى (حل المشكلات) كما تغيب الفروق الفردية وتساوي بين المتعلمين."[2]

و مع أنني لا أميل إلى هذا الرأي الذي يُظهر المعلمين في القديم وكـــأنهم لا يعلمـــون شيئا عن الفروق الفردية إلا أن عدم ذكر ما يدل على ذلك صراحة أو تلميحا في المدونة يحـــتم على الباحث اعتماد هذا الرأي،رغم وجود بعض القصص التـــي تـــروي اهتمـــام المـــؤدبين والمعلمين بالصبية الذين يظهرون ذكاء عالي أو يتفوقون على أترابهم ما يدعوهم إلـــى تبنـــي هؤلاء الصبية علميا وحتى اجتماعيا،ومن هذه القصص ما ذكر عن الإمام أبو حنيفة النعمان مع تلميذه القاضي أبو يوسف.

و إذا أخذنا مبدأ قياس الأمور على بعضها نجد أن من يهتم بفصل المتعلمـــين فـــي التعليم كل جنس على حد،وباهتمام استعراض كل متعلم لما تعلمه من حفـــظ صـــحيح للقـــرآن ،ومبادئ الحساب ،واعتماده التقويم الفردي أثناء الكتابة والإملاء،يكون وبلا شك مراعيا للفروق الفردية للمتعلمين ،ولو بنسبة ضئيلة،وهذا ما يجعلها غير واضحة في المدونة.

1- حسن شحاتة،تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق،ص:.19
2- ينظر المرجع نفسه،ص:.19

منهجيته في المادة التعليمية:

يظهر من خلال استعراض المادة التعليمية في الفصل المخصص لهـــا أن محمـــد بـــن سحنون قد اتبع على ما يبدو منهج المواد المترابطة "[1]" بالمفهوم التعليمي الحديث، إذ لا يفصل بين تحفيظ القرآن ،وتعليم الخط،وتعليم الإملاء،فكل من هذه المواد يقترن بعضها بالبعض الآخر اقترانا وثيقا،فانطلاقا من تحفيظ القرآن تستخرج المفردات والعبارات القرآنيـــة التـــي يحـــاكي المتعلم كتابتها في لوحه الخشبي،وبعد تحكمه في القلم ينتقل إلى مرحلة أخرى، ومن مادة حفـــظ القرآن دائما تعلم مادة الإملاء حيث يقوم المعلم بإملاء العبارات القرآنية في البداية ليتعداها إلى إملاء قصار الصور بعد ذلك بالتدرج.

ولأن العلاقات الموجودة بين هذه المواد (تحفيظ القرآن، تعليم الخـــط، إمـــلاء) متينـــة وواضحة المعالم، فأقدر أن نجاح المعلم في القدرة على تحديدها، و الإلمام بها يكون في درجة واحدة، ولعلي أذهب إلى تأكيد فكرة أن الفكر السحنوني متميز بالتخطيط المسبق للفعل التعليمي قبل البدء .

ميزات منهجية محمد بن سحنون:

من ميزات منهجية محمد بن سحنون في التعليم والتعلم قيام معلم واحد بتدريس جميـــع المواد المقرر تعليمها للأطفال وهذا يخدم ترابط المواد بشكل كبير ،لأن المدرس الواحد يحرس على مقاربة هذه المواد أكثر من جماعة المدرسين الذين لن ينجح معهم الأمر بالقدر نفسه مهما حاولوا لتركيز كل واحد منهم على مادته،لذا يمكن القول أن منهجية محمد بن سحنون تميـــزت بالترابط وتفادي التجزئة.

كما تميز فحوى كتاب آداب المعلمين بالطابع الإنشائي الخطابي، ولعل هذا يناسب طبيعة ذلك العصر لاحتياج الناس فيه إلى والإرشاد والاستماع وتقبلهم مثل هذا النمط من الخطـــاب، عكس العصر الحالي الذي يغلب عليه الخطاب العلمي.

ويتميز منهج محمد بن سحنون أيضا بتلاؤم المنهج التعليمي المتبع بحاجات المتعلمـــين وتطلعات المجتمع في القرن الثالث الهجري،وهذه أزمة التعليم الحديث حاليا خاصة في الـــدول

1- يتميز هذا المنهج بربط المواد الدراسية بعضها ببعض دون إزالة الحواجز الفاصلة بينها، ونعني بالربط هنا إثبات العلاقات المتبادلة بين موضوعين أو أكثر من المواضيع الدراسية...كربط موضوعات اللغة العربية بموضوعات التربية الإسلامية." ينظر صالح ذياب هندي و هشام عامر عليان،دراسات في المناهج والأساليب العامة،ص:169.

العربية حيث تطرح مشكلات المناهج التعليمية التي يغلب عليها الطابع النظري على الطابـــع التطبيقـــي « وهي جامدة وليست مرنة، زيادة على توجهها نحو الحفظ والتلقـــين واســـتظهار النص،لأن تطلعات المجتمع وتطور العصر يفرض غير ذلك.»"[1]"

ولا يعني هذا أن تعليم المتون (القديم) لا يعيبه الحفظ بل القدماء أنفسهم يعيبـــون علـــى بعض المعلمين الحفظ دون تقصي الاستقراء والاستنتاج فينتجون بذلك عقولا جامدة خاصة بعد توجه المتعلمين إلى حفظ ما لا ينفعهم من مختلف العلوم على حساب العلم النافع ،ومن بـــين هؤلاء العاتبين على مثل هذا التعليم وابن خلدون، يقول: « فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلهـــا أو أكثرها ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها، فيقع القصور ولا بدّ دون رتبة التحصيل. »"[2]"

ومن مميزات منهجية محمد بن سحنون في عمليته التعليمية استشرافه للمستقبل التعليمـــي في بعض النقاط التي طبّقها وغفل المربون عنها المربون بعده ليعيدوا النظر إليها في العصر الحالي، منها:

1. مراعاة الجانب النفسي للمتعلمين.
2. التواصل الراقي بين المعلمين وأولياء المتعلمين، وبين مختلف أماكن التعلـــيم والتعلم (بيت، كُتاب، مسجد..)
3. تخصيص البنات بمنهج خاص من التربية دون الصبيان مراعاة لاخـــتلافهن خلقا ووظيفة، (انفرادهن بتربية مزدوجة، تربية منزلية، وتربية علمية)
4. مراعاة الجانب المادي للمتعلمين بفتحه باب استئجار الكتب دون ابتياعها الذي يكلف ثمنا باهظا في ذلك الزمن لقلة النساخ ووسائل النسخ وصعوبته هذا من جهة، و عدم تكفل أولي الأمر ــ كما سبق الذكر ــ بهذا الأمـــر مـــن جهـــة أخرى .

نقد منهجية محمد بن سحنون:

أدرجت هذه النقطة في آخر البحث بعد استنطاق ــ إن جاز التعبيرــ بعـــض مظـــاهر العملية التعليمية في كتاب آداب المعلين لمحمد بن سحنون لمعرفة سلبيات هذا النمط ضـــمن التعليم عامة والوقوف عند النقاط التي فاتت الفكر السحنوني جـــراء عامـــل الـــزمن والتقـــدم الفكري،ومن بين هذه الملاحظات(التي لا أفضل تسميتها انتقادات):

1- عبد القادر العرابي وعبيد العمري، إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية، في العلوم الإنسانية ،مجلة اجتماعية، ، العدد 04، 2001، ، ص: 158.
2- ابن خلدون، المقدمة، ص:488.

1. عدم استقرار تنظيم المادة وتصنيفها في ذهن صاحب المدونة، ويظهر هذا جليـــا فـــي المؤلف حيث يدرج أكثر من موضوع تحت عنوان واحد مثلا نجده يتكلم عن العدل في عنوان أفرده له هو:ما جاء في العدل بين الصبيان"[1]" في حين لا يلزمه العنوان العريض استيفاء الموضوع كاملا، ليعود إليه في عنوان آخر هو:ما يجب على المعلم من لـــزوم الصبيان"[2]" ولعل هذا يعود سلبا في تنظيم العملية التعليمية داخل الكُتاب.

2. يشعر القارئ للمدونة وكأن مؤلفها محمول على السرعة وإنهاء العمل حملا،كما يلاحظ نمط تفكيره السريع حين تعرضه لمحتويات المدونة تعرضا عرضيا موجزا دون شرح، وتعليل، وتحليل خاصة في ختام المدونة،ولعل حجمها دليل على ذلك فالكلام عن مثـــل هذا الموضـــوع (الفعـــل التعليمي التعلُمي) في تسعة وعشرون صفحة فقط يســـتدعي نوعا من إعادة النظر وهو الأمر الذي يجعلها غير واضحة ليعطي فرصـــة لقارئهـــا أن يحكم على سير العملية التعليمية في القرن الثالث الهجري وفي المغرب العربـــي بعـــدم الوضوح في أغلب مراحلها.

3. على الرغم من تخصص المدونة بتربية وتعليم الصغار دون الكبار إلا أن صاحبها أدرج فيها ما يوحي إلى تعليم الكبار من مثل إجارة كتب الفقه"[3]" مع العلم أن هذه المـــادة لا تُدرس للأطفال في الكُتاب إلا بعد إتمامهم حفظ القرآن كاملا بشكله وإعرابه وإجـــادتهم الخط الذي يؤهلهم للانتقال إلى مستوى أعلى من التعليم (أي تدريس هذه المادة يكـــون في المسجد وليس في الكُتاب)

4. ما يدعو للاستغراب في السياسة التعليمية لمحمد بن سحنون إغفاله الجانب الفيزيولوجي لتربية الصبيان فلا يوجد في المدونة ما يوحي إلى اهتمامه بالتربية البدنية والجسمية لهم رغم أن مبادئ سياسته التعليمية مأخوذة كلها من السلف الصالح الذي يرعى هذا الجانب لقول عمر بن الحطاب رضي الله عنه في كتابه الذي كتبه إلى أهل الشـــام :« علمـــوا أولادكم السباحة والرمي و الفروسية. »"[4]" و إن كان قد ذكر اللعب فيقصد بـــه فـــي تقديري اللهو وقتل الوقت مع بعض ما تدره هذه الألعاب الرياضية من فوائـــد ولـــيس التربية الجسمية.

ولعل هذا ينطبق على المدونة فحسب؛لأن للعب الهادف أو التربية الجسمية بالمفهوم الحديث موجود في تراثنا التعليمي فهذا الحجاج مثلا يوصي مؤدب بنيه بتعليمهم الســـباحة

1- ينظر محمد بن سحنون،كتاب آداب المعلمين،ص:74.
2 - ينظر المصدر نفسه،ص:87.
3- ينظر المصدر نفسه، ص:94.
4- ابن قتيبة الدينوري ،عيون الأخبار،دار الكتب،القاهرة،ج2 (د ط) ،1964،ص:168.

قبل الكتابة يقول: « علمهم السباحة قبل الكتابة، فغنهم يحبون من يكتب عنهم ولا يحبون من يسبح عنهم.»"[1]"

ومن المؤكد أن السباحة التي أرادها الحجاج لبنيه ترتكز علي قواعد وأسس وإلا كان تعليمها في متناول كل فرد ،وبالتالي لا تحتاج إلى معلم ليعلمها لهم.وهذا يدل على أن القصد من وراء تعلم السباحة التربية الجسمية السليمة للأطفال، وليس تأمين اللعب لسـد الفـراغ بطريقة هادفة.

ومن بين الأخبار التي تؤكد إصرار أولياء الأمور وحتى المعلمين في القـديم علـى التربية الجسمية إنكارهم للعب الذي لا يدر بمنفعة للصبي ،كإنكار شريح لطريقة لعب ولده والوسيلة التي يلعب بها،وهذا ما يتضح في الكتاب الذي بعثه لمعلّمه ليعالج هـذه المشـكلة ،ويروض أخلاقه ،وينمي جسمه بطريقة سليمة،حتى وإن اضطر لتأديبه بالدرة، ويقول فـي هذا الكتاب:

*تبك الصلاة لأكلب يسعى بها * * * طلب الهراش مع الغواة النجس*
*فإذا خلوت فعضه بسلامة * * * وعظنَّه وعظك للأريب الكيـس*
*وإذا هممت بضربه فبدرة * * * وإذا بلغت بها ثلاث فاحبـس*
*واعلم بأنك ما فعلت فلنفسه * * * مع ما يجزعني أعز الأنفـس "[2]"*

وهذا إن دل على شيء فيدل على أن التربية الجسمية المحتكمة إلى ضوابط وأسس لـم تكن مهملة أو مغيبة في التعليم القديم، مع عدم التلميح إلى ذلك في المدونة.

هذه بعض الانتقادات التي جمعتها من خلال قراءتي التي أجريتها حول كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون مع العلم أن المجال يبقى مفتوحا للباحثين للإدلاء بانتقادات وملاحظات أخرى قد فاتتني الوصول إليها.وقبل أن أنتقل إلى نتائج هذا البحث وهي آخر نقطة فيه أدرج خلاصـة قراءتي لكتاب آداب المعلمين لصاحبه محمد بن سحنون في الخطاطة التالية:

1- ابن قتيبة الدينوري ،عيون الأخبار،ج2،ص:.166
2 – المصدر نفسه، ص:167

تصور لمخطط السياسة التعليمية عند محمد بن سحنون:

فلسفة المجتمع {فلسفة إيمانية تنبثق من الإيمان بالله عز وجل والانطلاق من هذا الإيمان للعمل في كافة المجالات.}

↓

فلسفته في التربية والتعليم { فلسفة قائمة على مراعاة المبادئ والقيم العقدية إلى جانب مراعاة معطيات العلم.}

↓

أهدافه العامة في التربية والتعليم {تربية وتكوين فرد مسلم، منتج، فعال، على كل المستويات.}

↓

المكان { هدف التربية في المرحلة الابتدائية إعداد الأطفال سلوكيا و ذهنيا لتحمل مبادئ المسؤولية.}

↓

منهجيته في التربية والتعليم

↓

الطرق المواد الوسائل التقييم

↓

تقييم التعلم (النظر في أحقية الطالب لأخذ الإجازة من معلمه للانتقال إلى صف أعلى، أو لمساعدة معلمه على تعليم من هم دونه.)

الخاتمة

- نتائج البحث

وانطلاقا من قراءتي للتعليم القديم،من خلال كتاب آداب المعلمين، في القـــرن الثالـــث الهجري، وفي مكان يعرف حاليا بالمغرب العربي الكبير ،تراءت لي بعض النتائج التي يمكـــن تصنيفها إلى قسمين: قسم متعلق باستنتاجاتي حول المدونة،وقسم آخـــر حـــول التعلـــيم القـــديم ككل،وهي كالتالي:

1. يركز المعلمون في التعليم القديم على التربية الدينية، وهذا ما تبين فـــي كتـــاب آداب المعلمين الذي ينطلق صاحبه فيه من نقطة العبادات، والمعاملات على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة.

2. يُعنى كتاب آداب المعلمين بالتربية والتأديب أولا ،ثم التعليم ثانيـــا،وإن بـــدت رغبـــة صاحبه في جعله كتابا تعليميا خالصا، لذا فهو يصلح على ما يصطلح عليه حاليا وزارة التربية والتعليم ،لأن تقديم التربية على التعليم دليل واضح على أولوية الترتيـــب فكـــرة ومفهوما وإنجازا فعليا،وهذه النقطة بالذات تؤكد فكرة التواصـــل بـــين التعلـــيم القـــديم والتعليمية ــ أي بين تعليم المتون وتعليم النصوص ــ مما يجعل الجزم بأصالة التعلـــيم في العصر الحالي قائمة رغم دخول عناصر التعليمية الغربية عليه .

3. صعوبة تقصي مسار العملية التعليمية في القديم لعدم وضوح معالم سير هـــا عبـــر العصور المختلفة بسبب دخول عامل الهدم،أو بصورة أخرى تأثير العناصـــر الفكريـــة الغريبة عن التعليم القديم منذ المراحل الإسلامية الأولى،وأبرز مثال على ذلـــك خلـــط الفكر الإغريقي الفلسفي بجوانب من الفكر الإسلامي الخالص على يد علمـــاء مســـلمين أنفسهم،ما أدى إلى تقسيم العلوم الإسلامية إلى علوم نقلية، وأخرى عقلية ،وتطبيق هـــذا التقسيم في تعليمها وتعلمها.

4. يعد التعليم عند محمد بن سحنون بمثابة التعليم التحضيري في العصر الحالي، لأنـــه يرتكز على المبادئ الأساسية لتعليم الأدب والتعامل مع العلم والمعلم معا، أي غـــرس العقيدة وهذا ما يمكن أن نطبقه في البيوت، ورياض الأطفال للاستفادة منه في تكـــوين شخصية مسلم متمسك بعقيدته متطلع على العالم ،وهذا بمساهمة الفكر التربوي والتعليمي البناء والاستفادة من النظريات التعليمية في حدود ما يخدم ثقافة الأمة وعقيدتها.

5. يعتبر تصور محمد بن سحنون للعمل التعليمي في زمنه معبرا بصدق عن حياتـــه وما فيها، انطلاقا من العقيدة، والبيئة، والعادات، والتقاليد،لذلك فتعميم التصـــور لجعلـــه نموذجا تعليميا عاما أو عالميا قد لا يحقق النتيجة الإيجابية المطلقة إلا في بيئـــة وثقافـــة مماثلة.

6. أما بالنسبة للمنهج وطبيعته، فالتعليم القديم ثابت لا يقبـــل التعـــديل، لانطلاقـــه مـــن نصوص قرآنية في حين ،يتميز التعليم الحديث بالمرونة، والتكيـــف، وقابليـــة التعـــديل لاعتماده على أكثر من مصدر،وهذا ما يعلل بقاء الكتاتيب القرآنية على حال واحدة منذ إنشائها إلى حد الساعة بالنسبة للتعليم القديم،وتغيُر البرامج والمناهج الدراسية بعد كـــل فترة زمنية تحددها الظروف، والتطورات، بالنسبة للتعليم الحديث.

7. وفيما يتعلق بطرائق التدريس، فالتعليم القديم يســـير علـــى نمـــط واحـــد.لا يهـــتم بالنشاطات،حيث يقوم علـــى التلقـــين المباشـــر،عكس التعلـــيم الحـــديث الـــذي يهـــتم بالنشاطات،وهذا ما يجعله ذا أنماط متعددة،ولعل التعليم القديم يرتقي عن التعليم الحديث في هذه النقطة لكونه يهيئ المتعلم معرفيا،من حيث تزويده بالمادة التي يســـتطيع بهـــا مناقشة واستقراء الأمور فيما بعد، عكس التعليم الحديث الذي يضـــطر المـــتعلم علـــى الاستقراء، وإعمال الذكاء دون رصيد معرفي سابق يبني عليه استنتاجاته رغم تجـــاوزه التعليم القديم في نقطة مهمة و هي:إشراك المتعلم في العملية التعليمية.

8. أما بالنسبة للمواد التعليمية فالتعليم القديم يهتم بالعلوم النقلية أكثر من اهتمامه بالعلوم العقلية،عكس التعليم الحديث،كما أنه يهتم بترابط هذه المواد ببعضها، مثل ما شهدناه في المدونة من ارتباط تعليم الكتابة والقراءة والإملاء، وحتى الحساب بتعليم القرآن الكريم، و الترابط يجعل هذه تتجاوز غايتها في ذاتها إلى مساعدة المتعلم على النمو في مختلـــف الجوانب، رغم زوال هذا الترابط بالتدريج فيما بعد،وكذلك يتميز التعليم الحديث بتكامـــل وترابط مواده.

9. وبالنسبة للوسائل التعليمية فالتعليم القديم يُغفل استخدامها رغم توافرها في المحـــيط الطبيعي(أقصد الوسائل الحسية)، عكس التعليم الحديث الذي يستغلها أحســـن اســـتغلال بمساهمة التقنيات التكنولوجية التي طورتها، وعدّلتها، وتعليل ذلك عائد إلـــى التطـــور الفكري والحضاري.

10. يأخذ المتعلم في التعليم القديم دور المتلقي فهو لا يشارك في العمليـــة التعليميـــة لدرجة يأخذ فيها طابعا سلبيا،ولا يعيب المتعلم أخذ دور المتلقي في أول الأمـــر، لكـــن العيب أن يكون هذا الدور في كامل مسار العملية التعليمية،فيفقد المتعلم حس الاستقراء، والاستنتاج، وإعمال الذكاء.وهذا ما يسعى التعليم الحديث إلى تجـــاوزه لدرجـــة جعـــل المتعلم العنصر المحرك للعملية التعليمية بنسبة 90% ليقع في مطب آخر،إذ لا يستطيع

المتعلم الصغير الخالي الذهن من أية معلومة مسبقة أن يسير حصة ما،وبين النموذج الأول والثاني مساحة لو تم استغلالها والتوفيق على أساسها لنجح المعلم في جعل المـــتعلم متلقيـــا حينا،ومسيرا فعالا أحيانا.

11. تظهر جدوى وفاعلية التعليم القديم ــ بحسب ما استنتجت من قراءتي للمدونة ــ في التواصل الراقي بين الأسرة والكُتاب،وهذا يُنِم عن انتشار ثقافة تعليمية معتبرة فـــي وسط المجتمع المغربي أثناء القرن الثالث الهجري،وهذا تماما ما يـــدعو إليـــه التعلـــيم الحديث ،ويسعى لتطبيقه.

12. وآخر نقطة أختم بها جملة استنتاجاتي ونتائجي، إمكانية التقريب والتوفيـــق بـــين النموذجين التعليميين(التعليم القديم ،التعليم الحديث) وإذا ملت لهذه الفكرة فلملاحظتي من خلال قراءتي للتعليم القديم، حاجة الإنسان في حياته للنمطين معا التعديل والتغيير مـــن جهة لمواكبة روح العصر،والثبات والاستقرار للمحافظة على المبادئ والقيم من جهـــة أخرى،ومنه يمكن كل من التعليم القديم والتعليم الحديث أن يسيرا جنبا إلى جنـــب دون الإخلال بالعملية التعليمية ،عن طريق التنسيق بينهما بالاستفادة من النقاط الايجابية لكـــل منهما.

كانت هذه أهم النقاط التي توصلت إليها من خلال قراءتي للتعليم القديم عبـــر مـــا لمحته في كتاب آداب المعلمين لمؤلفه محمد بن سحنون، ولعلي لا أبالغ إن قلت إن كل نقطة من النقاط السابقة مثار لبحث قائم بذاته،قد يتوصل الباحث فيها إلى نتائج قد تزكي ما ذهبت إليه في دراستي وقد تنفيه،ليبقى باب البحث فيه مفتوحا، فهذا جهدي في بحثي فإن أخطأت فمن نفسي وقلة إحاطتي بمثل هذا الموضوع ،وإن أصبت فمن هدى وحكمة مـــن الله منـــه الإصابة في الأمور جميعها والحمد لله حمدا كثيرا.

الفهارس:

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- فهرس الخطاطات والجداول
- فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع "[1] "

المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم

أ- المصادر:

1. *أبو حامد الغزالي*

إحياء علوم الدين: مكتبة عيسى البابلي الحلبي، القاهرة، ج1، 1957

2. *أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم:*

كتاب طبقات علماء إفريقية دار الكتاب اللبناني، بيروت(د ط).

3. *أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور:*

لسان اللسان تهذيب لسان العرب(ت ح):المكتب الثقافي لتحقيق الكتب ج1، ج2، ط1، بيروت

4. *أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني:*

كتاب آداب الإملاء والاستملاء (در،ت ح):أحمد محمد بن عبد الرحمان محمد محمود، مطبعة المحمودية، جدة، ج1،ج2،ط1، 1993

5. *ابن حزم:*

الفصل في الملل و الأهواء والنحل، مطبعة عبد الرحمن خليفة، ج1، (د م ن)،1347 (هج) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993.

6. *ابن قتيبة الدينوري:*

عيون الأخبار، دار الكتب، القاهرة، ج2 (د ط)، 1964.

7. *أحمد بن أبي جمعة المغراوي:*

جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان (ت ح):أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

1- اعتمدت في ترتيب المصادر و المراجع على الأبجدية المغاربية وترتيبها كالآتي: أ،ب،ج،د،هـ ،و ،ز ،ح ،ط، ي، ك، ل، م، ن، ص، ع، ف،ض،ق،ر،س،ت،ث،خ،ذ،ظ،غ،ش.

8. *الجاحظ:*

*البيان والتبيين،(ت ح):*درويش جويدي، المكتبة العصرية بيروت، ط2،ج1، 2000.

9. جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي:

الجامع الكبير (ت ح): القاهرة، 1324 (هج)

10. محمد بن إسماعيل البخاري:

صحيح البخاري(ت ح) مصطفى ديب البغا،دار الهدى للنشر،الجزائر،ج 1، 1992.

11. *محمد بن سحنون:*

كتاب آداب المعلمين (ت ق، ت ح)محمود عبد المولى:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

12. مسلم بن الحجاج:

مختصر صحيح مسلم،(ت ح) مصطفى ديب البغا،دار الهدى للنشر،الجزائر،ج 1، 1992

13. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون:

مقدمة كتاب العبر.(ض، ش،تق):محمد الإسكندراني دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان، 2004.

14. الترمذي:

الصحيح، (شر) الإمام ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج10

ب- المراجع:

15. *أبو بكر الآجري:*

أخلاق العلماء، دار الشهاب. الجزائر، 1987.

16. *أبو جابر الجزائري:*

العلم والعلماء، شركة الشهاب، الجزائر، 1974.

17. *أحمد الأزرق:*

الكتاتيب القرآنية بالجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2002.

18. *أحمد محمد عبد الخالق:*

مبادئ التعلم، دار المعرفة، السكندرية ط2، 2001.

19. *أحمد معروف:*

محاضرات في علوم التربية، دار الغرب للنشر، الجزائر،2003.

20. *أحمد فؤاد الأهواني:*

التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، ط1، 1968.

21. التربية في الإسلام دارا لمعارف، مصر، ط2 ،1975.

22. *إيدجار فور وجماعة من المؤلفين:*

تعلم لتكون، (ت ر):حنفي بن عيسى، اليونسكو، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974.

23. *إسحاق أحمد فرحان:*

التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، 1987.

24. *بدر الدين بن تريدي:*

تقييم التعلم (أنواعه وأساليبه وأدواته)، المعهد الوطني للبحث في التربية، الجزائر، 1999.

25. *بوفلجة غيات :*

التربية ومتطلباتها، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

26. التربية والتكوين بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

27. حمانة البخاري :

التعليم عند الغزالي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط2 ،1991.

28. *حنفي بن عيسى:*

محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2003.

29. *حسن إبراهيم حسن:*

انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط2، 1964.

30. *حسن مصطفى سحلول :*

نظريات القراءة والتحليل الأدبي وقضاياها، إتحاد الكتاب العرب،دمشق،2002.

31. *حسن عبد الباري نصر:*

فنون اللغة العربية (تعليمها وتقويم تعلمها)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2000.

32. *حسن شحاتة:*

تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط4، 2000.

33. *حسن علي مصطفى حمدان:*

مكانة المرأة في الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، 1990.

34. الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني:

الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

35. *يوسف مصطفي القارضي ومقداد بالجن:*

علم النفس التربوي في الإسلام، دار المريخ، السعودية، 1981.

36. *محي الدين يوسف الجردي:*

مسائل تربوية، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2003.

37. *محمد إبراهيم كاظم:*

العقوبات المدرسية بحث ميداني، مكتبة الأنجلومصرية،القاهرة، (د ت ط)

38. *محمد إبراهيم عبادة:*

النحو التعليمي في التراث العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987.

39. محمد *الدريج :*

تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب، البليدة، ط2، 1991.

40. محمد *طه الحاجزي:*

جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدارسات الأدبية، (د م ن) ،1968.

41. محمد منير مرسي:

التربية الإسلامية (أصولها وتطورها في البلاد العربية)، عالم الكتب، القاهرة، 1983.

42. محمد *الناصف:*

تأملات في التربية والتعليم، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1984.

43. محمد صالح سمك:

الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية لدور المعلمين و المعلمات، المطبعة العربية، (د م ن)، 1967.

44. محمد *علي دبوز:*

تاريخ المغرب الكبير،دار إحياء الكتب العربية، بيروت،ج1، 1964.

45. محمد *شارف سرير ونور الدين الخالدي:*

الفعل التعليمي التعليمي، الاتحادية الوطنية لعمال التربية، معسكر، 1998.

46. محمد *شطوطي:*

علم النفس وصلته بالتربية في بناء شخصية الطفل، دار شرشار، الجزائر، ط1، 2002.

47. منير محمد نجيب *غضبان:*

حكم تعليم النساء، دار شهاب، باتنة،1987 .

48. نصر حامد *أبو زيد:*

إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 1996.

49. *صالح بلعيد:*

محاضرات في علم اللغة العربية، دار الهدى، الجزائر، 1999.

50. *صالح ذياب هندي وهشام عامر عليان:*

دراسات في المناهج والأساليب العامة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1999.

51. *صلاح الدين محمود علام:*

دليل المعلم في تقويم الطلبة في الدراسات الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997.

52. *عبد الحميد بن باديس:*

مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1983.

53. *عبد الحميد الشلقاني:*

الأصمعي اللغوي صورة عراقية في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، 1982

54. *عبد الله ناصح علوان:*

تربية الأولاد في الإسلام،دار الشهاب ،باتنة،ج1 ،1987.

55. *عبد العليم عبد العظيم:*

المُوجه الفني القدسي اللغة العربية، دار المعارف، مصر، 1972.

56. *عبد القادر ميسوم:*

تحسين الأداء التربوي والفاعلية لدى المعلمين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ت ط).

57. *عز الدين بليق:*

مناهج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، دار الفتح، بيروت، ط1، 1978.

58. *عماد توفيق السعدي وآخرون:*

أساليب تدريس اللغة العربية،دار الأمل الأردن،1991.

59. عمر محمد *التومي الشيباني:*

دراسات في الإدارة التعليمية والتخطيط التربوي، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا،ط1، 1993.

60. *عرقوب سامية:*

رحلة في التربية والتعليم، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2002.

61. *فؤاد إفرام البستاني:*

منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت لبنان، ط11، 1671.

62. *فريدمان ويوكولا غينا:*

دليل لمعلم إلى التربية وعلم النفس (تر):احمد خنسة،دار علاء الدين،دمشق لبنان، ط1 ، 2000 .

63. *فخر الدين قباوة:*

المهارات اللغوية وعروبة اللسان، دار الفكر، دمشق ، 1999.

64. *رابح بو نار:*

المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

65. *رشيد أورسلان:*

التسيير البيداغوجي في مؤسسات التعليم،قصر الكتاب ط2 ،2002 .

66. *سعيد حوى:*

الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، الأخورية، مصر،ط2 ،1993.

67. *تركي رابح:*

عبد الحميد ابن باديس فلسفته جهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1969

68. أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

الدوريات:

69. *الأخضر مقدم :*

الراعي الغاش لرعيته، جريدة العصر، عدد :11جوان1981.

70. *أبو عبد الله الجزائري:*

أساليب التربية الإسلامية جريدة البصائر الجزائر، العدد:49، 14ماي 2001 .

71. *بلعالم محمد باي:*

لمحات عن كيفية التعليم بمنطقة توات، جريدة البصائر، العدد:44.

72. *وداد، ط:*

بنت متعلمة، زوجة صالحة، جيل صالح، جريدة البصائر،العدد: 45، 16أفريل2001.

73. *المنطقة الأولى بدائرة بودواو:*

القراءة للطور الأول من التعليم الأساسي، مجلة التربية، وزارة التربية والتعليم الأساسي، الجزائر، العدد:05، سنة 1982،

74. *عبد القادر العرابي و عبيد العمري:*

إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية العربية في ضوء الحداثتين الأولى والثانية. مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد: 04، 2001.

75. *رابح قدوري:*

مقياس تقويم المعلم، المجلة الجزائرية للتربية، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، العدد الأول، السنة الأولى، نوفمبر، 1994.

الرسائل الجامعية:

76. *مكي درار:*

الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، رسالة دكتوراه دولة.

77. *عزاز حسنيه:*

الشواهد النحوية في الكتب المقررة للتعليم الثانوي(دراسة لسانية) رسالة ماجستير، مخطوط.

الكتب المدرسية:

78. *ب.دمرجي:*

الدليل في التشريع المدرسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت ن).

79. *وزارة التعليم الابتدائي والثانوي:*

دروس تطبيقية عامة، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1973-1972.

80. *وزارة التربية و التعليم:*

مناهج السنة الأولى من التعليم الابتدائي، مطبعة الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، الجزائر، 2003.

81. *محمد بن يسعي وآخرون* :

كتاب اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.

82. *محمد علوان وآخرون:*

كتاب الرياضيات السنة الأولى من التعليم الابتدائي (كتاب مدرسي معتمد)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003–2004.

الآيـــة	رقمها	السورة
شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وأُولـُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ	18	آل عمران
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيهِمْ إِذْ يَلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ	.44	آل عمران
وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًا كَبِيرًا	.34	النساء
إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا	58	النساء
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	5	يونس
وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا	12	الإسراء
وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ	224–	الشعراء

يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ	.226	
وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	27	لقمان
وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا	43	الأحزاب
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا.	24	محمد
ن وَ القَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ	1	القلم
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً	4	المزمل
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم	3،5	العلق

الحـــديـــث	الصفحـــة
من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة	2
خيركم من تعلم القرآن وعلمه	20
ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا	27
شرار أمتي معلمو صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين.	27
أدب الصبي ثلاث درر	28
لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله	29
ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع،وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته،وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.	31
لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق	32
قالت النساء للنبي صلى لله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن.	34
مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع	38
إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب لله	40
اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن ؟ قال: الشرك بالله، و وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال الربا، واكل مال السحر، اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات.	78

فهرس الجداول:

جدول الأماكن التعليمية في المغرب العربي، ص:57.
جدول تصوري لتوزيع الزمن على المواد الدراسية في المدونة ، ص:60.
جدول التوزيع الزمني لتعليم البنات، ص:63.
جدول الحجم الساعي للمواد التعليمية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي بالجزائر ،ص:64.

فهرس الخطاطات:

الخطاطة التعليمية لفرانك ،ص:20.
خطاطة إحصاء لفظتي معلم ومؤدب في المدونة،ص:21.
تصور لخطاطة عملية التقييم في التعليم القديم،ص:62.
خطاطة تقسيم المواد التعليمية في مدونة محمد بن سحنون:79.
خطاطة هرم الخبرة لترتيب الوسائل التعليمية لديل، ص:92.
خطاطة هرم الوسائل التعليمية في المدونة بحسب الاستعمال، ص:100.
تصور لمخطط السياسة التعليمية عند محمد بن سحنون،ص:108.

كلمة شكر وتقدير

إهداء

جدول الرموز

المقدمة . . . . . **من أ إلى هـ**

المدخل:المفاتيح الأولية للبحث:من 02 إلى17

القراءة مفهوم وتطبيق: 02

مفهوم التعليم: 05

مفهوم القِدَم: 05

مفهوم التربية:. 08

الفرق بين التربية والتعليم:. 10

مفهوم التأديب: 10

التعريف بالمدونة:. 11

أهمية الكتـــاب 14

التعريف بصاحب المدونة:. 14

الفصل الأول:المعلمون والمتعلمون في المدونة من 19 إلى42

المعلمون:. 19

فضل المعلم:. 19

واجبات المعلم:. 22

العدل:. 22

الاجتهاد:. 24

التفرغ:. 25

الرحمة والعطف:. 26

العقاب والتأديب. 27

المتعلمون:. 33
تعليم البنات:. 33
الفصل بين الذكور والإناث:. 34
ملامح السياسة التعليمية للبنات:. 35
النمط الأول:. 36
النمط الثاني: 36
سن الدخول إلى الكتاب:. 37
سن التخرج من الكتاب:. 39
واجبات المتعلم:. 39
دفع أجرة المعلم:. 39
التقدير وحسن المعاملة:. 42

الفصل الثاني: المكان والزمان في المدونة من44 إلى 68

مكان التعليم في المدونة:. 44
البيت:. 44
المسجد:. 47
الكُتاب:. 49
المدارس:. 52
مواد التدريس:. 53
الربَاطَاتْ:. 55
الزوايا:. 56
زمن التعليم في المدونة:. 58
اليوم الدراسي: 59
التوزيع الزمني (استعمال الزمن): 60
العطل:. 65
عطلة الأعياد الدينية:. 65

عطلة الختمة:. 66
العطلة الأسبوعية:. 67
العطلة المرضية:. 67
العطلة السنوية: 67
العطل العائلية: 69

الفصل الثالث:المادة والطريقة في المدونة من 70 إلى 88

المادة التعليمية:. 70
المادة الإلزامية:. 71
تعليم القرآن وحفظه بشكله وإعرابه:. 71
تعليم الصلاة والدعاء:. 72
تعليم الخط:. 72
المادة المستحسنة:. 74
المادة المكروهة والمحرمة:. 77
السحر:. 78
الطِلسِمَاتْ: 79
التنجيم: 79
الطريقة التعليمية: 80
الوضعية الأولى: 80
الوضعية الثانية: 81
الوضعية الثالثة: 82
طريقة تعليم الخط بالكتاب: 83
أ. الإدراك البصري للنموذج: 83
ب. محاكاة النموذج. 84
ج. النقد والتقييم. 84
د. التمرين والتدريب. 84

تعليم القراءة بالكُتاب: 85

الفصل الرابع:الوسيلة والمنهجية في المدونة من 90 إلى 108

الوسائل التعليمية. 90

تعريف الوسيلة التعليمية. 90

أنواع الوسائل التعليمية: . . . . . 90.

الوسائل الحسية: . . . . . 91.

الوسائل اللغوية. 91

الوسائل التعليمية في المدونـــة: 93

الوسائل الحسية: :. 93

الألواح: 94

الصلصال: 94

الأقلام: 94

المداد:. 96

الوسائل اللغوية(أو اللفظية)في المدونة: 96

منهجية محمد بن سحنون في المدونة: 101

موقفه من الكتب التعليمية:. 102

منهجيته في الطرائق التعليمية: . . . . . 103.

منهجيته في المادة التعليمية: . . . . . 104.

ميزات منهجية محمد بن سحنون: 104

نقد منهجية محمد بن سحنون:. 105

الخـــاتمـــة: من 110 إلى 112

نتائج البحث. . . . . 110.

الفهـــارس:من 114 إلى 131

فهرس المصادر والمراجع :. 114

فهرس الآيات القرآنية: : . . . . . 123.

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة: . . . . . .125.
فهرس الجداول والخطاطات: 126
فهرس الموضوعات: 127